القول السديد
في
فضل كلمة التوحيد

تأليف

أبي إسحاق محمود بن أحمد الزويد

القول السديد

في فضل كلمة التوحيد

حقوق الكتاب محفوظة، ومن أراد طبعه
ونشره فلا مانع من ذلك، وله جزيل الشكر

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

تنسيق مكتبة طيبة

روائع الكلم

قال عون بن عبد الله: «إذا أزرى أحدكم على نفسه، فلا يقولنَّ: ما فيَّ خير، فإنَّ فينا التوحيد؛ ولكن ليقل: قد خشيت أن يهلكني ما فيَّ من الشر، وما أحسب أحدًا يفرغ لعيب الناس إلا عن غفلةٍ غفِلها من نفسه، ولو اهتم لعيب نفسه ما تفرغ لعيب أحد ولا لذمه»[١].

وقيل: دخل رجلٌ على سهل بن عبد الله، فقال: إنَّ اللصَّ دخل داري، وأخذ متاعي. فقال: «اشكر الله تعالى لو دخل اللصُّ قلبك وهو الشيطان، وأفسدَ التوحيد ماذا كنتَ تصنع؟»[٢].

وقال إبراهيم التيمي: «كانوا يستحبون أنْ يلقنوا الصبي الصلاة، ويعرب أوَّل ما يتكلم يقول: لا إله إلا الله سبعَ مراتٍ، فيكونُ ذلكَ أول شيء يتكلم به»[٣].

وسُئِل مالك عن الكلامِ والتَّوحيد؟ فقال: «محالٌ أنْ نظنَّ بالنَّبي ﷺ أنَّه علم أمته الاستنجاء، ولم يعلمهم التوحيد»[٤].

وقال تاج الدين الفاكهاني: سمعت شيخَنا الإمام أبا العباس المرسيَّ رحمه الله يقول: «مَنْ وَاظب على قولِ: لا إله إلا الله عندَ دخوله منزلَه، وجد الغنى

١- شعب الإيمان (٧١٥٩).
٢- الرسالة القشيرية (٣١٤/١).
٣- مصنف ابن أبي شيبة (٣٥١٩).
٤- سير أعلام النبلاء (٢٦/١٠).

حسًا»[١].

وقال ابن بطة العكبري: «فلا قولٌ أزكى ولا أطيبُ من التَّوحيد، ولا عملٌ أصلحُ ولا أفضلُ من أداءِ الفرائض، واجتنابِ المحارم. فإذا قال قولًا حسنًا، أو عمل عملًا حسنًا، رفعَ الله قولَهُ بعملِهِ، وإذا قال قولًا حسنًا، وعمل عملًا سيئًا ردَّ اللهُ قولهُ على العملِ»[٢].

وقال ابن القيم: «فالغاية الحميدة التي يحصل بها كمال بني آدم، وسعادتهم، ونجاتهم هي معرفة الله، ومحبته، وعبادته وحده لا شريك له، وهي حقيقة قول العبد: لا إله إلا الله، وبها بعثت الرسل، ونزلت جميع الكتب، ولا تصلح النفس ولا تزكو ولا تكمل إلا بذلك»[٣].

وقال ابن أبي العز الحنفي: «فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم. فـ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ توحيد، ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ توحيد، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ توحيد، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ توحيد، ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد، ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الذين فارقوا التوحيد»[٤].

١- رياض الأفهام بشرح عمدة الأحكام للفاكهاني (٥/٥١٩)، وعقب بعد هذا الكلام، بقوله: (هذا أو نحوه).

٢- الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/٧٩٠).

٣- مفتاح دار السعادة (٢/١١٦٠).

٤- شرح الطحاوية (ص٧٩).

وقال الملا علي قاري الحنفي: «فالاتصاف بمضمون هذه الكلمة من الواجبات العمريَّة، حيثُ يجب أن تكون موجودة حقيقةً أو حكمًا في كلِّ لحظةٍ ولمحةٍ من أوَّلِ العمرِ إلى انتهائه على الجهة الدواميَّة، كما هو معلومٌ من مذاهب العلماءِ الرسميَّة، ومن مشاربِ العرفاء الوسميَّة»[١].

وقال السفاريني:

أول وَاجِب على العبيد ... معرفَة الْإِلَه بِالتَّسدِيدِ

بِأَنَّهُ وَاحِد لَا نَظِير ... لَهُ وَلَا شبه وَلَا وَزِير[٢]

وقال الشيخ محمد الخضر حسين: «إنَّ الدَّعوة إلى التوحيد الخالص أساس كلّ إصلاح، فمن واجب دعاة الإصلاح أن يجاهدوا في تقويم العقائد، فإنَّ العقائد السليمة مصدر كل خير، والعقائد الزائغة منشأ كل فساد»[٣].

١- التجريد في إعراب كلمة التوحيد (٥٠٨/٤) (المطبوع ضمن مجموع رسائله) ط: دار اللباب.
٢- الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، الأبيات (٣٢-٣٣).
٣- موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين (١٥٨/١).

المقدمة

إنَّ الحمدَ للهِ نحمدُهُ ونستعينُ بهِ ونستغفرهُ ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١]

أمّا بعد: فإنّ أصدق الحديث كلام الله، وأحسن الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمورِ محدثاتها، فإنّ كلَّ محدثةٍ بِدعة، وكلَّ بِدعةٍ ضلالة، وكلَّ ضلالةٍ في النَّار.

فهذا كتاب في فضل كلمة التوحيد (شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له)، وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسماوات، وخلقت لأجلها جميع المخلوقات، وبها أرسل الله تعالى رسله، وأنزل كتبه، وشرع شرائعه، ولأجلها نصبت الموازين، ووضعت الدواوين، وقام سوق الجنَّة والنَّار، وبها انقسمت

الخليقة إلى المؤمنين والكفار، والأبرار والفجار؛ فهي منشأ الخلق، والأمر والثواب والعقاب، وهي الحق الذي خلقت له الخليقة، وعنها وعن حقوقها السؤال والحساب، وعليها يقع الثواب والعقاب، وعليها نصبت القبلة، وعليها أسست الملة، ولأجلها جردت سيوف الجهاد، وهي حق الله على جميع العباد، فهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السلام، وعنها يسأل الأولون والآخرون[١].

وإنَّ من حق العلم الذي أودعه الله عند أهله؛ أن يبلغوه، ويعلموه، وينشروه، لينال صاحبه السعد والظفر، والأجر وجميل الذكر في الدنيا والآخرة، ففي «صحيح مسلم» من حديث أبي مسعود الأنصاري ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من دلَّ على خيرٍ فله مثلُ أجرِ فاعِلِهِ»[٢].

وفي الأثرِ عن أبي الدرداء ﷺ: «ما تصدَّق عبد بصدقة أفضل من موعظةٍ يعظُ بها إخواناً له مؤمنين فيتفرَّقون وقد نفعهم الله بها»[٣].

وقال علي الأزدي: سألت ابن عباس عن الجهاد، فقال لي: ألا أدلك على خير من الجهاد؟

فقلت: بلى!

١- من مقدمة ابن القيم في زاد المعاد (١/٣٥).

٢- صحيح مسلم (١٨٩٣)، وهو عند أحمد في «مسنده» (١٧٠٨٦)، وأبو داود في «سننه» (٥١٢٩)، والترمذي في «سننه» (٢٦٧١) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن ماجه في «سننه» (٢٤٠)، بغير هذا اللفظ من حديث أنس ﷺ أنَّ النَّبي ﷺ قال: «من علم علماً، فله أجر من عمل به، لا ينقص من أجر العامل»، وسنده ضعيف. لضعف سهل بن معاذ، ويحيى بن أيوب لم يدرك سهلاً.

٣- رواه إياس بن معاوية في «العلم والحلم» (ص١٢٣)، وانظر: «الأمالي» لابن الحصين (١٤)، و«القصاص والمذكرين» لابن الجوزي (٨)، و «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٤/٤٢).

فقال: تبني مسجداً، وتعلم فيه القرآن، والسنة، والفقه في الدين»[١].

وقال أبو أسامة: «جزى الله خيراً مَن أعان الإسلامَ بشطرِ كلمة»[٢].

وقال الحافظ ابن رجب: «أفضل الصَّدقةِ تعليمُ جاهلٍ أو إيقاظُ غافل»[٣].

فرغبة في نشر العلم، وطمعًا في الأجر، كان من توفيق الله لي أن أعانني على كتابة هذا الكتاب المختصر في فضل كلمة التوحيد التي يُعد العلم بها من أعظم العلم، والمعرفة بها من خير المعرفة، وقد ضمنته بفضل الله موضوعات مهمة في الباب مما هي متعلقة بالكلمة وفضلها؛ ليكون فيه النفع والخير أكثر إن شاء الله.

فالله أسأل التوفيق لما عزمت، والقبول لما كتبت، وأن ينفع به في الدارين، ويجعله أجرًا وذخرًا لي عنده ولوالدي وأهلي جميعًا، إنَّه ولي ذلك والقادر عليه.

تَبْلَى يدي بعْدَمَا خَطَتْ أنَامِلُهَا ... كأنَّه لَمَ يكُنْ طوعًا له القلَم

يا نفسُ ويحكِ نُوحِي حسرةً وأسىً ... على زمانِكَ إذ وجداننا عُدِم

واستدركي فارطَ الزلاتِ واغتنمي ... شرخَ الشبيبة فالأوقاتُ تُغْتَنم

وقدمي صالحًا تزكُو عَواقِبَهُ ... يومَ الحِسَابِ إذ ما أُبْلِسَ الأمَم[٤]

ولله در القاسم بن أحمد الأندلسي إذ قال:

١- العلم والحلم (ص١٢٢)، ومن طريقه يعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (٣/٤٠٠).
٢- الإبانة لابن بطة (١/٢١٤).
٣- شرح حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه، لابن رجب من «مجموع رسائله» (١/١٨٦).
٤- ذكره الشيخ صديق حسن في آخر كتابه (الانتقاد الرجيح في شرح الاعتقاد الصحيح) (ص٢١٨).

يَا نَاظِراً فِيمَا عَمَدْتُ لِجَمْعِهِ ... عُذْرًا فَإِنَّ أَخَا الْبَصِيرَةِ يَعْذِرُ

وَاعْلَمْ بِأَنَّ المرْءَ لَوْ بلَغَ المدَى ... فِي الْعُمْرِ لاقَى الموْتَ وَهْوَ مُقَصِّرُ

فَإِذِا ظَفِرْتَ بِزَلَّةٍ فَافْتِحْ لَهَا ... بَابَ التَّجَاوِزِ فَالتَّجَاوُزُ أَجْدَرُ

وَمِنَ المحَالِ بِأَنْ تَرَى أحداً حَوَى ... كُنهَ الْكَمَالِ وَذَا هُوَ المتَعَذِّرُ

فَالنَّقْصُ فِي نفَسِ الطَّبِيعَةِ كائِنٌ ... بنُو الطَّبِيعَةِ نَقْصُهُمْ لا يُنْكَرُ[1]

١- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات للكتاني (١١٦٩/٢)، وقد صححت أبياتها ممَّا أنشده الشيخ المحدث عبد الله السعد حفظه الله فإنَّه يروي ذلك بالسند لقائله، كما في مقدمات بعض كتبه، ككتاب: (كيف تكون محدثًا).

منهج البحث.

تضمن الكتاب الحديث عن شهاد التوحيد، وما يتعلق بها، وضمنت ذلك في ثلاثة أقسام:

القسم الأول، وفيه:

[١] الحديث عن بعض المؤلفات في فضل شهادة لا إله إلا الله وما يتعلق بها.

[٢] حرص السلف على تعلم التوحيد (فإنَّ به حياة الدين ومادة بقائه).

[٣] الدليل على أنَّه لا إله إلا الله، من (القرآن، والسنَّة، والفطرة، والمعقول) وتأكيد نفي القياس والاختلاف في التوحيد.

[٤] ذكر من خالف في التوحيد (من أهل الكفر والمبتدعة).

[٥] فطرة الصبيان والعوام خير من منطق الفلاسفة وأصحاب الكلام.

[٦] التَّسليم في التَّوحيد سبب للنَّجاة (فإنَّ الاعتراض من الأمراض، وهو بلية أهل البدع، وداء أهل الشرك، وعلامة أهل الكفر، ومن سلم منه سلم من بلاءٍ كبير).

[٧] أقسام التوحيد (وقد بينت أقسامه، وفصَّلتُ في أنواعه، وبذلك يلجم من قال بأنَّه قول لا يعرف له سلف).

[٨] منزلة التوحيد عند شيوخ الصوفية (وقد وقع في ظن بعض الناسِ أنَّ الصوفية بأجمعهم عقيدتهم هي الحلول والاتحاد، وهذا غلط وسيظهر نقيضه في الكتابِ).

[٩] معنى لا إله إلا الله (وذلك أنَّ من تمام العلم حسن الفهم، وخير الفهم ما كان موافقًا لفهم السلف، وقد بينت معنى هذه الكلمة بيانًا خاليًا من المغالطات والمخالفات).

وتضمن هذه المبحث الحديث أيضًا عن:

[١٠] ركنها.

[١١] ما تثبته لا إله إلا الله وتنفيه.

[١٢] إعرابها ومعانيها.

[١٣] شروطها.

[١٤] نواقضها.

[١٥] أهمية تطبيقها وفهمها.

[١٦] أفضل الأذكار.

[١٧] فضل لا حول ولا قوة إلا بالله

[١٨] اسم الله الأعظم.

[١٩] تعظيم الله.

[٢٠] مسألة: (هل النُّطق بكلمة التوحيد يكفي لدخول الجنة؟).

[٢١] الطريق إلى معرفة لا إله إلا الله.

[٢٢] لا إله إلا الله منهج حياة.

[٢٣] من آثار كلمة التَّوحيد.

ويليه القسم الثاني: في فضائل كلمة التوحيد وأسمائها، والقسم الثالث: تتمة مهمة بما يتعلق بكلمة التوحيد.

بعض المؤلفات في فضلِ لا إله إلا الله ومعانيها.

لأهمية كلمة التوحيد ومنزلتها، أفردَ العلماءُ للحديثِ عنها وبكل ما يتعلق بها رسائل وكتب عدَّة بعضها مطبوع، والآخر مخطوط، وأذكر ما وُفِقت من الله للوقوف عليه، وهي بحسب وفيات مؤلفيها:

- «فضل لا إله إلا الله» لابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ)[١].
- رسالة في «إعراب لا إله إلا الله» لابن هشام الأنصاري النحوي البارع (ت ٧٦١هـ)[٢].
- رسالة «كلمة الإخلاص» للحافظ ابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ).
- التمهيد في الكلام على التوحيد لابن عبد الهادي المعروف بـ(ابن المبرد) (ت ٩٠٩هـ)[٣].
- «معنى لا إله إلا الله» لأبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الشافعي (ت ٧٩٤هـ)[٤]. وهو كتاب يتضمن: إعراب كلمة التوحيد، وبيان فوائدها (لغة وإعرابًا وعقيدًة).
- «تجريد التوحيد المفيد» لأحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني، تقي الدين المقريزي(ت ٨٤٥هـ)[٥]

١- السير للذهبي (٤٠٣/١٣).
٢- وهي مطبوعة.
٣- طبع في دار العقيدة.
٤- وهو مطبوع.
٥- طبع عدَّة طبعات، منها: في دار عالم الفوائد والصميعي بتحقيق الشيخ علي العمران حفظه الله، وفي دار القبس بتحقيق الشيخ صبري شاهين حفظه الله، وغيرها.

- «تنبيه الأواه لفضل لا إله إلا الله»، للشيخ محمد البكري (ت٩٩٤ هـ) أربع وتسعين وتسعمائة. أوله: (الحمد لله على نعمته بلا إله إلا الله ... الخ)، وهو مشتمل على: اثنين وتسعين حديثًا)[١].
- «التجريد في إعراب كلمة التوحيد» للملا علي القاري الحنفي (ت١٠١٤هـ).
- «إنباه الأنباه في إعراب لا إله إلا الله» لإبراهيم بن حسن الكوراني (ت ١١٠١هـ)[٢].
- «الأربعون الصنعانيَّة في فضل لا إله إلا الله (كلمة التوحيد)» للشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني (ت١١٨٢هـ). (وهي رسالة لطيفة، فيها الصحيح والضعيف والموضوع، وطبعت في دار ابن حزم).
- «رسالة لمعنى لا إله إلا الله» للشيخ محمد بن سليمان التميمي النجدي (ت ١٢٠٦هـ).
- رسالة «إعراب كلمة التوحيد لا إله إلا الله» لمحمد بن شافعي الفضالي (ت١٢٣٦هـ)[٣].
- رسالة «رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله» للشيخ عبد الرحمن المعلمي (ت ١٣٨٦هـ)[٤].

١- كشف الظنون (٤٨٦/١).
٢- وفي الغالب لا تزال مخطوطة، والله أعلم.
٣- وأغلب الظن أنَّها لا تزال مخطوطة، والله أعلم.
٤- طبعت ضمن مجموع رسائل الشيخ. ط: دار عالم الفوائد.

وهناك من ذكر فضلها في كتب الحديث، منهم على سبيل الذكر لا الحصر.

- أفرد الإمام البخاري (ت ٢٥٦هـ) في كتابه (الصحيح) كتابًا سمَّاه (كتاب التوحيد).
- الإمام النسائي (ت٣٠٣ هـ) وقد بوب في (سننه)، فقال: «ذكر خبر أبي سعيد في فضل لا إله إلا الله»، وبنحوه في كتابه (عمل اليوم والليلة)[١].
- والإمام ابن ماجه القزويني (ت ٢٧٣هـ) في (سننه)، فقال: «باب فضل لا إله إلا الله».
- والحافظ ابن شاهين (ت٣٨٥ هـ) في كتابه: (الترغيب في فضائل الأعمال وثواب ذلك)[٢].
- والبيهقي (ت ٤٥٨هـ) في كتابه: (الأسماء والصفات)[٣].
- والشجري (ت ٤٩٩هـ) في: (ترتيب الأمالي الخميسية)[٤].
- والمنذري (ت ٦٥٦) في كتابه: (الترغيب والترهيب)[٥].
- والدمياطي (ت ٧٠٥هـ) في كتابه: (المتجر الرابح في ثواب العمل الصالح)[٦].
- والهيثمي (ت٨٠٨ هـ) في كتابه: (غاية المقصد فى زوائد المسند)[٧]. وكتابه:

١- (١١٤١).
٢- وهو أول باب في كتابه (ص٧٣-٧٩)، وجل الأحاديث في أسانيدها ضعفاء ومتروكون.
٣- (باب ما جاء في فضل الكلمة الباقية في عقب إبراهيم عليه السلام وهي كلمة التقوى ودعوة الحق لا إله إلا الله) (١/٢٣٤-٢٧٤).
٤- الباب الأول: (في الإيمان وكلمة التوحيد وصفة المؤمن وحرمته وما يتصل بذلك).
٥- (الترغيب في قول لا إله إلا الله وما جاء في فضلها) (٢/٢٦٥).
٦- (ص٣٣٢) ط: البيان العربي.
٧- (٢/٢٥٨٢).

(مجمع الزوائد)[١].

- والحافظ البوصيري (ت٨٤٠هـ) في كتابه: (إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة)[٢].
- وهناك مؤلفات معاصرة في الباب، نفع الله عباده بها، وتقبل من مؤلفيها، وأجزلهم بالثواب والعطاء، وعمَّنا بفضله، وتقبل منَّا وستر عيب ما ظهر منا في الدنيا والآخرة.

١- (٨٦/١٠).
٢- (١٣٦/٦).

القسم الأول

حرص السلف على تعلم التوحيد

وهو العلم الذي به النجا، وعنه يسأل العبد في قبره إذا ولجا، وبه حياة الدين، وسلامة القلب من المرضين[١].

وقد كان السلف يحرصون على هداية الناس ويجعلون أول ما يعلمونهم هو التوحيد؛ وذلك لأنَّ غياب العلم الشرعي، لا سيَّما علم التوحيد من مخلفاته: عودة الجاهلية، وانتشار البدع، وشيوع الشُّبه، وظهور المخالفات التي كانت حالَّةً بين أهل الجاهلية ظاهرةً بينهم. كما قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: «إنَّما تُنقضُ عُرى الإسلام عروةً عروةً، إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهليةَ»[٢].

وَالْجهلُ دَاءٌ قَاتل وشفاؤه ... أَمْرَانِ فِي التَّرْكِيب متفقانِ

نَصٌّ من الْقُرْآنِ أَو من سنة ... وطبيبُ ذَاك الْعَالم الربانيّ

وَالْعلم أَقسَام ثَلَاث مَالهَا ... من رَابِع وَالْحق ذُو تبيان

١- يعني الشبهات والشهوات.

٢- الأثر ذكره الإمام ابن القيم في كتابه «الفوائد» (ص١٥٩)، وتتابعت كتب على سرده دون بيان مصدره، والله أعلم. ثم علقَّ ابن القيم قائلًا: «وهذا من كمال علم عمر ﷺ؛ فإنَّه إذا لم يعرف الجاهلية وحكمها، وهو كل ما خالف ما جاء به الرسول ﷺ؛ فإنه من الجاهلية؛ فإنما منسوبة إلى الجهل، وكلُّ ما خالف الرسول فهو من الجهل، فمن لم يعرف سبيل المجرمين ولم تستبن له؛ أوشك أنْ يظنَّ في بعض سبيلهم أنَّها من سبيل المؤمنين؛ كما وقع في هذه الأمة من أمور كثيرةٍ في باب الاعتقاد والعلم والعمل، هي من سبيل المجرمين والكفار وأعداء الرسل، أدخلها من لم يعرف أنَّها من سبيلهم في سبيل المؤمنين، ودعا إليها، وكفَّر من خالفها، واستحلَّ منه ما حرمه الله ورسوله؛ كما وقع لأكثر أهل البدع من الجهمية والقدرية والخوارج والروافض وأشباههم، ممَّن ابتدع بدعةً ودعا إليها وكفَّر من خالفها».

علمٌ بأوصافِ الْإِلَه وَفعلهِ وَكَذَلِكَ الاسماء للرحمنِ

وَالْأَمر وَالنَّهْي الَّذِي هُوَ دينُه وجزاؤه يَوْم الْمعَادِ الثَّانِي

وَالْكلُّ فِي الْقُرْآنِ وَالسّنَنِ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ الْمَبْعُوثِ بالفرقانِ

وَاللهِ مَا قَالَ امْرُؤٌ متحذلقٌ بسواهمَا إلا مِن الهذيانِ[1]

وروي أنَّ رجلًا قدِم من الشَّام إلى عمر رضي الله عنه فقال: ما أَقْدَمَك قال: قدِمت لأتعلَّم التشهد! فبكى عمر حتى ابتلت لحيتُهُ، ثمَّ قال: «والله إنِّي لأرجو من الله أن لا يعذِّبك أبدًا»[2].

قال الحافظ ابن عبد البر: «واتفق أهل الأديان أنَّ العلم الأعلى هو علم الدين.

واتفق أهل الإسلام أنَّ الدِّين تكون معرفته على ثلاثة أقسام:

أولها: معرفة خاصة الإيمان والإسلام، وذلك معرفة التوحيد والإخلاص ولا يوصل علم ذلك إلا بالنبي ﷺ، فهو المؤدي عن الله والمبيِّن لمراده، وبما في القرآن من الأمر بالاعتبار في خلق الله بالدلائل من آثار صنعته في بريّته على توحيده وأزليته سبحانه، وأزليته سبحانه، والإقرار والتصديق بكل ما في القرآن، وبملائكة الله وكتبه ورسله.

والقسم الثاني: معرفة مخرج خبر الدِّين وشرائعه، وذلك معرفة النبي ﷺ الذي

١- انظر: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم (٢/٣٨٢-٢٨٣) قال في القاموس: (حذلق أظهر الحذق أو ادعى أكثر مما عنده كتحذلق) أهـ. يعني أنَّ العلم ثلاثة أقسام: أولها: العلم بصفات الرب وأفعاله، وأسمائه والثاني: علم الأمر والنهي، والثالث: علم المعاد، والكل في القرآن والسنة.

٢-بدائع الصنائع (٢/١)، والمؤلف نقل الكلام بطريق التمريض الموهنة الضعف في الغالب، والله أعلم.

شرع الله الدِّين على لسانه ويده، ومعرفة أصحابه الذين أدَّوا ذلك عنه، ومعرفة الرجال الذين حملوا ذلك وطبقاتهم إلى زمانك، ومعرفة الخبر الذي يقطعُ العذر لتواتره وظهوره. وقد وضع العلماء في كتب الأصول من تلخيص وجوه الأخبار ومخارجها ما يكفي الناظر فيه ويشفيه.

والقسم الثالث: معرفة السنن، واجبها، وأدبها، وعلم الأحكام، وفي ذلك يدخل خبر الخاصة العدول، ومعرفته ومعرفة الفريضة من النافلة ومخارج الحقوق والتداعي، ومعرفة الإجماع من الشذوذ قالوا: ولا يوصل إلى الفقه إلا بمعرفة ذلك، وبالله التوفيق»[١].

وهذا العلم به حياة الدين ومادة بقائه، فإنَّ الساعة لا تقوم إلا إذا عادت مظاهر الجاهلية من الشرك والخبث مرة ثانية، كما قال أبو هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ، قال: «لا تقُوم السَّاعةَ حتى تضطربُ أليات نساء دوسٍ على ذي الخلصة»[٢] وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية.

١- جامع بيان العلم (٢/١٢-١٣) ط: ابن الجوزي (١٤٤٠هـ).

٢- رواه البخاري (٧١١٦)، ومسلم (٢٩٠٦)، وأحمد في «مسنده» (٧٦٧٧)، ومعمر بن راشد في «الجامع» (٢٠٧٩٥)، ونعيم بن حماد في «الفتن» (١٦٧١)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٧٧) و(٧٨) وصححه ابن حبان (ذكر الإخبار عن ظهور أمارات أهل الجاهلية في المسلمين) (٦٧٤٩).
وروى مسلم (١٤٨) عن أنس ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله».
وروى، (٢٩٠٧)، بإسناده عن أم المؤمنين عائشة ﷺ، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى» فقلت: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٣] أن ذلك تامًا قال: «إنَّه سيكونَ من ذلك مَا شاء الله، ثمَّ يبعث الله ريحا طيبة، فتوفى كل من في قلبه مثقالَ حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعونَ إلى دين آبائهم»
وروى (٢٩٤٤) عن أبي الأحوص عن النبي ﷺ قال: «لا تقومُ الساعة إلا على شرار الخلق».

قال أبو إسماعيل: سمعت يحيى بن عمار يقول: «العلوم خمسة: علم هو حياة الدين وهو علم التُّوحيد، وعلم هو قوت الدين وهو العظة والذكر، وعلم هو دواء الدين وهو الفقه، وعلم هو داء الدين وهو أخبار ما وقع بين السلف، وعلم هو هلاك الدين وهو الكلام»[١].

أَيُّهَا الْمُغْتَدِي لِيَطْلُبَ عِلْمًا كُلُّ عِلْمٍ عَبْدٌ لِعِلْمِ الرَّسُولِ

تطلب الفرع تُصَحِّحَ أَصْلًا كَيْفَ أَغْفَلْتَ عِلْمَ أَصْلِ الْأُصُولِ[2]

ومن أجمع ما قيل في هذا المقام، ما رواه ابن عبد البر في «جامعه»[٣]، بسندهِ عن سفيان بن عيينة قال: سمعت جعف بن محمد يقول: «وجدنا علم الناس كله في أربع: **أولها**: أن تعرف ربك[٤]، **والثاني**: أن تعرف ما صنع بك[٥]، **والثالث**: أن تعرف ما أراد منك[٦]، **والرابع**: أن تعرف ما تخرج من دينك». وقال بعضهم: «ما يخرجك من دينك»[٧].

وعن إبراهيم التيمي قال: «كانوا يستحبون أنْ يلقنوا الصبي الصلاة، ويعرب

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، كرجرجة الماء الخبيث».
قال أبو عبيد: الرجرجة بكسر الراءين: هي بقية الماء في الحوض الكدرة المختلطة بالطين لا يمكن شربها، ولا ينتفع بها. كما في «شرح السنة» للبغوي (١٥/٩٣) أهـ.

١- سير أعلام النبلاء (١٧/٤٨٢).
٢-شرح الطحاوية (ص٧٦).
٣- جامع بيان العلم وفضله (٤٣) (١/٩٧)، و«ترتيب الأمالي» للشجري (١/٤٤).
٤- وهو التوحيد، وما يتعلق به.
٥- وهي الإقرار والاعتراف بنعمه عليك.
٦- من الحلال والحرام.
٧- أي نواقض الإيمان والإسلام.

أول ما يتكلم يقول: لا إله إلا الله سبع مرات، فيكون ذلك أول شيء يتكلم به»[١].

وسئل مالك عن الكلام والتوحيد، فقال: «محالٌ أنْ نظنَّ بالنبي ﷺ أنَّه علم أمته الاستنجاء، ولم يعلمهم التوحيد»[٢].

قال ابن القيم: «ولا سعادة للعبد في دنياه ولا في أخراه إلا بذلك، ولا كمال للروح بدون ذلك البتة، وهذا هو الذي خلق له وأريد منه، بل ولأجله خلقت السموات والأرض، واتخذت الجنة والنار، كما سيأتي تقريره من أكثر من مئة وجه إن شاء الله، ومعلوم أنه ليس عند القوم من هذا خبر، بل هم في واد وأهل الشأن في واد»[٣].

وقال أبو نعيم الأصفهاني في «حلية الأولياء» في كلام له أشبه برسالة لأهل التصوف: «فكيف ينسب إلى التصوف من إذا عورض في حقيقة معرفة الله ﷻ، كَلَّ عنها وخلَّط فيها، وإذا طُولب بموجب الطاعة فيها جهلها وتخبط فيها، وإذا امتحن بمحنةٍ يجبُ الصبر عليها وعنها جزع وعجز»[٤].

وقال السفاريني رحمه الله:

وَبعد فَاعْلَم أَنَّ كلَّ الْعلم ... كالفرعِ للتَّوحيدِ فاسمعْ نظمي

١- مصنف ابن أبي شيبة (٣٥١٩).
٢- السير (٢٦/١٠).
٣- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١١٥٩/٢).
٤- حلية الأولياء (٢١/١).

لِأَنَّهُ الْعلم الَّذِي لَا يَنْبَغِي لعاقل لفهمه لم يبتغ

فَيعلم الْوَاجِب والمحالا ك جَائِز فِي حَقه تَعَالَى[1]

١- السفارينية مع شرح ابن عثيمين (ص٦٦-٧١).

الدليل على أنَّه لا إله إلا الله.

وأمَّا الأدلةُ على ذلكَ فهي كثيرةٌ، من نصوصِ الكِتَابِ والسَّنَّة والإجماعِ، والمعقولِ، والفطرة، وما وردَ عن سلفِ الأمَّةِ، ونكتفي من ذلك بدليل واحدٍ على كلِ ما ذكرنا سوى الفطرة والمعقول، فإنّي أذكر أكثر من دليل؛ لأننا في زمان انتشر فيه الكفر والإلحاد، والله لكلِّ عدو بالمرصاد.

الأدلة النقلية.

فمن القرآن: قول الله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

ومن السنَّة: ما رواه «الشيخان»، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «بني الإسلام على خمسٍ: شهادةِ أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان»[١]. وهذا حديث صريح في بيان أركان الإسلام التي لا يقوم الدين إلا بها، وعلى رأسها شهادة التوحيد.

الأدلة الفطرية.

وأمَّا الفطرة: فإنَّ فطرة الإنسان السليم تقرُّ بأنَّ لهذا الكون ربًا خالقًا مدبرًا، وهذا مصداق قوله الله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٢٠].

١- رواه البخاري (٨) و(٤٢٤٣)، ومسلم (٢٠).

وقوله جلا جلاله: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [إبراهيم: ١٠].

وقوله: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧].

وقوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٣].

وقوله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥].

وقوله: ﴿لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٢٥].

فإذا أقر العبدُ بهذه الأدلة، وجب عليه أن يوحد ربه، وأن يعظمه، ويعبده، ويأتمر بأمره، ويجتنب سخطه. قال الله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣].

قال ابن عباس: «عظمة»، وهو قول الضحاكِ، وغيرُ واحدٍ[١].

وقال: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ قَالَ الضحاك: «يتشقَّقن من عظمة

١- تفسير جامع البيان (٢٣/٢٩٥).

الله عزَّ وجلَّ»[١].

والأدلة في ذلك كثيرة لمن قرأ وتأمل في آيات القرآن الكريم. ومن أدلة السنَّةِ ما جاء في «الصحيحين»، من حديثِ أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «ما من مولودٍ إلا يولدُ على الفطرة، فأبواه يهودانَه، أو ينصرانه، أو يمجِّسانه، كما تنتج البهيمةُ بهيمةً جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء»، ثمَّ يقولُ أبو هريرة ﷺ: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[٢].

وهذا الشهرستاني يقرُّ قائلًا: بـ«إنَّ الفطرة السليمة الإنسانية شهدت بضرورة فطرتها، وبديهة فكرتها على صانع حكيم عالم قدير»[٣].

وقال الإمام ابن القيم: «فلستَ ترى شيئًا أدلَّ على شيءٍ من دلالةِ المخلوقاتِ على صفات خالقها، ونعوتِ كماله، وحقائقِ أسمائه، وقد تنوعت أدلتها بحسب تنوعها، فهي تدل عقلًا وحسًا، وفطرةً ونظرًا، واعتبارًا»[٤].

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «فعلم أنَّ الفطرة السليمة إذا لم يحصل لها ما يفسدها، كانت مقرة بالصانعِ عابدة له»[٥].

وقد تبين أنَّ من شك أو كفر أو ألحد بالله العظيم، إنَّما كان لسوء فطرته، وخبث طويته، كما هو منصوص بكلام أهل العلم، فانتبه لذلك، قال يونس

١- العظمة (١/٣٤١).
٢- رواه البخاري في «صحيحه» (١٢٩٢)، ومسلم (٢٣٦٦).
٣- نهاية الإقدام في علم الكلام (ص٧٤) ط: دار الكتب العلميَّة.
٤- مدارج السالكين (٣/٣٣١-٣٣٢).
٥- شرح العقيدة الطحاوية (ص٨٤) ط: دار السلام.

بن عبيد: «لا كبر مع السجود، ولا نفاق مع التوحيد»[١].

وأمَّا القياس كما هو حاصل في كتب الفقه، فلا يقال به في حق الله تعالى، كما قال الإمام القاضي أبو يوسف الحنفي: «ليس التوحيد بالقياس، ألم تسمع إلى قول الله عز وجل في الآيات التي يصف بها نفسه أنه عالم قادر قوي مالك، ولم يقل إني قادر عالم لعلة كذا أقدر، ولسبب كذا أعلم، ولهذا المعنى أملك، فلذلك لا يجوز القياس في التوحيد، ولا يعرف إلا بأسمائه ولا يوصف إلا بصفاته»[٢].

وعن عكرمة أنَّ نجدة قال لابن عبَّاس: «كيف معرفتك بربك؟ لأنَّ من قبلنا اختلفوا علينا، فقال: إنَّ من ينصب دينه للقياس لا يزالُ الدهر في التباسٍ، مائلًا عن المنهاج، ظاعنا في الاعوجاج، أعرفُهُ بما عرَّف به نفسه، من غير رؤيةٍ، أصِفُهُ بما وصف به نفسه»[٣].

وقال الحافظ أبو عمر رحمه الله: «لا خلاف بين فقهاء الأمصار وسائر أهل السنَّة، وهم أهل الفقه والحديث في نفي القياس في التوحيد وإثباته في الأحكام إلا داود بن علي بن خلف الأصفهاني ثمَّ البغدادي ومن قال بقولهم، فإنَّهم نفوا القياس في التوحيد والأحكام جميعًا.

وأمَّا أهل البدع فعلى قولين في هذا الباب سوى القولين المذكورين:

١-الخمول والتواضع لابن الدنيا (ضمن مجموع رسائله) (٢/٤٠٧).
٢- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة (١/١٢٢).
٣- ذم الكلام للهروي (٢/٢٦٢)، وهو في «الجيوش والدساكر على ابن عساكر» لابن عبد الهادي (ص٦٦).

منهم: من أثبت القياس في التوحيد والأحكام جميعًا، ومنهم: من أثبته في التوحيد ونفاه في الأحكام»[١].

وليس في التوحيد خلاف؛ فالخلاف فيه كفر وشر، كما قال أبو يزيد البسطامي: «عملت في المجاهدة ثلاثين سنة، فما وجدت شيئًا أشد من العلم ومتابعته، ولولا اختلاف العلماء لشقيت، واختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد»[٢].

وهذا الخلاف من جنس خلاف اليهودِ والنصارى، قال ابن بطَّة العكبري رحمه الله: «وهم في اختلافهم وتباينهم كاختلافِ اليهود والنصارى، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣]. فاختلافهم كاختلاف اليهود والنَّصارى؛ لأنَّ اختلافهم في التوحيد، وفي صفات الله، وفي الكيفية، وفي قدرة الله، وفي عظمته، وفي نعيم الجنَّة، وفي عذاب النَّار، وفي البرزخ، وفي اللوح المحفوظ، وفي الرق المنشور، وفي علم الله، وفي القرآن، وفي غير ذلك من الأمور التي لا يعلمها نبي مرسل، إلا بوحي من الله»[٣].

١- جامع بيان العلم (٨٦/٢).
٢- صفة الصفوة (٤١٩/٤).
٣- الإبانة الكبرى (٥٥٥/٤-٥٥٦).

الأدلة العقلية.

وأمَّا المعقول: ففي النَّظر في المفعولات، وقراءة الآيات يتضح جليًا أنَّ الله واحد لا شريك له. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

قال ابن علان: «لدلائل واضحة على وجود الصانع ووحدته، وكمال علمه وقدرته ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ العقول المجلوة عن شوائب الحسّ والوهم»[١].

وقال اللالكائي: «وقد استدل إبراهيم بأفعاله المحكمة المتقنة على وحدانيته بطلوع الشمس وغروبها، وظهور القمر وغيبته، وظهور الكواكب وأفولها»[٢].

وقال: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال الحافظ ابن كثير: يقول الله تعالى لعبده ورسوله إلى الثقلين: الإنس والجن، آمرًا له أن يخبر النَّاس: أن هذه سبيله، أي: طريقه، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك، ويقين وبرهان، هو وكل من اتبعه، يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين، وبرهان شرعي وعقلي[٣].

١- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (٢/٢٩٤).
٢- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٩٣).
٣- تفسير ابن كثير (٤/٤٢٢).

◈قال بعض الأعراب[١]، وقد سُئِل: ما الدليل على وجود الربِّ تعالى؟ فقال: يا سبحان الله، إنَّ البعرة لتدل على البعير، وإنَّ أثر الأقدام لتدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج؛ ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟!

◈ وحكى فخر الدين عن الإمام مالك: أنَّ الرشيد سأله عن ذلك فاستدلَّ باختلافِ اللغاتِ والأصواتِ والنَّغماتِ.

◈ وعن أبي حنيفة أنَّ بعض الزنادقة سألوه عن وجود الباري تعالى، فقال لهم: دعوني فإنِّي مفكر في أمر قد أخبرت عنه ذكروا لي أنَّ سفينة في البحر موقرة فيها أنواع من المتاجر وليس بها أحد يحرسها ولا يسوقها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتخترق الأمواج العظام حتى تتخلص منها، وتسير حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقها أحد.

فقالوا: هذا شيء لا يقوله عاقل.

فقال: ويحكم! هذه الموجودات بما فيها من العالم العلوي والسفلي وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمة ليس لها صانع!! فبهت القوم ورجعوا إلى الحق

١- انظر لم يدرس في المدارس، ولم يدخل الجامعات، بل بفطرته وعقله السليم استدل على وحدانية الله دون أن يخوض في النظريات، أو يجري شيئًا من الاختبارات لبعض الأشياءِ في المختبرات، استدل أنَّ هذا الكون بصنعه البديع، وتكوينه الغريب، هو لرب جليل عظيم، فيا قبح أهل الإلحاد، ويا لجهلهم وهم يتشدقون بالعلم، ولم يستطيعوا أن يثبوا ما أثبت ذلك الأعرابي، وصدق الله إذ قال: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦] إنَّه عمى البصيرة لا البَصر، وكم من بصير يرى الحق ولا يتبعه وذلك لأنَّه؛ إمَّا مكبل بالذنوب والخطايا، أو لعمى بصريته، أو لتكبره والعجب الداخل لنفسه، نسأل لنا ولأهلينا والمسلمين العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

وأسلموا على يديه[١].

◈ وعن الشافعي: أنَّه سُئِلَ عن وجودِ الصَّانعِ؟

فقال: هذا ورق التوت طعمهُ واحدٌ؛ تأكله الدود فيخرج منه الإبريسم، وتأكله النُّحل فيخرج منه العسل، وتأكله الشاة والبعير والأنعام فتلقيه بعرًا وروثًا، وتأكله الظباء فيخرج منها المسك وهو شيء واحد!

◈ وعن الإمام أحمد بن حنبل أنَّه سُئِل عن ذلك، فقال: هاهنا حصن حصين أملس، ليس له باب ولا منفذ، ظاهره كالفضة البيضاء، وباطنه كالذهب الإبريز، فبينا هو كذلك إذ انصدع جداره فخرج منه حيوان سميع بصير، ذو شكل حسن وصوت مليح، يعني بذلك البيضة إذا خرج منها الدجاجة.

◈ وسئل أبو نواس عن ذلك، فأنشد:

تَأَمَّلْ فِي نَبَاتِ الْأَرْضِ وَانْظُرْ ... إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِيكُ

عُيُونٌ مِنْ لُجَيْنٍ شَاخِصَاتٌ ... بِأَحْدَاقٍ هِيَ الذَّهَبُ السَّبِيكُ

عَلَى قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِدَاتٌ ... بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ.

◈ وقال ابن المعتز:

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاحِدُ

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ[٢]

١- وانظر: شرح الطحاوية (ص٨٥).

٢- تفسير ابن كثير (١/١٩٧-١٩٨).

◈ وقال عامر بن عبد قيس: «ما نظرتُ إِلَى شيءٍ إِلَّا رأيت الله فيه»[١].

◈ وقال بشر بن الحارث: «لو تفكَّر النَّاسُ في عظمةِ الله لما عصوا اللهَ»[٢].

◈ وقيل لطبيب: بم عرفت ربك؟ قال: «بإهليلج مجفف أطلق، ولعاب ملين أمسك!». وقال آخر: «عرفته بنحلة بأحد طرفيها تعسل، والآخر تلسع! والعسل مقلوب اللسع»[٣].

◈ وكان سفيان بن عيينة، دائمًا يتمثل:

إِذَا الْمَرْءُ كَانَتْ لَهُ فِكْرَةٌ فَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ عِبْرَةٌ

◈ وقال ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ): «ورأيت من نفسي أنَّني كلَّما فتحت بصر التَّفكر، سنحَ له من عجائبِ الغيب ما لم يكن في حساب»[٤].

تفوحُ روائحُ الرَّيحانِ لا أزْكَى ولا أطْيَبْ
ويشْدُو الطيرُ في البستانِ لا أنْدَى ولا أطْرَبْ
ويزهو الزهرُ في الرّمانِ لا أبْهَى ولا أعْجَبْ
فَجَلَّتْ قُدرةُ الرحمنِ لا أقْوَى ولا أغْرَبْ
يُنادي البلبلُ الشَّادي رفيقتَه ويُغرِيها

١- شرح حديث: (لبيك اللهم لبيك) لابن رجب، من مجموع الرسائل (١/١٠٣) ط: الفاروق.
٢- حلية الأولياء (٨/٣٣٧).
٣-مفاتيح الغيب للرازي (٢/٣٣٤).
٤- صيد الخاطر (ص٢٣).

وتثغو[١] الشاةُ في الوَادِي فلا تُنسَى بوادِيها
وماءُ البركةِ الهادي يعانِقُ رمْلَ شَاطِيها
وألحانٌ من الحَادِي إلى الغَيْماتِ يُهديها[٢]

◈ وقال عروة بن محمد: لما استعملت على اليمن، قال لي أبي: «أولّيت اليمن؟ قلت: نعم. قال: «إذا غضبت فانظر إلى السماء فوقك، وإلى الارض أسفل منك، ثمَّ أعظم خالقهما»[٣].

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَا
وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَا
وَتَحْمِلُهُ مَلَائِكَةٌ كِرَامٌ مَلَائِكَةُ الْإِلَهِ مُسَوِّمِينَا[٤]

◈ وعن صدقة بن يسار، قال: «كان داود عليه السلام في محرابه فأبصر دودة صغيرة. قال: ففكر في خلقها، وقال: ما يعبأ الله جل ذكره بخلق هذه.

قال: فأنطقها الله عز وجل، فقالت: يا داود أتعجبك نفسك لأنا على قدر ما آتاني الله عز وجل أذكر لله وأشكر له منك على ما آتاك الله عز وجل: ﴿وَإِن

١- تصيح.
٢- ديوان النصر للإسلام (ص١٤٠-١٤١)، و«تعظيم الله تأملات وقصائد» (ص٢٣٢).
٣- تهذيب الكمال (٣٣/٢٠).
٤- الرد على الجهمية (ص٥٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١٢/٢٨)، والشعر لابن رواحة ﷺ.

﴿مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤][1].

مَا فِي الوجودِ سِواكَ رَبٌّ يُعْبَدُ ... لا ولَا مولى سِواكَ فيُقصَدُ

يا مَنْ لهُ عَنَتِ الوُجُوه بأسْرِها ... ذلًّا وكلُّ الكائناتِ تُوحِّدُ

أنتَ الإلهُ الواحدُ الفَرْدُ ... الَّذي كلُّ القُلوبِ لهُ تُقِرُّ وتَشهدُ

◈ وأنشد ابن أبي الدنيا في كتابه «التفكر والاعتبار»، عن شيخه أبي جعفر القرشي:

وَإِذَا نَظَرْتَ تُرِيدُ مُعْتَبَرًا ... فَانظُرْ إِلَيْكَ فَفِيكَ مُعْتَبَرُ

أنتَ الَّذِي يُمْسِي وَيُصْبِحُ فِي ... الدُّنْيَا وكُلّ أُمُوره عبَرُ

أنتَ المصرّفُ كانَ فِي صِغَرٍ ... ثُمّ استقَلَّ بِشَخْصِكَ الكِبَرُ

أنتَ الَّذِي تَنْعَاه خِلْقَتُه ... يَنْعاه مِنْهُ الشَّعْرُ والبَشَرُ

أنتَ الَّذِي تُعْطَى وَتُسْلَب لَا ... يُنْجيه مِنْ أنْ يُسْلَبَ الحَذَرُ

أنْتَ الَّذِي لَا شَيءَ منْه لَهُ ... وَأحَقُّ منْه بِمَاله القَدَرُ[2]

◈ قال قتادة رحمه الله في قوله عز وجل: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾ [الإسراء: ٧٢] قال: «من عمي عما يرى من الشمس والقمر، والليل، والنهار، وما يرى من الآيات، ولم يصدق بها، فهو عما غاب

١- شعب الإيمان (٤٢٦٠).

٢- ذكره ابن كثير في «تفسيره» (سورة فصلت) (١٨٧/٧).

عنه من آيات الله أعمى، وأضل سبيلا»[١].

(١٦) وعن محمد بن صالح التميمي، قال: كان بعض العلماء إذا تلا ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠] قال: «أشهد أنَّ السماوات والأرض، وما فيها آياتٍ تدل عليك، وتشهد لك بما وصفت به هيبتك، وكل يؤدي عنك الحجة، ويقر لك بالألوهية موسوما بآثار قدرتك، ومعالم تدبيرك الذي تجليت به لخلقك، فوُسمت القلوب من معرفتك ما آنسها من وحشة الفكر، وكفاها رحم الاحتجاب فهي على اعترافها بك شاهدة أنَّك لا تحيط بك الصفات، ولا تدركك الأوهام، وأن حظ المتفكر فيك الاعتراف بك، والتوحيد لك»[٢].

إِلَى اللهِ أُهْدِي مِدْحَتِي وثَنَائِيا ... وَقَولًا رَضِيًّا لَا يَنِي الدَّهرَ بَاقِيَا

إِلَى المَلِكِ الأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ ... إِلَهٌ وَلَا رَبٌّ يَكُونُ مُدَانِيَا

أَلَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ إِيَّاكَ وَالرَّدَى ... فَإِنَّكَ لَا تُخْفِي مِنَ اللهِ خَافِيَا

وَإِيَاكَ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللهِ غَيْرَهُ ... فَإِنَّ سَبِيلَ الرَّشْدِ أَصْبَحَ بَادِيَا

حَنَانَيْكَ إِنَّ الجِنَّ كَانَتْ رجَاءَهُم ... وَأَنْتَ إِلَهِي رَبُّنَا وَرَجَائِيَا

رَضِيْتُ بِكَ اللَّهُمَّ رَبًّا فَلَنْ أُرَى ... أَدِينُ إِلَهًا غَيْرَكَ اللهُ ثَانِيَا

وَأَنْتَ الَّذِي مِنْ فَضْلِ مَنٍّ وَرَحمَةٍ ... بَعَثْتَ إِلَى مُوسَى رَسُولًا مُنَادِيَا

١- العظمة لأبي الشيخ (٣٢٨/١)، والسيوطي في «الدر المنثور» وعزاه له (١٩٤/٤).
٢- العظمة لأبي الشيخ (٣٢٨٩/١)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٤٣/١٠).

فَقُلْتَ لَهُ اذْهَبْ وَهَارُونَ فَادعُوَا ... إِلَى اللهِ فِرْعَوْنَ الَّذِي كَانَ طَاغِيَا

وَقُولَا لَهُ آأَنْتَ سَوَّيتَ هَذِهِ ... بِلَا وَتَدٍ حَتَى اطْمَأَنَّتْ كَمَا هِيَا

وَقُولَا لَهُ آأَنتَ رَفَّعْتَ هَذِهِ ... بِلَا عَمَدٍ أَرفِقْ إِذًا بِكَ بَانِيَا

وَقُولَا لَهُ آأَنْتَ سَوَّيْتَ وَسْطَهَا ... مُنِيرًا إِذَا مَا جَنَّهُ اللَّيلُ هَادِيَا

وَقُولَا لَهُ مَنْ يُرْسِلُ الشَّمْسَ غَدْوَةً ... فَيُصْبِحُ مَا مَسَّتْ مِنَ الأَرْضِ ضَاحِيَا

وَقُولَا لَهُ مَنْ يُنْبِتُ الحَبَّ فِي الثَّرَى ... فَيُصْبِحُ مِنْهُ البَقْلُ يَهْتَزُّ رَابِيَا

وَيُخرِجُ مِنْهُ حَبَّهُ فِي رُؤُسِهِ ... وَفِي ذَاكَ آيَاتٌ لِمنْ كَانَ وَاعِيَا

وَأَنْتَ بِفَضْلٍ مِنْكَ نَجَّيْتَ يُونُسا ... وَقَدْ بَاتَ فِي أَضْعَافِ حُوتٍ لَيَالِيَا

وَإِنِي لَوْ سَبَّحْتُ بِاسْمِكَ رَبَّنَا ... لَأُكْثِرُ إِلَّا مَا غَفَرْتَ خَطَائِيَا

فَرَبَّ العِبَادِ أَلْقِ سَيبًا وَرَحْمَةً ... عَلَيَّ وَبَارِك فِي بَنِيَّ وَمَالِيا[1]

◈ وقال ابن الجوزي: «عرض لي في طريق الحج خوف من العرب-الأعراب-، فسرنا على طريق خيبر، فرأيت من الجبال الهائلة، والطرق العجيبة ما أذهلني، وزادت عظمة الخالق عز وجل في صدري، فصار يعرض لي عند ذكر تلك الطرق نوع تعظيم لا أجده عند ذكر غيرها. فصحت بالنفس: ويحك! اعبري إلى البحر، وانظري إليه، وإلى عجائبه بعين الفكر، تشاهدي أهوالًا هي أعظم

١- الروض الأنف (١/ ٣٨٦)، و«تعظيم الله» (ص١٧٢-١٧٣)، وهي من قول (زيد بن عمرو بن نفيل).

من هذه. ثمَّ اخرجي إلى الكون، والتفتي إليه، فإنَّك ترينه بالإضافة إلى السماوات والأفلاك كذرة في فلاة، ثمَّ جولي في الأفلاك، وطوفي حول العرش، وتلمحي ما في الجنان والنيران. ثمَّ اخرجي عن الكل، والتفتي إليه، فإنك تشاهدين العالم في قبضة القادر الذي لا تقف قدرته عند حد.

ثمَّ التفتي إليك، فتلمحي بدايتك ونهايتك، وتفكري فيما قبل البداية، وليس إلا العدم، وفيما بعد البلى، وليس إلا التراب.

فكيف يأنس بهذا الوجود من نظر بعين فكره المبدأ والمنتهى؟! وكيف يغفل أرباب القلوب عن ذكر هذا الإله العظيم؟! وبالله، لو صحت النفوس من سكر هواها، لذابت من خوفه، أو لغابت في حبه؛ غير أنَّ الحس غلب، فعظمت قدرة الخالق عند رؤية جبل، وإنَّ الفطنة لو تلمحت المعاني، لدلت القدرة عليه أوفى من دليل الجبل، سبحان من شغل أكثر الخلق بما هم فيه عَمَّا خلقوا له! سبحانه!»[١].

مَعَ اللهِ في سُبُحَاتِ الفِكَرِ ... مَعَ اللهِ في لَحَاتِ البَصَرْ

مَعَ اللهِ في زَفَرَاتِ الحَشَا ... مَعَ اللهِ في نَبَضَاتِ البَهَرْ [٢]

مَعَ اللهِ في رَعَشَاتِ الهَوَى ... مَعَ اللهِ في الخَلَجَاتِ الأُخَرْ

١- صيد الخاطر (ص١٦٠-١٧٠).

٢- البهر: ما يعتري الإنسان عند السعي الشديد والعدو من النهج وتتابع النفس.

مَعَ اللهِ في مُطْمَئِنِّ الكَرَى[١] مَعَ اللهِ عندَ امتدَادِ السَّهَر
مَعَ اللهِ آنَ اجتلاءِ السَّنا[٢] ونَيلِ المنى والهَنَاءِ الأغَرّ
مَعَ اللهِ حالَ اتِّقادِ الأسَى ووَقعِ الأذَى واحتِدَامِ الخَطَر
مَعَ اللهِ في حَملِ عِبءِ الضَّنَى مَعَ اللهِ بالصَّبر فيمَن صَبَر
مَعَ اللهِ والقَلبُ في نَشْوةٍ مَعَ اللهِ والنَّفسُ تَشكَو الضَّجَر
مَعَ اللهِ في كُلِّ بُؤسَى ونُعمَى مَعَ اللهِ في كُلِّ خيرٍ وشَر
مَعَ اللهِ في أَمسِيَ المنْقَضِي مَعَ اللهِ في غَدِيَ المنْتَظَرْ
مَعَ اللهِ في عُنْفُوَانِ الصِّبَا مَعَ اللهِ في الضَّعْفِ عِنْدَ الكِبَرْ
مَعَ اللهِ قَبْلَ حَيَاتِي وَفِيهَا وَمَا بَعْدَهَا، عِنْدَ سُكْنَى الحُفَرْ
مَعَ اللهِ في فَيْءِ[٣] فِرْدَوْسِهِ مَعَ اللهِ في عَوذِنَا مِنْ سَقَرْ

◈ وقال أبو عبد الله القرطبي (ت ٦٧١هـ): «إنَّ الله تعالى لم يقتصر بها في وحدانيته على مجرد الأخبار حتى قرنَ ذلك بالنَّظرِ والاعتبار في آي من القرآن، فقال لنبيه ﷺ: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ والخطاب للكفار، لقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني بالملكوت الآيات. وقال: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

١- الكرى: النوم.
٢- السنا: الضوء.
٣- فيء: هو الظل.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ﴾ يعني آدم عليه السلام، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: جعلنا نسله وذريته ﴿نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ إلى قوله: ﴿تُبْعَثُونَ﴾. فالإنسان إذا تفكر بهذا التنبيه بما جُعل له من العقل في نفسه رآها مدبرةً، وعلى أحوال شتَّى مصرَّفة. كان نطفة، ثمَّ علقة، ثمَّ مضغة، ثمَّ لحمًا وعظمًا، فيعلم أنَّه لم ينقل نفسه من حال النقص إلى حال الكمال؛ لأنَّه لا يقدر على أن يُحدِث لنفسه في الحال الأفضل التي هي كمالُ عقله وبلوغ أشدِّه عضوًا من الأعضاء، ولا يمكنه أن يزيدَ في جوارحه جارحة، فيدله ذلك على أنَّه في حال نقصه وأوان ضعفه عن فعل ذلك أعجز، وقد يرى نفسه شابًا، ثم كَهلًا، ثمَّ شيخًا وهو لم ينقل نفسه من حال الشباب والقوة إلى حال الشيخوخة والهرم، ولا اختاره لنفسه، ولا في وُسعِه أن يزايل حال المشيب ويراجع قوَّة الشباب، فيُعلم بذلك أنَّه ليس هو الذي فعل تلك الأفعال بنفسه، وأنَّ له صانعًا صنعه، وناقلًا نقله من حال إلى حال، ولولا ذلك لم تتبدَّل أحواله بلا ناقل ولا مدبر.

وقال بعض الحكماء: «إنَّ كل شي في العالم الكبير له نظيرٌ العالم الصغير، الذي هو بدنُ الإنسان، ولذلك قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ وقال: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

فحواسُّ الإنسان أشرفُ من الكواكب المضيئة، والسمعُ والبصرُ منها بمنزلة الشمس والقمر في إدراك المدركات بها، وأعضاؤه تصيرُ عند البلى ترابًا من

جنس الأرض، وفيه من جنسِ الماء العرقُ، وسائرُ رطوبات البدن، ومن جنسِ الهواء فيه الروحُ والنَّفس، ومن جنس النَّار فيه المرة الصفراء. وعروقُه بمنزلة الأنهار في الأرض، وكبده بمنزلة العيون التي تستمد منها الأنهار، لأنَّ العروق تستمد من الكبد، ومثانته بمنزلة البحر؛ لانصباب ما في أوعية البدن إليها كما تنصب الأنهار إلى البحر، وعظامه بمنزلة الجبال التي هي أوتاد الأرض، وأعضاؤه كالأشجار، فكما أنَّ لكلِّ شجرٍ ورقًا وثمرًا فكذلك لكلِّ عضوٍ فعل أو أثر. والشعرُ على البدنِ بمنزلةِ النبات والحشيش على الأرض، ثمَّ إنَّ الإنسان يحكي بلسانهِ كلَّ صوت حيوان، ويحاكي بأعضائهِ صنيع كلَّ حيوان، فهو العالم الصغير مع العالَم الكبير مخلوقٌ محدَث لصانع واحد، لا إله إلا هو»[١].

تأمَّل في نباتِ الأرضِ وانظرْ ... إلى آثار ما صنع المليك
عيونٌ من لُجينٍ شاخصاتٍ ... بأحداقٍ هي الذَّهبُ السَّبيكُ
على كثبِ الزبرجدِ شاهداتٌ ... بأنَّ اللهَ ليسَ لهُ شريك[٢]

◈ وقال شيخ الإسلام (ت ٧٢٨هـ): وأشهر من عرف تجاهله، وتظاهره بإنكار الصانع فرعون، وقد كان مستيقنًا في الباطن؛ كما قال له موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ وقال تعالى عنه وعن قومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ ولهذا قال: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ على وجه الإنكار له قال له موسى:

١- الجامع لأحكام القرآن (٢/٥٠٥-٥٠٦) ت: التركي.
٢- بنحوه في تاريخ دمشق لابن عساكر (١٣/٤٦٥).

﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٢٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ (٢٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ (٢٦) قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ (٢٧) قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ وقد زعم طائفةٌ أنَّ فرعونَ استفهم استفهام استعلام، فسأله عن الماهية، وأنَّ المسؤول عنه لما لم يكن له ماهية عجز موسى عن الجواب. وهذا غلط، وعلى هذا التقدير؛ يكون استفهم استفهام إنكار وجحد كما دل سائر آيات القرآن على أنَّ فرعون كان جاحدًا لله نافيًا له لم يكن مثبتًا له طالبًا للعلم بماهيته. فلهذا بيَّن لهم موسى أنَّه معروف وأنَّ آياته ودلائل ربوبيته أظهر وأشهر من أن يسأل عنه بما هو، فإنَّ هذا إنَّما هو سؤال عمَّا يجهل وهو سبحانه أعرف وأظهر وأبين من أن يجهل، بل معرفته مستقرة في الفطرة، أعظم من معرفة كل معروف، وهو سبحانه ﴿لَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وهو ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ فأهل السماوات والأرض يعرفونه ويعبدونه وإن كان أكثر أهل الأرض كما قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[1].

إِذَا سَكَن الغَديرُ عَلَى صَفَاء ... وَجُنبَ أنْ يُحَرِّكَهُ النَّسيمُ

تَرَى فِيهِ السَّمَاء بَلا امْتِرَاء ... كَذَاكَ الشَّمْسُ تَبْدو وَالنّجُومُ

كَذاكَ قُلُوبُ أرْبَاب التَّجَلِّي ... يُرَى فِي صَفْوها اللهُ العَظيمُ[2]

١- درء تعارض العقل والنقل (٤/٣٨٠).

٢- تفسير القرآن العظيم (٦/٣١٢).

◈ وقال ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ): «الربُّ تعالى يدعو عباده في القرآن إلى معرفته من طريقين:

أحدهما: النَّظر في مفعولاته.

والثاني: التفكُّر في آياتِهِ وتدبرها؛ فتلك آياتُهُ المشهودة، وهذه آياته المسموعة المعقولةُ.

فالنوع الأول: كقوله: ﴿إِنَّ فِي خلق السَّمَوَات وَالْأَرْض وَاخْتِلاف اللَّيْل وَالنَّهَار وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ إلى آخرها [البقرة:١٦٤] وقوله: ﴿إِنَّ فِي خلق السَّمَوَات وَالْأَرْض وَاخْتِلاف اللَّيْل وَالنَّهَار لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَاب﴾ [آل عمران: ١٩٠] وهو كثير في القرآن.

والثاني: كقوله: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآن﴾ وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا القَوْل﴾ وقوله ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاته﴾ وهو كثير أيضًا»[1].

◈ وقال: «وإذا اعتبرتَ المخلوقاتِ والمأموراتِ، وجدتَها بأسرها كلِّها دالة على النُّعوت والصِّفات، وحقائق الأسماء الحسنى، وعلمت أنَّ المعطِّلة من أعظم النَّاسِ عمىً بمكابرة، ويكفي ظهور شاهد الصنع فيك خاصة، كما قال تعالى: ﴿وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾ [الذاريات: ٢١] فالموجوداتُ بأسرِها شواهد صفاتِ الرب جل جلاله ونعوتِهِ وأسمائه، فهي كلها تشير إلى الأسماء الحسنى وحقائقها، وتنادي عليها، وتدلُّ عليها، وتخبر بها بلسان النطق والحال، كما

١- الفوائد (ص٢٨) ط: عطاءات العلم. وقال الشيخ عبد القادر الكيلاني (ت ٥٦١هـ) في «الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل» (٥٤/١): «أما معرفة الصانع عز وجل بالآيات والدلالات.... »، ثم ذكر ما يتعلق بالباب من الأدلة وغيرها.

قيل:

تَأَمَّلْ سُطُورَ الْكَائِنَاتِ فَإِنَّهَا ... مِنَ الْمَلِكِ الْأَعْلَى إِلَيْكَ رَسَائِلُ

وَقَدْ خَطَّ فِيهَا لَوْ تَأَمَّلْتَ خَطَّهَا ... أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلُ

تُشِيرُ بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ لِرَبِّهَا ... فَصَامِتُهَا يَهْدِي وَمَنْ هُوَ قَائِلُ»[1]

(٢٢) وقال الحافظ ابن كثير (ت ٧٧٤هـ): في تفسير قول الله تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

«يرشد تعالى عباده إلى التفكر في آلائه، وما خلق في السموات والأرض من الآيات الباهرة لذوي الألباب، ممَّا في السموات من كواكب نيرات، ثوابت وسيارات، والشمس والقمر، والليل والنهار، واختلافهما، وإيلاج أحدهما في الآخر، حتى يطول هذا ويقصر هذا، ثم يقصر هذا ويطول هذا، وارتفاع السماء واتساعها، وحسنها وزينتها، وما أنزل الله منها من مطر فأحيا به الأرض بعد موتها، وأخرج فيها من أفانين الثمار والزروع والأزاهير، وصنوف النبات، وما ذرأ فيها من دواب مختلفة الأشكال والألوان والمنافع، وما فيها من جبال وسهول، وقفار وعمران وخراب. وما في البحر من العجائب والأمواج، وهو مع هذا مسخر مذلل للسالكين، يحمل سفنهم، ويجري بها برفق بتسخير

١- مدارج السالكين بين منازل إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين (٣/٣٣١-٣٣٢).

القدير له، لا إله إلا هو، ولا رب سواه»[١].

وقال الله: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠]. قال الحافظ ابن كثير: «أي: فيها من الآيات الدالة على عظمة خالقها وقدرته الباهرة، ممَّا قد ذرأ فيها من صنوف النبات والحيوانات، والمهاد والجبال، والقفار والأنهار والبحار، واختلاف ألسنة الناس وألوانهم، وما جبلوا عليه من الإرادات والقوى، وما بينهم من التفاوت في العقول والفهوم والحركات، والسعادة والشقاوة، وما في تركيبهم من الحكم في وضع كل عضو من أعضائهم في المحل الذي هو محتاج إليه فيه»[٢].

وقال الشيخ أبو محمد القحطاني المالكي:

يَا مُنْزِلَ الآيَاتِ وَالفُرْقَانِ ... بَيِنِي وَبَيْنَكَ حرْمَةُ القُرْآن

اشْرَحْ بِهِ صَدْرِي لمعرِفَةِ الهُدَى ... وَاعْصِمْ بِهِ قَلبِي مِنَ الشَّيطَان

واحطُطْ بِهِ وِزْرِي وَأَخْلِصْ نِيَّتِي ... وَاشدُدْ بِهِ أَزْرِي وأَصْلِحْ شَانِي

واكْشِفْ بِهِ ضُرِّي وحقِّقْ تَوبَتِي ... أَرْبِحْ بِهِ بَيْعِي بِلَا خُسْرَان

طهِّر بِهِ قَلْبِي وصَفِّ سَرِيرَتِي ... أجمِلْ بِهِ ذِكْرِي وَأَعْلِ مكَانِي

وَاقْطَعْ بِهِ طَمَعِي وَشرِّفْ هِمَّتِي ... كَثِّرْ بِهِ وَرَعِي وَأحيِ جِنَانِي

أسهِرْ بِهِ لَيْلِي وأظْمِ جَوَارِحِي ... أسبِلْ بِفَيْضِ دُمُوعِهَا أجفَانِي

١- تفسير القرآن العظيم (٤/٢٩٩).
٢- المصدر نفسه (٧/٤١٩).

وَأمزِجْهُ يَا رَبِّي بلحْمِي مَعْ دَمِي ... وَاغْسِلْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الأَضْغَان

أَنْتَ الَّذِي صَوَّرْتَنِي وَخَلقتَنِي ... وَهَديْتني لِشَرَائِعِ الإِيمَان

أَنْتَ الَّذِي عَلَّمْتَنِي ورَحِمْتَنِي ... وَجعلتَ صَدْرِيَ واعِيَ القُرْآن

أَنْتَ الَّذِي أَطْعَمْتَنِي وَسقَيْتَنِي ... مِنْ غَيْرِ كَسْبِ يَدٍ وَلَا دُكَّان

وجَبرْتَنِي وَسَتَرْتَنِي وَنَصَرْتَنِي ... وَغَمَرْتَنِي بِالفَضْلِ والإِحْسَان

أَنْتَ الَّذِي آوَيْتَنِي وَحَبَوْتَنِي ... وَهَدَيْتَنِي مِنَ حِيرَةِ الخُذْلَان

وَزَرَعَتَ لِي بَيْنَ القُلُوبِ مَوَدَّةً ... وَالعَطْفَ مِنْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَان

وَنَشرتَ لِي فِي العَالمِينَ مَحَاسِنًا ... وَسَتَرْتَ عَنْ أبصَارِهِمْ عِصْيَانِي

لأُسَبِّحَنَّكَ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً ... ولتخدمنَّكَ في الدُّجَى أَرْكَانِي

ولأَذْكُرَنَّكَ قَائِمًا أَو قَاعِدًا ... ولَأَشْكُرَنَّكَ سائِرَ الأَحيَان[1]

فهذه الأدلة الشرعية والعقلية من خير الأدلة على توحيد رب البرية، ومن لم ينفعه مثل هذا، فلن ينفع غيره من الكلام إلا أن يشاء الله، وليس المقام بمقام توسع وعرض ونقد، وإنَّما شيء نحلي به الكتاب ونجمله، فيزيد في علم القارئ، ويشرح صدره، ويقوي عقله، ويذكي فهمه، والله الموفق إلى سواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ثمَّ أختم بالتنبيهِ إلى أنَّ: «مما يجب العلم به أنَّ مصطلح (وجود الله تعالى) أو (إثبات الصانع)، أو (إثبات واجب الوجود) وغيرها،

١- مقتبس من نونيته (١-٢٦).

هي مصطلحات مبتدعة برزت في الوسط الإسلامي؛ مع ظهور فرق الابتداع، واختلاط المسلمين بأهل الشك والريبِ؛ من أهل البلاد المفتوحة، فما كانت البيئة الإسلامية تعرف مثل هذه المصطلحات المحدثة، ولعلَّ مثل هذه المقالات روجها زنادقة البلاد المفتوحة؛ حقدًا وحسدًا على هذا الدين وأهله، عندما هالهم سرعة انتشاره وتقبله من أهل تلك البلاد، فعكف هؤلاء الزنادقة وغيرهم من القادة الدينيين على تأليف المقالات المنحرفة وزرع الشبه بين المسلمين الجدد»[١].

١- الخاتمة من الموسوعة العقدية (الكتاب الثاني: الإيمان بالله) (١/١٢٢).

من خالف في التوحيد

ولا يخالف في التوحيد إلا كل كافر بليد أو منافق عنيد، أما من كانت فطرته سليمة، وعقله صحيح فإنَّه يقر بالوحدانية، ويدين بالربوبية، ويتوجه بالعبودية لله سبحانه وتعالى.

قال ابن حزم: «اتفقوا أنَّ الله عز وجلَّ وحدَه لا شريكَ له، خالِقُ كلِّ شيءٍ غيره، وأنَّه تعالى لم يزل وحده لا شريك غيرُه معه»[1]. و**خالف في ذلك ملل الكفر، وهم كما قال ابن جزي: «الطوائف المخالفة في التوحيد: النصارى، والمجوس، والصابئة، والمنجمون، والطَّبائعيون.**

فأمَّا النصارى: فكفروا بأقوالهم الفاسدة ومذاهبهم الضالَّة في عيسى وأمه -عليهما السلام- وأبلغُ الردَّ عليهم مضمونُ خمس آيات:

(الأولى): قوله: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] فذلك صفة الحدوث والعبوديَّة، لا صفة الربوبية.

(الثانية): قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ﴾ [آل عمران: ٥٩] أي من قدَرَ على خلق الإنسان من غير أُمٍّ ولا ولدٍ قادرٌ على خلق آخرَ بأمٍّ دون والدٍ.

(الثالثة): قوله: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ [يونس: ٦٨] فإنَّ الغني المطلق لا يحتاج إلى زوجةٍ، ولا ولدٍ، ولا إلى أحد.

(الرابعة): قوله: ﴿وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ

١- الإجماع لابن حزم (ص٢٦٧) ط: ابن حزم.

﴿وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٢-٩٣]. فإنَّ الربوبيَّة والعبوديَّة لا يجتمعان.

(الخامسة): قول عيسى عليه السلام: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠]. وقوله: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ٧٢]. فاعترافهُ على نفسِهِ بالعبودية بيانُ كذبِ منْ وصفه بالربوبيَّة.

وأمَّا المجوس: فكفروا بعبادة النور. والردُّ عليهم قوله: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، فإنَّ المحدَث المخلوق لا يكون إلهًا.

وأمَّا الصابئة: فكفروا بعبادة الملائكة ونسبتهم إلى الله. والردُّ عليهم قوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

وأمَّا المنّجمون: فأثبتوا للكواكب تأثيرًا في الوجود. والردُّ عليهم: قوله: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ والمسخَّر مملوك مقهور، وقوله: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ فكيف يشارك مخلوق خالقه.

وأمَّا الطبائعيون: فنسبوا الأفعال للطبيعة. والردُّ عليهم: قوله: ﴿ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ [فاطر: ٢٧]. وقوله:

﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤]. فإن اختلاف الأشكال والألوان والروائح والطعوم والمنافع والمضار دليل على الفاعل المختار[١].أهـ.

١- القوانين الفقهية (ص٣٠-٣٢) ط: ابن حزم، وينظر: العقيدة في الله (تصورات الأمم الضالة

وقال أبو زكريا يحيى بن يوسف الزمي، قال: كنَّا عند عبد الله بن إدريس، فجاءه رجل فقال: يا أبا محمد، ما تقول في قوم يقولون: القرآن مخلوق؟ فقال: «أمن اليهود؟» قال: لا، قال: «فمن النصارى؟» قال: لا، قال: «فمن المجوس؟» قال: لا، قال: «فممن. . ..؟» قال: من أهل التوحيد، قال: ليس هؤلاء من أهل التوحيد، هؤلاء الزنادقة من زعم أنَّ القرآن مخلوق فقد زعم أنَّ الله مخلوق، يقول الله: ﴿بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، فالله لا يكون مخلوقًا، والرحمن لا يكون مخلوقًا، والرحيم لا يكون مخلوقًا، وهذا أصل الزنادقة، من قال هذا فعليه لعنة الله، لا تجالسوهم ولا تناكحوهم[١].

وقال الإمام ابن القيم: «وقد تقسَّمت الطَّوائف التَّوحيد، وسمى كلُّ طائفة باطلهم توحيدًا!

فأتباع أرسطو وابن سينا والنصير الطُّوسيَّ، عندهم التوحيد: إثبات وجودٍ مجردٍ عن الماهيَّة والصفة، بل هو وجودٌ مطلقٌ، لا يعرض لشيءٍ من الماهيَّات، ولا يقوم به وصفٌ، ولا يتخصَّص بنعت، بل صفاته كلها سلوب وإضافات، فتوحيد هؤلاء: هو غاية الإلحاد والجحد والكفر.

وفروع هذا التوحيد: إنكار ذات الرَّب، والقول بقدم الأفلاك، وأنَّ الله لا يبعث من في القبور، وأنَّ النُّبوة مكتسبة، وأنَّها حِرفةٌ من الحرف كالولاية والسياسة، وأنَّ الله لا يعلم عدد الأفلاك ولا الكواكب، ولا يعلم شيئًا من الموجودات

للمعبود) (ص٢٥٢) ط: دار النفائس.

١- خلق أفعال العباد للبخاري (ص٥١٢-٥١٣) ط: دار السنة.

المعينة البتة، وأنَّه لا يقدرُ على قلبِ شيءٍ من أعيانِ العالم ولا شقِ الأفلاك ولا خرقها، وأنَّه: لا حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهي، ولا جنَّة ولا نار، فهذا توحيد هؤلاء.

وأمَّا الاتحادية، فالتوحيد عندهم: أنَّ الحق المنزه هو عين الخلق المشبه، وأنَّه سبحانه هو عين وجود كل موجود، وحقيقته وماهيته، وأنَّه آية كل شيء، وله فيه آية تدل على أنَّه عينه، وهذا عند محققيهم من خطأ التعبير، بل هو نفس الآية، ونفس الدليل، ونفس المستدل، ونفس المستدل عليه، فالتعدد: بوجود اعتبارات وهمية، لا بالحقيقة والوجود، فهو عندهم عين النَّاكح، وعين المنكوح وعين الذَّابحِ وعين المذبوح، وعين الآكلِ وعين المأكول، وهذا عندهم: هو السرُّ الذي رمزت إليه هوامس الدهور الأولية، ورامت إفادته الهداية النَّبويَّة، كما قاله محققهم وعارفهم ابن سبعين.

ومن فروع هذا التوحيد: أنَّ فرعون وقومه مؤمنون كاملو الإيمان، عارفون بالله على الحقيقة، ومن فروعه: أنَّ عباد الأصنام على الحق والصواب، وأنَّهم إنَّما عبدوا عين الله سبحانه لا غيره، **ومن فروعه**: أنَّ الحق أن لا فرق في التحريم والتحليل بين الأم والأخت والأجنبية، ولا فرق بين الماء والخمر، والزنا والنكاح، الكلُّ في عينٍ واحدة، بل هو العين الواحدة، وإنَّما المحجوبون عن هذا السرِّ قالوا: هذا حرامٌ وهذا حلالٌ، نعم هو حرامٌ عليكم؛ لأنَّكم في حجابٍ عن حقيقة هذا التوحيد.

ومن فروعه: أنَّ الأنبياء ضيقوا الطريق على النَّاسِ، وبعَّدوا عليهم المقصود، والأمر وراء ما جاءوا به، ودعوا إليه.

وأمَّا الجهميَّة، فالتَّوحيد عندهم: إنكار علوِّ الله على خلقه بذاته، واستوائه على عرشه، وإنكار سمعه وبصره، وقوَّتِهِ وحياته، وكلامه وصفاته وأفعاله ومحبَّته، ومحبَّة العباد له، فالتَّوحيد عندهم: هو المبالغة في إنكار التوحيد الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه.

وأمَّا القدريَّة، فالتَّوحيد عندهم: هو إنكار قدر الله، وعموم مشيئته للكائنات، وقدرته عليها، ومتأخِّروهم ضمُّوا إلى ذلك توحيد الجهميَّة، فصار حقيقة التَّوحيدِ عندهم: إنكار القدر، وإنكار حقائق الأسماء الحسنى والصفات العلى، وربمَّا سمَّوا إنكار القدر، والكفر بقضاء الربِّ وقدره عدلًا، وقالوا: نحن أهل العدل والتوحيد!

وأمَّا الجبرية، فالتَّوحيد عندهم: هو تفرُّد الربِّ تعالى بالخلق والفعل، وأنَّ العباد غيرُ فاعلينَ على الحقيقةِ، ولا محدثين لأفعالهم، ولا قادرين عليها، وأنَّ الربَّ تعالى لم يفعل لحكمةٍ، ولا غايةٍ تطلب بالفعل، وليس في المخلوقات قوىً وطبائع وغرائز وأسبابٌ، بل ما تمَّ إلا مشيئةٌ محضةٌ ترجح مثلًا على مثل بغير مرجِّح ولا حكمةٍ ولا سببٍ البتَّة»[1].

١- مدارج السالكين (٣/٤١٦-٤١٧)، وقارنه بشرح ابن أبي العز على الطحاوية (ص٧٨-٨١).

فطرة الصبيان والعوام خير من منطق الفلاسفة وأصحاب الكلام.

فإنَّ التَّوحيد الذي في قلب العوام، أعظم من المقالات الفلسفية والنظريات اللامنطقية، ومن تأمل ذلك فلينظر مقارنًا بين حال العوام أصحاب الفطرة النقية، والقلوب الزكية، وبين هؤلاء الذين تشبعت قلوبهم بالمقالات الفارغة، والعلوم الفاسدة، كما قال العلامة الشوكاني رحمه الله: «ومن أمعن النَّظر في أحوال العوام وجد هذا صحيحًا، فإنَّ كثيرًا منهم نجد الإيمان في صدره كالجبال الرواسي، ونجد بعض المتعلقين بعلم الكلام، المشتغلين به، الخائضين في معقولاته التي يتخبط فيها أهلها لا يزال ينقص إيمانه، وتنتقض منه عروة عروة، فإن أدركته الألطاف الربانية نجا، وإلا هلك، ولهذا تمنى كثير من الخائضين في هذه العلوم، المتبحرين في أنواعها، في آخر أمره، أن يكون على دين العجائز، ولهم في ذلك من الكلمات المنظومة والمنثورة ما لا يخفى على من له اطلاع على أخبار الناس»[(١)].

وقد قال عمر بن عبد العزيز لرجل وسأله عن الأهواء: «عليك بدين الصبي الذي كان في الكتَّاب، والأعرابي، والهُ عمَّا سواهما»[(٢)].

وكان أبو المعالي الجويني يقول: «لقد جلت أهل الإسلام جولة وعلومهم، وركبتُ البحر الأعظم، وغصتُ في الذي نهوا عنه؛ كل ذلك في طلب الحق وهربًا من التقليد، والآن فقد رجعت عن الكل إلى كلمة الحق عليكم بدين

١- إرشاد الفحول (٧٥٨/٢) ط: دار السلام
٢- الإبانة لابن بطة (٣٣٤/١)، و«شرح السنة» (٢١٧/١).

العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطيف بره فأموت على دين العجائز ويختم عاقبة أمري عند الرحيل بكلمة الإخلاص فالويل لابن الجويني.

وكان يقول لأصحابه: يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام فلو عرفت أنَّ الكلام يبلغ بي ما بلغ ما تشاغلت به»[١].

وقال الشهرستاني: «عليكم بدين العجائز فهو من أسنى الجوائز»[٢].

وقال منشدًا:

لقد طُفتُ في تلك المعاهد كُلِّها ... وسيَّرت طرفي بين تِلكَ المعالِمِ

فلم أَرَ إلا واضَعًا كـفَّ حائـرٍ ... على ذَقَنٍ أو قارعًا سِنَّ نـادِمِ[٣]

وهذا الرازي يقول: «يا إله العالمين، إنِّي أرى الخلق مطبقين على أنَّك أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، فكل ما مده قلمي، أو خطر ببالي، فأستشهد وأقول: إنْ علمت منِّي أني أردت به تحقيق باطلٍ، أو إبطال حق، فافعل بي

١- قال الفقيه غانم الموشيلي: سمعت الإمام أبا المعالي يقول: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام».
وقال المازري في شرح (البرهان) في قوله: إن الله يعلم الكليات لا الجزئيات: «وددت لو محوتها بدمي».
وقيل: لم يقل بهذه المسألة تصريحا، بل ألزم بها لأنه، قال: بمسألة الاسترسال فيما ليس بمتناه من نعيم أهل الجنة، فالله أعلم.
قال الذهبي في «السير» (١٨/٤٧٢-٤٧٣): «هذه هفوة اعتزال، هجر أبو المعالي عليها، وحلف أبو القاسم القشيري لا يكلمه، ونفي بسببها، فجاور وتعبد، وتاب -ولله الحمد- منها، كما أنَّه في الآخر رجح مذهب السلف في الصفات وأقره».
٢- نهاية الإقدام (ص٤).
٣- انظر: نهاية الإقدام (ص٣)، و«الفتوى الحموية» (ص١٨٨)، ط: مكتبة المنهاج، وذكر طاش كبري زاده في «مفتاح دار السعادة» (١/٢٩٩)، نسبهما إلى (ابن سينا)، «وقيل: أنهما لأبي بكر محمد بن باجه، نسبهما ابن أبي العز الحنفي للشهرستاني نفسه».

ما أنا أهله، وإن علمت منّي أنّي ما سعيت إلا في تقديس اعتقدت أنّه الحق، وتصورت أنّه الصدق، فلتكن رحمتك مع قصدي لا مع حاصلي، فذاك جهد المقل، وأنت أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع في زلة، فأغثني، وارحمني، واستر زلتي، وامح حوبتي، يا من لا يزيد ملكه عرفان العارفين، ولا ينقص ملكه بخطأ المجرمين».

وقال: وأقول: «ديني متابعة الرسول محمد ﷺ، وكتابي القرآن العظيم، وتعويلي في طلب الدين عليهم»[١].

وقال أبو الوفاء بن عقيل: «لقد بالغت في الأصول طول عمري، ثمّ عدت القهقري إلى مذهب المكتب»

قال ابن الوزير رحمه الله معلقًا: «فانظر إلى أمر أعلام البرهان، وفرسان هذا الشأن، كيف رجعوا القهقري إلى ما قاله علماء الأثر وأئمة السّنّة، فإذا عرفت هذا تبيّن لك أنّ اختيار أهل الحديث لترك الكلام والتّأويل ليس يلازم البله وجمود الفطنة، وأنّه ربما ذهب إلى ذلك من هو ألطف منك طبعًا، وأصلب نبعًا، وأحسن فهمًا، وأغزر علمًا»[٢].

وعن أحمد بن سنان، يقول: كان الوليد الكرابيسي خالي، فلمَّا حضرته الوفاة قال لبنيه: تعلمون أحدًا أعلم بالكلام مني؟ قالوا: لا، قال: فتتهمونني؟ قالوا: لا، قال: فإنّي أوصيكم، أتقبلون؟ قالوا: نعم، قال: «عليكم بما عليه أصحاب

١- طبقات الشافعية للسبكي (٩١/٨).
٢- الروض الباسم (٣٤٩/٢) ط: عالم الفوائد.

الحديث فإنِّي رأيت الحق معهم لست أعني الرؤساء، ولكن هؤلاء المزقين ألم ترَ أحدهم يجيء إلى الرئيس منهم فيخطئه ويهجنه»

قال أبو بكر بن الأشعث: «كان أعرف النَّاس بالكلام بعد حفص الفرد الكرابيسي، وكان حسين الكرابيسي منه تعلم الكلام»[١].

قال الطوفي: «وقد اعترف أكثر أئمة أهل الكلام والفلسفة من الأولين والآخرين: أنَّ أكثرَ الطرائِق التي سلكوها في أمور الربوبيَّة بالأقيسة التي ضربوها، لا تفضي بهم إلى العلم واليقين وفي الأمور الإلهية، مثل تكلمهم بالجنس والعرض في دلائلهم ومسائلهم، ومقالة أساطين الفلسفة من الأوائل أنَّهم، قالوا: العلم الإلهيُّ لا سبيل فيه إلى اليقين، وإنَّما يتكلَّمُ فيه بالأولى والأخرى.

قال: ولهذا اتَّفق كلُّ من خبِرَ مقالةَ هؤلاء المتفلسفة في العلم الإلهيَّ أنَّ غالبهُ ظنونٌ كاذبة، وأقيسةٌ فاسدة، وأنَّ الذي فيه من العلم الحقِّ قليل»[٢].

وقال شيخ الإسلام: «وأمَّا اعتراف المتكلمة من الإسلاميين فكثير قد جمع العلماء فيه شيئًا وذكروا رجوع أكابرهم عمَّا كانوا يقولونه، وتوبتهم إمَّا عند الموت، وإمَّا قبل الموت؛ وهذا من أسباب الرحمة إن شاء الله تعالى في هذه الأمة، فإنَّ الله يقبل التوبة عن عبادة ويعفو عن السيئات وهذا أصح القولين في قبول توبة الداعي؛ لكن بقاء كلامهم وكتبهم وآثارهم محنة عظيمة في الأمة،

١- شرف أصحاب الحديث (ص٨٠)، وانظر: «تاريخ بغداد» (٤٧١/١٣)، و«مفتاح الجنة» للسيوطي (ص٧٠).

٢- أقاويل الثقات لمرعي الكرمي (٢٠٢/٤-٢٠٣) المطبوع ضمن رسائله، ط: دار اللباب.

وفتنة عظيمة لمن نظر فيها، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[١].

١- الاستقامة (١/٧٩).

التسليم في التوحيد سبب للنجاة

فإنَّ المسلم الحق هو من أسلم لله، فخضع لأوامر الشريعة، وعمل بها، ولم يعارضها بالعقل كما فعل اللاعقليون من المعتزلة والفلاسفة، ولم يعارضها بالوجد والعاطفة كما فعل غلاة الصوفية، ولم يحرف أو يتأول بما يوافق مزاجه وهواه، بل يكون على الخطا التي كان عليها النبي ﷺ، وصحابته الكرام ومن جاء من بعدهم من التابعين وتابع تابعيهم، فإنَّهم القرون المفضلة المشهود لهم، المعدلون بالقرآن والسنة، فإنَّهم سلموا ولم يعارضوا، وأثبتوا ولم يجسموا، فعجبًا لمن حكَّم الهوى على الهدى، والعقل على النقل![1].قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]

وقال: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]

وقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

قال الإمام الزهري: «من الله الرسالة، وعلى رسول الله ﷺ البلاغ، وعلينا

١- قال ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (ص٢٠١-٢٠٢) «ما أحسن المثل المضروب للنقل مع العقل، وهو: أنَّ العقل مع النقل كالعامي المقلد مع العالم المجتهد، بل هو دون ذلك بكثير، فإنَّ العامي يمكنه أن يصير عالما، ولا يمكن العالم أن يصير نبيًا رسولًا».

التسليم»[١].

وقال سفيان بن عيينة: «كلُّ ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه، فتفسيرُه قراءتُه، والسُّكوتَ عليه، ليس لأحدٍ أن يفسره إلا الله عزَّ وجلَّ ورسله»[٢].

وقال الوليد بن مسلم: سألت الأوزاعي وسفيان الثوري، ومالك بن أنس عن هذه الأحاديث التي فيها ذكر الرؤية، فقالوا: «أمروها كما جاءت بلا كيف»[٣].

قال مالك بن أنس: إيَّاكم والبدع، قيل: يا أبا عبد الله، وما البدع؟ قال: «أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته، وكلامه، وعلمه، وقدرته، ولا يسكتون عمَّا سكت عنه الصحابة، والتابعون لهم بإحسان»[٤].

وقال الشافعي: «آمنت بالله وبما جاء عن الله، على مراد الله، وآمنت برسول الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله»[٥].

وقال لما سُئِل عن الاستواء: «آمنتُ بلا تشبيه، وصدَّقتُ بلا تمثيل، واتهمتُ نفسي في الإدراك، وأمسكتُ عن الخوضِ غاية الإمساكِ».

وقال أحمد: «استوى كما ذكر، لا كما يخطُرُ للبشر»[٦].

١- صحيح البخاري (٦/٢٧٣٧)، وانظر: «تغليق التعليق» (٥/٣٦٥-٣٦٦).
٢- شرح السنة (١/١٧١).
٣- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٩٣٠) (٣/٥٨٣).
٤- ذم الكلام (٥/٧٠).
٥- لمعة الاعتقاد (ص٧).
٦- ذكرها مرعي الكرمي في «أقاويل الثقات» (٤/٢١٣).

وقال الطحاوي: «ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام»[١].

قال البربهاري: «احذر صغار المحدثات من الأمور، فإنَّ صغار البدع، تعود كبارًا، فالكلام في الرب -عز وجل- محدث وبدعة وضلالة، فلا نتكلم فيه إلا بما وصف به نفسه، ولا نقول في صفاته: لم؟ ولا كيف؟ والقرآن كلام الله، وتنزيله ونوره ليس مخلوقًا، والمراء فيه كفر»[٢].

الْعلم قَالَ الله قَالَ رَسُوله ... قَالَ الصَّحَابَة لَيْسَ خلف فِيهِ

مَا الْعلم نصبك للْخلاف سفاهة ... بَين الرَّسُول وَبَين رَأْي سَفِيه

كلا وَلَا نصب الْخلاف جَهَالَة ... بَين النُّصُوص وَبَين رَأْي فَقِيهِ

كلا وَلَا رد النُّصُوص تعمدا ... حذرا من التجسيم والتشبيه[٣]

١- الطحاوية مع شرحها لابن أبي العز (ص٢٠١)، وهذا القول ذكره البغوي في «شرح السنة» (١/١٧١) بقوله: وقال بعض السلف: «قدم الإسلام لا تثبت إلا على قنطرة التسليم».

٢- سير أعلام النبلاء (١٥/٩١).

٣- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم (١/١٢٣)، وقال أبو عبد الله المرسي كما في «السير» (٢٣/٣١٤).

مَنْ كَانَ يَرغب فِي النَّجَاة فَمَا لَهُ ... غَيْر اتِّبَاع المصْطَفَى فِيمَا أَتَى

ذَاك السَّبِيل المسْتقيم وَغَيْرُهُ ... سبل الضَّلَالَة وَالغوَايَة وَالرَّدَى

فَاتَّبِعْ كِتَابَ اللهِ وَالسُّنَنَ الَّتِي ... صَحَّتْ فَذَاكَ إِنِ اتَّبعتَ هُوَ الهُدَى

وَدعِ السُّؤَال بِلِمْ وَكَيْفَ فَإِنَّهُ ... بَابٌ يَجُرُّ ذَوِي البصِيْرَةِ لِلْعمَى

الدِّيْنُ مَا قَالَ الرَّسُولُ وَصحبُهُ ... وَالتَّابِعُوْنَ وَمَنْ مَنَاهِجَهُم قفَا

أقسام التوحيد

فإن قال قائل ما هي أقسام التوحيد؟ فالجواب: تنوعت عبارات علماء أهل السنة في التعبير عن أنواع التوحيد، ولكنها مع ذلك التنوع متفقة في المضمون، ولعلَّ السبب في ذلك هو أنَّ تلك التقسيمات مأخوذة من استقراء النصوص، ولم ينص عليها باللفظ مباشرة، **ولذلك فمن العلماء من قسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام**[1]**، هي: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات.**

فتوحيد الربوبية: هو إفراد الله تعالى بالخلق والرزق والإحياء والإماتة وسائر أنواع التصريف والتدبير لملكوت السماوات والأرض، وإفراده تعالى بالحكم والتشريع بإرسال الرسل وإنزال الكتب، قال الله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤].

وتوحيد الألوهية: هو إفراد الله تعالى بالعبادة فلا يعبد غيره، ولا يدعى سواه، ولا يستغاث ولا يستعان إلا به، ولا ينذر ولا يذبح ولا ينحر إلا له، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢]. وقال: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر:٢].

١- ينظر: الإبانة لابن بطة (١٤٩/٦)، و«الطحاوية» مع شرحها (ص٧٨)، و«طريق الهجرتين» (ص٣٠)، و«لوامع الأنوار» للسفاريني (١٢٨/١)، و«أضواء البيان» (١٧/٣-١٩).
وذكر ابن عقيل في «الفنون» (٣٨٩/١)، قال الشافعي: «لم يحلف بالله، ولا بصفة من صفاته، ولا باسم من أسمائه؛ فلم يك حالفًا، كما لو حلف بالرسول والكعبة».

وتوحيد الأسماء والصفات: هو وصف الله تعالى وتسميته بما وصف وسمى به نفسه، وبما وصفه وسماه به رسوله ﷺ في الأحاديث الصحيحة، وإثبات ذلك له من غير تشبيه ولا تمثيل ومن غير تأويل ولا تعطيل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١][(١)].

ومن المتأخرين من زاد قسمًا على الأقسام الثلاثة السابقة، وسمَّاه: الأتباع أو توحيد الحاكمية (أي التحاكم إلى الكتاب والسنة) ولكن يلاحظ على من ذكر هذا القسم أنَّ هذا القسم في الحقيقة داخل ضمن توحيد الألوهية؛ لأنَّ العبادة لا تقبل شرعًا إلا بشرطين هما: (الإخلاص، والإتباع)، كما قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

ومن العلماء من قسم التوحيد إلى قسمين، وهذا هو الأغلب في كلام أهل العلمِ المتقدمين لأنهم يجمعون بين توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفاتِ، وذلك بالنظرِ إلى أنهما يشكلان بمجموعهما جانب العلم بالله ومعرفته عز وجلَّ، فجمعوا بينهما لذلك، بينما توحيد الألوهية يشكل جانب العمل لله. وتقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام راجع إلى اعتبار متعلق التوحيدِ، وتقسيمه إلى قسمين إلى اعتبار ما يجب على الموحد، فمن العلماء من يقول: التوحيد قسمان:[(٢)].

١- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٣/١).

٢- ممَّن ذكر ذلك ابن القيم في «مدارج السالكين» (٤٤٩/٣).

القسم الأول: توحيد المعرفة والإثبات: ويراد به توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وسمي بتوحيد المعرفة؛ لأن معرفة الله عز وجلَّ إنما تكون بمعرفة أسمائه، وصفاته، وأفعاله.

والإثبات: أي إثبات ما أثبته الله لنفسه من الأسماء والصفات والأفعال.

القسم الثاني: توحيد القصد والطلب: ويراد به الألوهية، وسمي بتوحيد القصد والطلبِ؛ لأنَّ العبد يتوجه بقلبه ولسانه وجوارحهِ بالعبادة لله وحد رغبة ورهبة، ويقصد بذلك وجه الله، وابتغاء مرضاته.

ومن العلماء من يقسم التوحيد إلى قسمين، هما[١]:

القسم الأول: التوحيد العلمي الخبري: والمقصود به توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفاتِ، وسمي بالتوحيد العملي: لأنَّه يعتني بجانب معرفة الله، فالعلمي أي (العلم بالله)، والخبري لأنه يتوقف على الخبر أي: (الكتاب والسنة).

القسم الثاني: التوحيد الإرادي والطلبي: والمقصود به توحيد الألوهية، وسمي بالتوحيد الإرادي لأن العبد له في العبادات إرادة، فهو إما أن يقوم بتلك العبادة أو لا يقوم بها، وسمي بالطلبي؛ لأنَّ العبد يطلب بتلك العبادات وجه الله ويقصده عز وجل بذلك.

ومن العلماء من يقسم التوحيد إلى قسمين، فيقول[٢]: **القسم الأول**: التوحيد القولي: والمراد به توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وسمي قولي

١- ممَّن ذكر ذلك ابن القيم في «مدارج السالكين» (٣/٤٥٠)، وابن تيمية في «الصفدية» (٢/٢٢٨).
٢- ممَّن ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١/٣٦٧).

لأنه في مقابل توحيد الألوهية الذي يشكل الجانب العملي من التوحيد، وأمَّا هذا الجانب فهو مختص بالجانب القولي.

القسم الثاني: التوحيد العلمي: والمراد به توحيد الألوهية، وسمِّي بالعملي؛ لأنه يشمل كلًا من عمل القلب، وعمل اللسان، وعمل الجوارح التي تشكل بمجموعها جانب العمل من التوحيد، فالتوحيد له جانبان: جانب تصديقي علمي، وجانب انقيادي عملي[١].

قال الشيخ العلامة بكر أبو زيد ﷺ: «هذا التقسيم الاستقرائي لدى متقدمي علماء السلف أشار إليه ابن منده، وابن جرير الطبري وغيرهما، وقرره شيخا الإسلام ابن تيمية وابن القيم، وقرره الزَبيدي في "تاج العروس"، وشيخنا الشنقيطي في "أضواء البيان" في آخرين رحم الله الجميع»[٢].

١- ينظر: الموسوعة العقدية (١/١٢٧-١٢٩)، و«معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات» (ص٣٧) كما ذكر أصحاب الموسوعة، ومن الكتب المصنفة المباركة في الباب (القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد).

٢- القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد (ص٣١). وفي كتاب «المسلك الرشيد في شرح كتاب التوحيد» (١/٢٧-٢٨)

(بداية الشرك في بني آدم):

تقسيم التوحيد يقوم على خمسة أصول أساسية:

الأصل الأول: أنَّ التقسيم داخل دائرة الاصطلاح، فهو -التقسيم- ليس تقريرًا لحكم شرعي مخصوص، وإنَّما هو من قبيل المصطلحات، وتنطبق عليه قاعدتها.

الأصل الثاني: أنَّ الأصل في باب المصطلحات أنَّه باب اجتهادي، والأبواب الاجتهادية لا يشترط فيها التوقيف من الشارع، وإنَّما يشترط فيها عدم مخالفة الشرع، والصحة والاستقامة في المعنى واللفظ، يقول ابن القيم: «الاصطلاحات لا مشاحة فيها إذا لم تتضمن مفسدة».

الأصل الثالث: أنَّ التقسيم يتنوع بتنوع الاعتبارات المراعاة فيه، فالأمور المتعددة يمكن أن تقسم إلى أقسام متنوعة بحسب المعنى المعتبر في كل تقسيم.

الأصل الرابع: أن إفراد نوع من الأنواع بقسم خاص: مقبول، إذا وجد ما يسوغه شرعًا وواقعًا، ولا

وقال به أيضًا جماعة كثر، كابن حبان ﷺ في مقدمة كتابه (روضة العقلاء)[١].

يعد انخرامًا في التقسيم أو اضطرابًا فيه.

الأصل الخامس: أن ثمَّ فرقًا بين المضامين الشرعية وأحكامها وبين تقسيم المضامين الشرعية، فالأمر الاصطلاحي هو التقسيم وليس المضامين ذاتها، فالركوع مثلًا بناء على النصوص الشرعية هو جزء أساسي لا تصح الصلاة إلا به، سواءً جُعل من الشروط أو من الأركان أو من غيرها.

فالتقسيمات التي يذكرها العلماء في الحقائق الشرعية ليست لإثبات المضامين الشرعية، وإنَّما لفرزها وتصنيفها بعد ثبوتها بأدلتها المعتبرة.

١- قال رحمه الله (ص٧٧) ط: أروقة: «الحمد لله المتفرد بوحدانية الألوهية، المتعزز بعظمة الربوبية، القائم على نفوس العالم، بآجالها والعالم بتقلبها وأحوالها، المانِّ عليهم بتواتر آلائه، المتفضل عليهم بسوابغ نعمائه، الذي أنشأ الخلق حين أراد بلا معين ولا مشير، وخلق البشر كما أراد بلا شبيه ولا نظير، فمضت فيهم بقدرته مشيئته، ونفذت فيهم بعزته إرادته...».

منزلة التوحيد عند شيوخ الصوفية

وهذا فصل يجدر التنبيه له، ولفت النظر إليه، فإنَّ أهل التصوف لهم من المقالات البديعة، والأقوال النافعة المفيدة في ما يتعلق بالتوحيد، وذمِّ البدعة، والحث على التمسك بالسنَّة الشيء الكثير، ونجد هذا واضحًا جليًا بما ضمنه العلامة أبو إسحاق الشاطبي رحمه الله في كتابه النافع (الاعتصام) إذ أنَّه نقل فيه إنكار علماء الصوفية وشيوخهم المعتبرين للبدعة[١]، وكذا شيخ الإسلام في عددٍ مِنْ مصنفاته، كـ: (الاستقامة)[٢]، ومثله تلميذه الإمام العلامة ابن القيم في (إغاثة اللهفان)[٣]، وتلميذه ابن رجب[٤]. وابن عبد الهادي (ابن المبرد)[٥] وغيرهم، وبهذا نعلم أنَّ الصوفية ليسوا على مرتبة واحدة[٦]، ومع الذي ذكرنا،

١- الاعتصام (١/١٤٩) (الوجه الرابع من النقل ما جاء في ذم البدع وأهلها عن الصوفية المشهورين عند الناس)، وانظر: سير السف الصالحين لقوام السنة فإنه ذكر ذلك في نثار تراجمهم.

٢- الاستقامة (١/٩٥-٩٨)، و«مجموع الفتاوى» (١١/٥٩٥).

٣- (١/١٢٤)، وفي «مدارج السالكين» (منزلة العلم) (٢/٤٦٤).

٤- في كتاب «فضل علم السلف على الخلف» (من مجموع رسائله) (٤/٦٨-٦٩)، وفي كثير من مصنفاته ينقل عن علماء التصوف.

٥- في كتاب جمع الجيوش والدساكر (ص٩١-٩٦) ط: دار العقيدة.

٦- **ومن أقوالهم في التمسك بالسنة، ونبذ البدعة**، قول سهل التستري: «أصولنا سبعة أشياء: التمسك بكتاب الله، والاقتداء بسنة رسول الله، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق».

وقال أبو سليمان الداراني: «ربما تقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياما، فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة».

وقال أحمد بن أبي الحواري: «من عمل عملا بلا اتباع سنة فباطل عمله».

وقال أبو حفص الحداد: «من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره فلا تعده في ديوان الرجال».

وسئل عن البدعة فقال: «التعدي في الأحكام، والتهاون في السنن، واتباع الآراء والأهواء، وترك الاتباع والاقتداء».

فإنَّ بعضهم وقع له من المخالفات الشرعية وهي من جنس الشطحات المبالغ فيها، والتكلف الذي جاءت الشريعة بضبطه[١]، وفي الوسط الخير والسلامة، والراحة والنجاة، وقد أنصف القوم كعادته الإمام وشيخ الإسلام ابن تيمية الحراني، وكذا تلميذه الحافظ الذهبي في كثير من مقالاته وأقواله المدونة في كتبه، ككتابه: (سير أعلام النبلاء)، و(تذكرة الحفاظ) وغيرها من الكتب.

قال شيخ الإسلام: **فطائفة «ذمت الصوفيَّة والتَّصوف»** وقالوا: إنَّهم مبتدعون خارجون عن السنة، ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف، وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام.

و «طائفة غلت فيهم» وادعوا أنَّهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء، وكلا طرفي هذه الأمور ذميم[٢].

والصواب: «أنَّهم مجتهدون في طاعة الله» كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب.

وقال الجنيد البغدادي: «الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ».

وقال: «من لم يحفظ القرآن، ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الأمر، لأنَّ علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة».

وقال أبو عثمان الحيري: «من أمَّر السنَّة على نفسه قولًا وفعلًا نطق بالحكمة، ومن أمَّر الهوى على نفسه قولًا وفعلًا نطق بالبدعة. قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾».

١- ينظر: كتاب (دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها) (١/١٢٩-١٣٢) ط: دار الوطن.

٢- لأنَّ فيه غلوًا وشططًا بغير علم وحكمة.

ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه عاصٍ لربه، وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة؛ ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم كالحلاج مثلًا؛ فإنَّ أكثر مشايخ الطريق أنكروه وأخرجوه عن الطريق، مثل: الجنيد بن محمد سيد الطائفة وغيره. كما ذكر ذلك الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي؛ في «طبقات الصوفية» وذكره الحافظ أبو بكر الخطيب في «تاريخ بغداد». فهذا أصل التصوف»[١].

وقال الحافظ الذهبي: «القادح في مُحِق الصوفية، داخلٌ في حديث (من عاد لي وليًا فقد بارزني بالمحاربة)، والتارك لإنكار الباطل مما سمعه من بعضهم تاركٌ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»[٢].

وقال العلامة مرعي الكرمي الحنبلي: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قال أبو نعيم الأصبهاني صاحب "الحلية" في عقيدة له قال في أولها: «طريقتنا طريقة المتبعين الكتاب والسنة، وإجماع الأمة؛ قال: فمما اعتقدوه أن الأحاديث التي ثبتت عن النبي ﷺ في العرش واستواء الله يقولون بها؛ ويثبتونها من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه، وأنَّ الله بائن من خلقه والخلق بائنون منه، لا يحل فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستوٍ على عرشه في سمائه دون أرضه وخلقه»[٣].

ومن هذه الأقوال: قول يحيى بن معاذ الرازي: «اختلاف الناس كلهم يرجع إلى ثلاثة أصول، فلكل واحد منها ضد، فمن سقط عنه وقع في ضده: التوحيد

١- مجموع الفتاوى (١١/١٢-١٢).
٢- الموقظة في علم مصطلح الحديث (ص٨٩).
٣- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات لمرعي الكرمي (٤/١٨٣)، و«مجموع الفتاوى» (٥/٦٠).

وضده الشرك، والسنة وضدها البدعة، والطاعة وضدها المعصية»[١].

وقال الجلاجلي البصري: «التوحيد موجب يوجب الإيمان، فمن لا إيمان له فلا توحيد له»[٢].

وقال سهل التستري: «ليس في خزائنِ الله أكبر من التوحيد»[٣].

وقال أحمد بن أبي الحواري، قال: قلت لأبي معاوية الأسود: «يا أبا معاوية، ما أعظم النعم علينا في التوحيد، نسأل الله عز وجل أن لا يسلبناه»، قال: «يحق على المنعم أن يتم على من أنعم عليه»[٤].

وقال الجنيد البغدادي: «أقلُّ ما في الكلام سقوطُ هيبة الربِّ من القلب، والقلبُ إذا عرِي من الهيبةِ من الله عري من الإيمان»[٥].

وقال الحارث المحاسبي: «وَأما شعب الإِخلَاص فلا يُسمى المخلص مخلصًا حَتَّى يفرد الله عز وَجل من الأَشبَاه والأنداد والصاحبة والأولَاد، ثمَّ إِرَادَته الله بِإِقَامَة التَّوْحِيد وَجمع الْهم لَهُ وَبِه فِي النَّقْل وَالْفَرْض»[٦].

وقال أبو عبد الله المرتعش: «أصول التوحيد ثلاثة: معرفة الله بالربوبية، والإقرار له بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة»[٧].

١- الاعتصام للشاطبي (١/١٥٤).
٢- الرسالة القشيرية (٢/ ٤٤٦).
٣- حلية الأولياء (١٠/ ١٩٦).
٤- كتاب الشكر لابن أبي الدنيا (ضمن مجموع الرسائل) (٣/ ٢٤٢).
٥- أقاويل الثقات (٤/٢٠٥)، والاستقامة (١/١١١).
٦- رسالة المسترشدين (ص١٧٤-١٧٥).
٧- حلية الأولياء (١٠/ ٢٥٥).

وقال أبو الطيب المراغي: «صفاء العبادات لا ينال إلا بصفاء التوحيد»[١].

وقال البوشنجي: «التوحيد حقيقة معرفته كما عرَّف نفسه إلى عباده، ثم الاستغناء به عن كل ما سواه»[٢].

وقال ذا النون المصري: «من كمال سعادة المرء سبع خصال: صفاء التوحيد، وغريزة العقل، وكمال الخلق، وحسن الخلق، وخفة الروح، وطيب المولد، وتحقيق التواضع»[٣].

وقال أبو الحسن الشاذلي: «خذ الكتاب والسنة صاحبًا، وذرِ الناس جانبًا، واحذر بنيات الطريق، وإياك والمتشابه، وعليك بالعتيق، وأسأل الله التوفيق»[٤].

قال شيخ الإسلام: «وللشيوخ المشهورين بالخير، كالفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني والجنيد بن محمد وسهل بن عبد الله التستري وعمر بن عثمان المكي وأبي عثمان النيسابوري وأبي عبد الله بن خفيف الشيرازي ويحيى بن معاذ الرازي وأمثالهم من الكلام في إثبات الصفات والذم للجهمية والحلولية مالا يتسع هذا الموضع لعشره.

بل قد قيل للشيخ عبد القادر الجيلي -قدس الله روحه- هل كان لله ولي على غير اعتقاد أحمد بن حنبل؟ فقال: لا كان، ولا يكون.

قال شيخ الإسلام معلقًا: والاعتقاد إنَّما أضيف إلى أحمد؛ لأنَّه أظهره، وبيَّنه

١- الرسالة القشيرية (١٠/ ٢١).
٢- حلية الأولياء (١٠/ ٣٧٩).
٣- شعب الإيمان (٧٨٧٦).
٤- سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٣) (الجزء المفقود) ط: الدار العالمية.

عند ظهور البدع، وإلا فهو كتاب الله وسنة رسوله، وحظ أحمد منه كحظ غيره من السلف»[١].

١- درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٤-٥).

معنى لا إله إلا الله

ولا إله إلا الله، كلمة جمعت جمال المعاني وقوة المباني، وتضمنت النفي والإثبات، واستوفت حقيقة التوحيد منطوقًا ومضمونًا، وفعلًا ومفهومًا[١]، وهي أول واجب وآخر واجب، فبها النجاة أولًا وآخرًا.

وهي كلمة يراد بها إفراد الله بالوحدانية والإقرار له بالربوبية، فـ(لا إله إلا الله) تعني أنَّه لا معبود بحق إلا الله[٢]، فلا يستحق العبادة التي أمر الله بها عباده وخلق الخلق لأجلها إلا هو، فكل معبود عبد من دون الله فإنَّما عبد بالباطل؛ أمَّا الله تعالى فهو المعبود بحق، لأنَّه خالقُ النَّاسِ من العدم، والرازق للخلقِ بدون ضعفٍ أو نقص، فهو الحي القيوم، والأحد الصمد الذي لا يعجزه شيء في الأرض والسماء.

فينبغي للمسلم أن يستحضر مع النُّطقِ بها فهم معناها، وأن يعقد القلب عليها،

١- قال الشيخ ابن قاسم الحنبلي في «حاشية كتاب التوحيد» (ص٣١) بالاستفادة «شهادة أن لا إله إلا الله» للشيخ صالح سندي (ص٥٠-٦٠)، قلت: وهي بنحوه في (معنى لا إله إلا الله) للزركشي (ص٨٢-٨٣): «لا إله إلا الله اشتملت على الأمرين بل أعلاها وأولاها، وهي أكثرُ الأذكارِ وجودًا، وأيسرُها حصولًا، فإنَّ أحرفها كلها جوفية ليس فيها حرف شفوي، فيمكن قائلها أنْ يقولها من غير فتحِ فمه، وهو أسلم وأبعد عن الرياء.

وفي كونها جوفية إشارةٌ إلى أنَّها تخرج من القلب.

وأحرفها كلها مهملة فتنبئ عن التجردِ من كلِّ معبودٍ سوى الله».

٢- قال الإمام ابن جرير في تفسير (٣٥٦/٢٠) قوله تعالى: ﴿هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥]، «هو الله الذي لا تنبغي الألوهة إلا له، وربكم الذي لا تصلح الربوبية لغيره، لا الذي لا ينفع ولا يضر، ولا يخلق ولا يرزق».

وقال (٢٠٨/٢١) في تفسير قوله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ «فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهة، ويجوز لك وللخلق عبادته، إلا الله الذي هو خالق الخلق، ومالك كل شيء، يدين له بالربوبية كل ما دونه».

فخير الذكر ما جمع بين النطق باللسان والعقد عليهِ بالجنان فـ «الذكر يكون بالقلب، ويكون باللسان، والأفضل منه ما كان بالقلب واللسان جميعًا، فإن اقتصر على أحدهما، فالقلب أفضل. ثمَّ لا ينبغي أن يترك الذكر باللسان مع القلب خوفًا من أن يظن به الرياء، بل يذكر بهما جميعًا، ويقصد به وجه الله تعالى»[١].

قال الإمام ابن القيم: «قال بعض الجهال من القوم: لا إله إلا الله من أصل القلب، ومحمد رسول الله من القرط!!

ونحن نقول: محمد رسول الله من تمامِ قول لا إله إلا الله؛ فالكلمتان يخرجان من أصل القلب، من مشكاةٍ واحدة لا تتم إحداهما إلا بالأخرى»[٢].

وقال القرافي المالكي (ت ٦٨٤هـ): «الإله المعبود، وليس المراد نفي المعبود كيف كان؛ لوجود المعبودين في الوجود، كالأصنام والكواكب، بل ثَمَّ صفةٌ مضمرة تقديرها: لا معبودَ مستحق للعبادة إلا اللهُ، ومن لم يضمر هذه الصفة لزمه أن يكون تشهدُه كذبًا»[٣].

١- انظر: الأذكار للنووي (ص٥٠) ط: دار ابن كثير. وقال ابن القيم كما في «مدارج السالكين» (٣٣١/١) «عن حديث من قال في يوم: (سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت عنه خطاياه أو غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر) وليس هذا مرتبًا على مجرَّدِ قول اللسان، نعم من قالها بلسانه غافلًا عن معناها، معرضًا عن تدبرها، ولم يواطئ قلبه لسانه، ولا عرف قدرها وحقيقتها؛ راجيًا مع ذلك ثوابها، حطت من خطاياه بحسب ما في قلبه؛ فإنَّ الأعمال لا تتفاضل بصورها وعددها، وإنَّما تتفاضل بتفاضل ما في القلوب، فتكون صورة العملين واحدة وبينهما في التفاضل كما بين السماء والأرض، والرجلان يكون مقامهما في الصف واحدًا وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض».

٢- مدارج السالكين (٤٧/٣).

٣- الذخيرة (٥٧/٢).

وقال بعضُ العارفين: «حقيقة التوحيد أنْ يكون العبد فانيًا في الله عز وجل يرى الأشياء كلَّها به وله، وإليه ومنه».

وقال الملا علي القاري الحنفي: «وقد نصَّ الأئمةُ أنَّه لا بدَّ من فهم معناها، المترتب على علمِ مبناها، ليخرج عن ربقة التقليد، ويدخل في رفعة التحقيق والتأبيد»[١].

ومثل من يتكلم بها دون أن يفهم معناها، ويعمل بمقتضاها، كحالِ الذي حكاه عبيد الله بن أبي رافع: أنَّ الحرورية لما خرجت وهم مع علي بن أبي طالب قالوا: لا حكم إلا لله، فقال عليٌّ ﷺ: «كلمةُ حقٍ أريد بها باطل»[٢].

وقال النجم: «ومعنى كلمة حق أريد بها باطل»: ما في «الإحياء» في كتاب «عجائب القلب»: «أنَّ إبليسَ تمثل لعيسى عليه الصلاة والسلام، فقال: قل لا إله إلا الله، فقال: كلمةُ حقٍ، ولا أقولها الآن امتثالًا لك، وإنَّما أقولها من قبل نفسي عبودية وامتثالًا لربي عزَّ وجلَّ»[٣].

وقال تقي الدين المقريزي (ت٨٤٥هـ): واعلم أنَّ أنفسَ الأعمال وأجلّها قدرًا: توحيد الله -تعالى-، غير أنَّ التّوحيد له قشرتان: «

الأولى: أن تقول بلسانك: (لا إله إلاّ الله)، ويسمّى هذا القول توحيدًا، وهو مناقض للتثليث الذي تعتقده النَّصارى، وهذا التّوحيد يصدر أيضًا من المنافق الذي يخالف سرّه جهره.

١- التجريد في إعراب كلمة التوحيد (٤/٥٠٧).
٢- رواه مسلم (باب التحريض على قتل الخوارج) (١٠٦٦).
٣- كشف الخفاء (١٩٩٩) ط: القدسي. والله أعلم بصحته.

والقشرة الثانية: أنْ لا يكون في القلبِ مخالفَة ولا إنكار لمفهوم هذا القول، بل يشتمل القلب على اعتقادِ ذلك والتصديق به، وهذا هو توحيد عامة النّاس.

ولُبَاب التّوحيد: أن يرى الأمور كلها لله تعالى، ثمَّ يقطع الالتفات إلى الوسائط، وأنْ يعبده سبحانه عبادة يفرده بها، ولا يعبد غيره.

ويخرج عن هذا التّوحيد: أتباع الهوى، فكلّ من اتّبع هواه فقد اتّخذ هواه معبوده، قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾.

وإذا تأملت عرفت أن عابد الصنم لم يعبده إنما عبد هواه، وهو ميل نفسه إلى دين آبائه، فيتبع ذلك الميل، وميل النفس إلى المألوفات أحد المعاني التي يعبر عنها بالهوى.

ويخرج عن هذا التوحيد: السخط على الخلق، والالتفات إليهم، فإنَّ منْ يرى الكلَّ من الله كيف يسخط على غيره أو يأمل سواه؟

وهذا التوحيد مقام الصديقين.

ولا ريب أنَّ توحيد الربوبية لم ينكره المشركون، بل أقرّوا بأنَّه سبحانه وحده خالقهم، وخالق السموات والأرض، والقائم بمصالح العالم كله، وإنَّما أنكروا توحيد الإلهيّة والمحبّة، كما قد حكى الله -تعالى- عنهم في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ﴾، فلمَّا سووا غيره به في هذا التّوحيد كانوا مشركين، كما قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ

﴿يَعْدِلُونَ﴾ .

وقد علّم الله -سبحانه وتعالى- عباده كيفية مباينة الشّرك في توحيد الإلهيّة، وأنه تعالى حقيق بإفراده وليًّا وحكمًا وربًّا، فقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً﴾ وقال: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَماً﴾ وقال: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبّاً﴾، فلا وليّ ولا حكم ولا ربّ إلاّ الله، الذي من عدل به غيره فقد أشرك في ألوهيّته ولو وحّد ربوبيّته، فتوحيد الربوبيّة هو الذي اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها.

وتوحيد الإلهيّة مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين، ولهذا كانت كلمة الإسلام: (لا إله إلاّ الله).

ولو قال: لا ربّ إلاّ الله أجزاه عند المحققين، فتوحيد الألوهيّة هو المطلوب من العباد، ولهذا كان أصل (الله) الإله، كما هو قول سيبويه، وهو الصحيح، وهو قول جمهور أصحابه إلاّ من شذّ منهم.

وبهذا الاعتبار الذي قررنا به الإله وأنَّه المحبوب، لاجتماع صفات الكمال فيه، كان الله: (هو الاسم الجامع لجميع معاني الأسماء الحسنى والصفات العليا)»[1].

١- تجريد التوحيد المفيد (ص٦-٨).

ركنها

وجمال ركنها أنَّه يقوم على النفي وإلإثبات، فلا إله (نفي)، وإلا الله (إثبات). فـ (لا إله) تعني نفي جميع ما يعبد من دون الله تعالى (وإلا الله) تعني إثبات الوحدانية لله تعالى وصرف أنواع العبادة له.

قال البيهقي: «من قال: لا إله إلا الله، فقد أثبت الله، ونفى غيره؛ فخرج بإثبات ما أثبت من التعطيل، وبما ضم إليه من نفي غيره عن التشريك»[١].

وقال الزركشي: «أي على هذه الصيغة الخاصَّةِ الجامعةِ بين النفي والإثبات ليدلُّ على حصر الإلهية لله تعالى، فإنَّ الجمع بين النفي والإثبات أبلغُ صيغ الحصر، وقد ثبت العلم الضروري بالاكتفاء بهذه الكلمة الشَّريفة في إثبات التوحيد لله تعالى، من غير نظر إلى واسطة بين النَّفي والإثبات، ولا انضمام لفظ آخر إليه»[٢].

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «فأول أمر في المصحف يتضمن حظ الإثبات من: (لا إله إلا الله)، وأول نهي منه يتضمن حظ النفي من: (لا إله إلا الله)»[٣].

١- شعب الإيمان (٢٠٢/١).
٢- (معنى لا إله إلا الله) للزركشي (ص ٨٣) ط: البشائر الإسلامية.
٣- (المحاضرات والكلمات) المطبوع ضمن مجموع آثار الشيخ (ص٢٢) ط: عالم الفوائد.

ما تثبته لا إله إلا الله وتنفيه

قال الشيخ محمد التميمي رحمه الله: اعلم رحمك الله: أنَّ معنى لا إله إلا الله، نفي وإثبات: لا إله نفي، إلا الله إثبات; تنفي أربعة أنواع، وتثبت أربعة أنواع; المنفي: الآلهة، والطواغيت، والأنداد، والأرباب.

فالإله: ما قصدته بشيءٍ من جلبِ خيرٍ أو دفع ضرٍ، فأنت متخذه إلهًا.

والطواغيت: من عبد، وهو راض، أو ترشح للعبادة، مثل: شمسان; أو تاج، أو أبو حديدة.

والأنداد: ما جذبك عن دين الإسلام، من أهل، أو مسكن، أو عشيرة، أو مال، فهو: ند، لقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [سورة البقرة آية: ١٦٥].

والأرباب: من أفتاك بمخالفة الحق، وأطعته مصدقا، لقوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة التوبة آية: ٣١].

وتثبت أربعة أنواع:

القصد: كونك ما تقصد إلا الله.

والتعظيم والمحبة؛ لقوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ﴾ [سورة البقرة آية: ١٦٥].

والخوف والرجاء؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة يونس آية: ١٠٧].

والبراءة من الشرك وأهله: ، كما فعل إبراهيم -عليه السلام- كسر الأصنام، وتبرأ من عُبادها، قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [سورة الممتحنة آية: ٤][(١)].

إعرابها ومعانيها

«**لا**»: نافية للجنس تعمل عمل إنَّ.

«**إله**: اسمها مبني على الفتح. وخبرها محذوف تقديره (حق)، أي: لا إله حق[(٢)].

«**إلا**»: أداة استثناء.

«**الله**»: اسم الجلالة بدل[(٣)].

١- الدرر السنية في الأجوبة النجدية (كتاب التوحيد) (١٢٣/٢) و«الولاء والبراء في الإسلام» (ص٢٤-٢٥).

٢- «معنى لا إله إلا الله» للزركشي (ص٧٤)، وقال: «قول لا إله إلا الله قدر فيه الأكثرون خبر (لا) محذوفًا فقدر بعضهم الوجود، وبعضهم لنا، وبعضهم بحق»، وفي حواشي الكتاب للمحقق، قال الزمخشري: «يحذف الحجازيون خبر (لا) كثيرًا، ومنه كلمة الشهادة، ومعناها: (لا إله في الوجود إلا الله)» راجع: «المفصل مع شرحه لابن يعيش» (١٠٧/١)، والذي قاله الزمخشري قول غلط، وهو أدعى للقول بوحدة الوجود، والصواب الأول، انظر تحرير ذلك للشيخ صالح سندي (شهادة أن لا إله إلا الله) (ص٣٩-٤٣).

٣- انظر: «رسالة التجريد في إعراب كلمة التوحيد» للملا علي القاري، ومما سبق ذكره في مقدمة الكتاب.

و«**الإله**»: هو الذي يألهه العبادُ حبًا وذلًا، وخوفًا ورجاءً، وتعظيمًا وطاعة له، بمعنى مألوه، وهو الذي تألهه القلوب، أي: تحبه وتذل له.

وأصل التأله: التعبد، والتعبد آخر مراتب الحب، يقال: عبده الحب وتيمه إذا ملكه وذلله لمحبوبه[١].

قال الشيخ المعلمي: «الجهل بمعنى (إله) يلزمه الجهل بمعنى كلمة التوحيد: (لا إله إلا الله)، وهي أساس الإسلام وأساس جميع الشرائع الحقة من قبل، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]»[٢].

والله: الاسم الدال عليه سبحانه، قال العلامة ابن القيم: «فاسم الله دال على جميع الأسماء الحسنى، والصفات العليا، بالدلالات الثلاث، فإنَّه دال على إلهيته المتضمنة لثبوت صفات الإلهية له مع نفي أضدادها عنه، وصفات الإلهية هي صفات الكمال المنزهة عن التشبيه والمثال وعن العيوب والنقائص، ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ويقال: الرحمن والرحيم والقدوس والسلام والعزيز والحكيم من أسماء الله، ولا يقال: الله من أسماء الرحمن، ولا من أسماء العزيز، ونحو ذلك.

فعلِم أنَّ اسمه الله مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دال عليها بالإجمال

١- مدارج السالكين (٣/٢٦).

٢- آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي (رسالة العبادة) (٢/٤).

والأسماء الحسنى، تفصيل وتبيين لصفات الإلهية التي اشتق منها اسم الله واسم الله دال على كونه مألوهًا معبودًا تألهه الخلائق محبةً وتعظيمًا وخضوعًا وفزعًا»[١].

قال محمد بن الحسن: سمعت أبا حنيفة رحمه الله يقول: «اسم الله الأعظم هو: (الله)»، وبه قال الطحاوي، وكثير من العلماء، وأكثر العارفين حتى إنَّه لا ذكر عندهم لصاحب مقام فوق الذكر به، وقد علم من هذا وجه تخصيص الحمد به دون غيره من أسمائه تعالى[٢].

قال الشيخ محمد التميمي رحمه الله: «فإذا عرفت: أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام، وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها، من غير اعتقاد القلب، بشيء من المعاني; والحاذق منهم يظن أن معناها: لا يخلق، ولا يرزق، ولا يحيي، ولا يميت، ولا يدبر الأمر إلا الله. فلا خير في رجل جهال الكفار أعلم منه بمعنى لا إله إلا الله»[٣].

١- مدارج السالكين (١/٣٢).
٢- التقرير والتحبير لابن الأمير الحنبلي (١/١١-١٢).
٣- الدرر السنية (العقائد) (١/٧٠).

شروطها

ولا إله إلا الله ليست كلمة عابرة، أو جملة قاصرة، بل هي كلمة لها ركنها وشرطها، ومقصدها ومعناها، وفرضها، ولها نواقض لا تصح بوجودها، وقد قيل للحسن البصري رحمه الله: إنَّ أناساً يقولون: من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة. فقال: «من قال لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة»[١].

وقال إمام المفسرين ابن جرير رحمه الله قول الله: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦] «إلا من شهد بالحق، فوحد الله وأطاعه، بتوحيد علم منه، وصحة بما جاءت به رسله»[٢].

وقال الحافظ ابن رجب في «لطائف المعارف» : «فأمَّا كلمة التوحيد: فإنَّها تهدم الذنوب وتمحوها محوًا، ولا تبقي ذنبًا، ولا يسبقها عمل، وهي تعدل عتق الرقاب الذي يوجب العتق من النار، ومن أتى بها أربع مرار حين يصبح وحين يمسي أعتقه الله من النار، ومن قالها مخلصًا من قلبه حرمه الله على النَّار»[٣].

فمن خلال هذه الأقوال الثلاثة يتبين لنا أشياء منها:

(١) -أنَّ النطق بشهادة التوحيد لا يكفي بل لا بدَّ أن يؤدي العبد حقها وما يتعلق بها.

(٢) -أنَّ من قالها لا بدَّ أن يكون خالصًا بقوله بها، وإلا مجرد النَّطق لا يفي.

١- تحقيق كلمة الإخلاص لابن رجب (المطبوع ضمن مجموع الرسائل) (٢/٣٦٤) ت: النجار.
٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٢٠/٦٦١).
٣- لطائف المعارف (ص٤٤٨) ط: ابن كثير (الطبعة الحادية عشرة)

(٣) -أنَّ التوحيد الحق هو الذي يكون بعلم واتباع، وإلا فهو مشوبٌ منقوص، فإذا تبين لك هذا فلا بدَّ أنْ تقف وتتعرف على شروطِ هذه الشهادةِ كما قررها أهل العلمِ مما هو معلوم لمن وفقَّه الله، فأذكر ما قاله الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله في سلمه المبارك المصنف في العقيدة:

وَبِشُرُوطٍ سَبْعَةٍ قَدْ قُيِّدَتْ ... وَفِي نُصُوصِ الْوَحْيِ حَقًّا وَرَدَتْ

فَإِنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ قَائِلُهَا ... بِالنُّطْقِ إِلَّا حَيْثُ يَسْتَكْمِلُهَا

الْعِلْمُ وَالْيَقِينُ وَالْقَبُولُ ... وَالِانْقِيَادُ فَادْرِ مَا أَقُولُ

وَالصِّدْقُ وَالْإِخْلَاصُ وَالْمَحَبَّهْ ... وَفَّقَكَ اللَّهُ لِمَا أَحَبَّهْ

ثمَّ نسردُ شرح صاحبها[١] فكلامه له شأن ومكانة عالية، ومنزلة رفيعة في التعبير عما ننقله ونقوله، وكما قيل: «وَإِنَّمَا يَعرِفُ الجَوْهرَ أَربابُه، وَالمسكنَ أصحابُهُ، وَالْمَعلمَ طُلَّابهُ»[٢].

قال رحمه الله: هذا تفصيل الشروط السبعة السابق ذكرها التي قيدت بها هذه الشهادة، فأصغِ سمعك وأحضر قلبك لإملاء أدلتها وتفهمها وتعقلها، ثمَّ اعمل على وفق ذلك تفز بسعادة الدنيا والآخرة إن شاء الله عز وجل، كما وعد الله تعالى ذلك إنَّه لا يخلف الميعاد:

الأول: العلم بمعناها المراد منها نفيًا وإثباتًا المنافي للجهل بذلك، قال الله عز

١- مع الاختصار خوفًا من الإملال.
٢- الاستعانة بالفاتحة على نجاح الأمور، لابن عبد الهادي (ابن المبرد) (ص٣٧٥) ط: العبيكان.

وجل: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

والثاني: اليقين المنافي للشك بأن يكون قائلها مستيقنًا بمدلول هذه الكلمة يقينًا جازمًا، فإنَّ الإيمان لا يغني فيه إلا علم اليقين لا علم الظنَّ، فكيف إذا دخله الشك، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥] فاشترط في صدق إيمانهم بالله ورسوله كونهم لم يرتابوا أي: لم يشكوا.

والثالث: القبول لما اقتضته هذه الكلمة بقلبه ولسانه، وقد قصَّ الله عز وجل علينا من أنباء ما قد سبق من إنجاء من قبلها، وانتقامه ممَّن ردها وأباها، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الزخرف: ٢٣-٢٥]. وقال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣].

والرابع: الانقياد لما دلت عليه المنافي لترك ذلك، قال الله عز وجل: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ [الزمر: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢]. ومعنى يسلم وجهه

أي: ينقاد وهو محسن موحد، ومن لم يسلم وجهه إلى الله ولم يك محسنا فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقى.

والخامس: الصدق فيها المنافي للكذب، وهو أن يقولها صدقا من قلبه يواطئ قلبه لسانه، قال الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ٨-١١].

وفي «الصحيحين» عن معاذ بن جبل ﷺ عن النبي ﷺ: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا عبده ورسوله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار»، فاشترط في إنجاء من قال هذه الكلمة من النار أن يقولها صدقًا من قلبه، فلا ينفعه مجرد اللفظ بدون مواطأة القلب.

والسادس: الإخلاص، وهو تصفية العمل بصالح النية عن جميع شوائب الشرك، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]. وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥] الآية، وقال تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر: ١١]، ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزمر: ٤١].

وفي «الصحيح» عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي من قال:

لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه».

والسابع: المحبة لهذه الكلمة ولما اقتضته ودلت عليه ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها، وبغض ما ناقض ذلك، قال الله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤] ، فأخبرنا الله -عز وجل- أنَّ عباده المؤمنين أشدُّ حبًا له؛ وذلك لأنَّهم لم يشركوا معه في محبته أحدًا كما فعل مدَّعو محبته من المشركين الذين اتخذوا من دونه أندادًا يحبونهم كحبه، وعلامة حب العبد ربه تقديم محابه[١]. وإن خالفت هواه، وبغض ما يبغض ربه، وإن مال إليه هواه، وموالاة من والى الله ورسوله ومعاداة من عاداه، واتباع رسوله ﷺ واقتفاء أثره، وقبول هداه. وكل هذه العلامات شروط في المحبة لا يتصور وجود المحبة مع عدم وجود شرط منها[٢].

١- يعني ما يحبه.

٢- معارج القبول (٢/٤١٩-٤٢٤) بالاختصار.

نواقضها

ولشهادة التوحيد -كما رأيت- شروطٌ وأركانٌ تقوم بها فتمد القلب بمادة الحياة، وتورث صاحبه العزة والكبرياء في حياته ومماته، وفي دنياه وفي آخراه[1]؛ فيتوجه بقلبه وقالبه لربه خاشعًا خاضعًا، وعابدًا له محبًا. وكذا لها نواقض تهدم أصل ذلك البناء، وتخرب جماله، فتكون سببًا في موت قلب صاحبها، وذله، وإعراضه عن الحق واتباعه، فتراه معاندًا مجاهرًا، مبغضًا مذممًا. وقد حرص

١- قال الإمام ابن القيم في «الفوائد» (ص٧٢): «**التوحيد مفزع أعدائه وأوليائه: فأما أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها؛** ﴿إِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ وأما أَولياؤُهُ فينجيهم به من كربُات الدنيا والآخرة وشَدائدها، ولذلك فَزِع إليه يونسُ فنجاه الله من تلك الظُلمات، وفزع إليه أتباع الرسل فنجوا به مما عُذِّب به المشركون في الدنيا وما أعد لهم في الآخرة.

ولما فزع إليه فرعونُ عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق له لم ينفعه؛ لأنَّ الإيمان عند المعاينة لا يقبلُ.

هذه سنة الله في عباده فما دفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد، ولذلك كانَ دعاءُ الكرب بالتوحيد، ودعوةُ ذي النون التي ما دعا بها مكروبٌ إلاَّ فرَّج الله كربهُ بالتوحيد. فلا يلقى في الكرب العظام إلا الشرك، ولا ينجي منها إلا التوحيدُ؛ فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها.

وبالله التوفيق».

وقال في (المصدر نفسه) (ص٧٧): «لشهادة أن لا إله إلا الله عند الموت تأثيرٌ عظيمٌ في تكفير السيِّئاتِ وإحباطها؛ لأنَّها شهادة من عبدٍ مُوقنٍ بها، عارف بمضمونها، قد ماتت منه الشهواتُ، ولانت نفسه المتمرِّدة، وانقادت بعد إبائها واستعصائها، وأقبلت بعد إعراضها، وذلت بعد عزها، وخرج منها حرصها على الدنيا وفضولها، واستخذت بين يدي ربها وفاطرها ومولاها الحق أذل ما كانت له وأرجى ما كانت لعفوه ومغفرته ورحمته، وتجرد منها التوحيدُ بانقطاع أسباب الشركِ وتحقُّق بطلانه، فزالت منها تلك المنازعاتُ التي كانت مشغولةً بها، واجتمع همُّها على من أيقنت بالقدوم عليه والمصير إليه، فوجه العبد وجهه بكليته إليه، وأقبل بقلبه وروحه وهمه عليه، فاستسلم وحده ظاهرًا وباطنًا، واستوى سره وعلانيته، فقال: لا إله إلا الله مخلصًا من قلبه، وقد تخلَّص قلبه من التعلق بغيرِهِ والالتفات إلى ما سواه، قد خرجتِ الدُّنيا كلها من قلبه، وشارف القدوم على ربِّه، وخمدت نيران شهوته، وامتلأ قلبه من الآخرةِ، فصارت نصب عينيه، وصارتِ الدنيا وراء ظهره، فكانت تلك الشهادة الخالصةُ خاتمةَ عمله، فطهرتهُ من ذنوبه، وأدخلتهُ على ربِّه؛ لأنَّه لقي ربَّهُ بشهادةٍ صادقةٍ خالصةٍ، وافق ظاهرها باطنَها وسرُّها علانيتها» أهـ.

علماء الأمة بحمد الله على ذلك التفصيل في مسائل التوحيدِ، ومن جملة ذلك كلامهم عن نواقض الإسلام، كما تجده في كتاب العقيدة[١]، وكذا في كتب الفقه مثل: (باب المرتد) أو (أحكام المرتد)، وللعلامة ملا علي القاري الحنفي رسالة بعنوانِ: (شرح ألفاظ الكفر) مطبوعة ضمن مجموع رسائله، فهذه المسائل ليست من بدع القولِ، بل هي من متين العلم، -أعني التوحيد ومسائله- وقد ذكر العلماء من نواقض الدِّين التي تخرج صاحبها من الملة الشيء الكثير، ونحن نذكر بعضها، -وهو ما ذكره الشيخ محمد التميمي رحمه الله-، وينبغي العلم أنَّ الحكم بوقوع هذه النواقض إنَّما يكون بضوابط أهمها: قيام الحجة على صاحبها، ونفي الجهل عنه، وغير ذلك من الموانع التي ذكرها أهل العلم؛ حتى لا يتهاون الناس في إيقاع الكفر بالجهل، واتباع الهوى بإنزال الحكم والأمر.

وهذه النواقض، **الأول منها**: الشرك في عبادة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا

١- قال الشيخ بكر أبو زيد ﷺ في كتابه «معجم المناهي اللفظية» (ص٦٤٦) «العقيدة: في (مجلة مجمع اللغة العربية بمصر) بحثٌ للأستاذ عبد الصبور شاهين بعنوان: ((حول كلمة عقيدة)) استقرأ فيه عدم وجود هذه اللفظة في: الكتاب أو السنة، ولا في أُمهات معاجم اللغة، وأنَّ أول من تم الوقوف على ذكره لجمعها (عقائد) هو القشيري (ت ٤٣٧ هـ) في (الرسالة) كما في أولها، ومن بعده أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ)، جاء بمفردها (عقيدة)، وهي: على وزن فعِيلة جمعها: فعائل، مثل: صحيفة وصحائف قياساً، وأما من حيث معناها فهي مولدة، إذ لم تكن في الصدر الأول، والذي يسبقها في الاستعمال لفظ: اعتقاد، وهي تدل على إيمان القلب، ويسبقها أيضاً كلمة: معتقد، وكان ابن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) ﷺ: يذكر كلمتي: معتقد واعتقاد، وكما في مقدمة الشيخ أحمد شاكر لتفسيره. والله أعلم».

﴿لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] ومن ذلك دعاء الأموات، والاستغاثة بهم، والنذر والذبح لهم.

الثاني: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم فقد كفر إجماعًا.

الثالث: من لم يكفّر المشركين أو شك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفر.

الرابع: من اعتقد أن هدي غير النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطواغيت على حكمه، فهو كافر.

الخامس: من أبغض شيئًا ممَّا جاء به الرسول ﷺ ولو عمل به فقد كفر؛ لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

السادس: مَنْ استهزأ بشيء من دين الرسول ﷺ أو ثوابه أو عقابه كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ - لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥ - ٦٦].

السابع: السحر، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

التاسع: من اعتقد أن بعض النَّاس يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ فهو

كافر؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

وهذه النواقض تحتاج لشرح ومعرفة وإلا خبَّط العبد فيها وبدع بغير بصيرة ولا دراية.

أهمية تطبيقها وفهمها

وهذه الكلمة لا تنفع صاحبها إلا بالعلم والفهم، والتطبيق والعمل[١]. وفي (مراسيل الحسن)، عن النبي ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة.

قيل: وما إخلاصها؟

قال: أنْ تحجزك عمَّا حرم الله»[٢].

وروي ذلك مسندًا من وجوه أُخر ضعيفة، من حديث زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قال: لا إله إلا الله مخلصًا دخل الجنة».

قيل: وما إخلاصها؟

قال: «أنْ تحجُزه عنْ محارم الله عز وجلَّ»[٣].

١- فالعلم أولًا، ثمَّ الفهم ثانيًا حتى يخرج عن زيغ أهل الأهواء، فكم متكلم بالعلم وهو لا يفهمه أفسد أكثر ما أصلح، وصد عن الحق بدل الدلالة عليه.
ثمَّ العمل، فلا يصرف أي شيءٍ من أنواع العبادات القولية والفعلية، والقلبية، وغيرها إلا لله تعالى فإذا ذبح استشعر ذلك وعقد القلب، وصرف العزم لله لا لغيره، وإذا دعا واستغاث فعل كذلك، وعلى ذلك قس في كل عبادة، وكان الإمام سفيان الثوري يقول: «يا من أحب عباده إليه من سأله فأكثر سؤاله، ويا من أبغض عباده إليه من لم يسأله، وليس كذلك غيرك يا رب» كما ذكره الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (١٥٣/٧).
ثمَّ يتمم العبد هذه المراتب بمرتبة الدعوة إليها بالحكمة والموعظة الحسنة، وهذه هي وظيفة الأنبياء، ومهمة العلماء الأصفياء.
٢- وبإسناد صحيح كما في «المنتخب من مسند عبد بن حميد» (١١٧)، عن معاذ بن جبل أن رسول الله ﷺقال: من قال عند الموت: «لا إله إلا الله مخلصًا، دخل الجنة».
٣- كما رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٢٣٥)، والمنذري في «الترغيب والترهيب» (٢٣٤٥)، قال الطبراني: «لم يرو هذا الحديث عن أبي إسحاق إلا شريك، تفرد به: محمد بن عبد الرحمن»، وشريك كما قال الإمام أحمد بن حنبل: «شريك في أبي إسحاق أثبت من زهير».
وروى عثمان بن سعيد، عن يحيى، قال: «شريك في أبي إسحاق أحب إلينا من إسرائيل»، ومحمد بن عبد الرحمن بن غزوان، قال الدارقطني وغيره: «كان يضع الحديث» كما في «ميزان الاعتدال» (٦٢٥/٣)، وحكم عليه الشيخ ناصر الدين بالوضع كما في «الضعيفة» (٥١٤٨).

وقال معاذ بن جبل ﷺ في مرضه: لولا أن تتكلوا لحدثتكم حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ، قال: «من مات وفي قلبه: لا إله إلا الله موقنًا، دخل الجنَّة»[١].

فلا بدَّ من اليقين، واليقين لا يكون إلا عن طريق الفهم، والفهم الصائب هو ما دلَّ صاحبه على العمل الصالح.

ولعلَّ الحسن أشار بكلامه الذي حكيناه عنه من قبل إلى هذا، فإنَّ تحقيق القلب بمعنى: «لا إله إلا الله» وصدقه فيها وإخلاصه بها يقتضي أن يرسخ فيه تأله الله وحده، إجلالًا، وهيبةً، ومخافةً، ومحبةً، ورجاءً، وتعظيمًا وتوكلًا، ويمتلئ بذلك، وينتفي عنه تأله ما سواه من المخلوقين، ومتى كان كذلك لم يبقى فيه محبة ولا إرادة، ولا طلب لغير ما يريده الله ويحبه ويطلبه، وينتفي بذلك من القلب جميع أهواء النفوس وإرادتها ووساوس الشيطان، فمن أحب شيئًا وأطاعه، وأحب عليه وأبغض عليه، فهو إلهه.

فمن كان لا يحب ولا يبغض إلا لله، ولا يوالي ولا يعادي إلا له، فالله إلهه حقًا، ومن أحب لهواه، وأبغض له ووالى عليه، وعادى عليه، فإلهه هواه، كما قال تعالى: ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾»[٢].

١- رواه عبد بن حميد كما في «المنتخب» (١١٨)، وقال البوصيري في «الإتحاف» (٤٢١/٦): «إسنادٌ صحيح».

٢- تفسير ابن رجب (٢٥١/٢)، وفي «جامع العلوم والحكم» الحديث (٣٨)، «فإنَّ معنى لا إله إلا الله: أنَّه لا يؤله غيره حبًا، ورجاءً، وخوفًا، وطاعة، فإذا تحقق القلب بالتوحيد التام، لم يبق فيه محبةً لغير ما يحبه الله، ولا كراهة لغير ما يكرهه الله، ومن كان كذلك، لم تنبعث جوارحه إلا بطاعة الله، وإنَّما تنشأ الذنوب من محبة ما يكرهه الله، أو كراهة ما يحبه الله، وذلك ينشأ من تقديم هوى النفس على محبة الله وخشيته، وذلك يقدح في كمال التوحيد الواجب، فيقع العبد بسبب ذلك في التفريط في بعض الواجبات، أو ارتكاب بعض المحظورات، فأما من تحقق قلبه بتوحيد الله، فلا يبقى له هم إلا

وقال سهل التستري: «من قال لا إله إلا الله فقد بايع الله فحرام عليه إذ بايعه أن يعصيه في شيء من أمره، في السر والعلانية، أو يوالي عدوه، أو يعادي وليه»[١].

وقال أبو العالية: كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون: «ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟»[٢].

ونحوِهِ من قولِ قتادةَ: «كلمتانِ يسألُ عنهما الأولون والآخرون: ماذا كنتم تعبدون؟ وماذا أجبتم المرسلين؟».

قال العلامة ابن القيم: «وهاتانِ الكلمتان هما مضمون الشهادتين، وقد قال تعالى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾»[٣].

وقال: مقام التوحيد أولى المقامات أن يبدأ به، كما أنَّه أول دعوة الرسل كلهم، قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: «فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله».

في الله وفيما يرضيه به، وقد ورد في الحديث مرفوعا: «من أصبح وهمه غير الله»، فليس من الله» أهـ.

١- لطائف المعارف (ص١٤٨).

٢- مدارج السالكين (١/٣٤١) في (الحديث عن الشرك). وقال الله ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]. قال العز بن عبد السلام في «تفسيره» (٣/٥٢) (عن قول لا إله إلا الله).

قلت: وهي الكلمة التي يسأل عنها العبد في قبره، ويمتحن بالسؤال عنها فإن أجاب أفلح ونجا، وإن تلعثم وأخطأ خاب وخسر.

وأخرج عبد الرزاق في «التفسير» (١٤٦٤)، والثوري في «التفسير» (ص١٦٢)، عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٣]، قال: «عن لا إله إلا الله».

٣- زاد المهاجر (ص٢٤-٢٥).

وفي رواية: «إلى أن يعرفوا الله»، ولأنَّه لا يصح مقام من المقامات، ولا حال من الأحوال إلا به»[١].

وقال العلامة الطيبي: «وثبوتها تمكنها في القلب، واعتقاد حقيقتها، واطمئنان القلب بها»[٢].

وقال العلامة الصنعاني: «رأسُ العبادة وأساسَها التوحيدُ لله الذي تفيده كلمته التي إليها دعت جميع الرُّسل، وهي قول (لا إله إلاَّ الله)، والمراد اعتقاد معناها والعمل بمقتضاها، لا مجرَّد قولها باللسان.

ومعناها: إفرادُ اللهِ بالعبادةِ والإلهية، والنَّفي والبراءة من كلِّ معبود دونه، وقد علم الكفار هذا المعنى؛ لأنَّهم أهلُ اللسان العربي، فقالوا: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾»[٣].

وقال الحسن البصري للفرزدق وهو يدفن امرأته: ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ سبعين سنة.

وقال: «نعم العدة؛ لكن للا إله إلا الله شروطاً، فإيَّاك وقذف المحصنة»[٤].

وقال أيضًا: «هذا العمود فأين الطُّنُب»[٥]. قال ابن عبد الهادي: «يعني: أنَّ كلمة التوحيد عمودُ الفسطاط، ولكن لا يثبُتُ الفسطاطُ بدونِ أطنابهِ، وهي

١- إغاثة اللهفان (١/١٥٤).
٢- شرح المشكاة (الكاشف عن حقائق السنن) (٢/٥٨٧).
٣- تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٥٣) ط: السفير.
٤- ذكره الذهبي في السير (٤/٥٨٤).
٥- ذكره الشريف في «أمالي المرتضى غرر الفوائد ودرر القلائد» (١/٦٥).

فعلُ الواجباتِ، وتركُ المحرَّماتِ»[١].

وعن أبان بن أبي عياش، قال: خرجنا في جنازة النوار بنت أعين بن ضبيعة، وكانت تحت الفرزدق، وقد كان الحسن فيها، فلمَّا صرنا في الطريق، قال الفرزدق: يا أبا سعيد، ما يقول النَّاس؟ قال: ما يقولون، قال: يقولون في هذه الجنازة خير الناس وشر النَّاس، قال: ومن هو؟ قال: يقولون أنت خير الناس وأنا شر النَّاس، قال الحسن: لست بأخير النَّاس ولا أنت بأشر الناس، قال: فلمَّا صلينا قام الحسن على شفير القبر فقال: يا أبا فراس، ما أعددت لهذا المضجع؟ قال «شهادة أن لا إله إلا الله منذ بضع وسبعين سنة».

فقال الحسن: «خذوها من غير فقيه».

ثمَّ تنحى فجلس ناحية وأحدق النَّاس به، فجاء الفرزدق يتخطى رقاب النَّاس حتى قام بين يدي الحسن فأنشد شعرًا:

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنِي ... أَشَدَّ مِنَ الْقَبْرِ الْتِهَابًا وَأَضْيَقَا

إِذَا جَاءَنِي يَوْمُ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ ... عَنِيدٌ وَسَوَّاقٌ يَقُودُ الْفَرَزْدَقَا

لَقَدْ خَابَ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ مَنْ مَشَى ... إِلَى النَّارِ مَغْلُولَ الْقِلَادَةِ أَزْرَقَا

يُسَاقُ إِلَى نَارِ الْجَحِيمِ مُسَرْبَلًا ... سَرَابِيلُ قَطْرَانٍ لِبَاسًا مُحَرَّقَا

إِذَا شَرِبُوا فِيهَا الصَّدِيدَ رَأَيْتَهُمْ ... يَذُوقُونَ مِنْ حَرِّ الصَّدِيدِ تَمَزُّقَا

١- التمهيد في الكلام على التوحيد (ص١٨٠).

قال: فلقد رأيت الحسن قد ثنى قميصه على وجهه ينحب[١].

وقال وهب بن منبه لمن سأله: «أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال: بلى؛ ولكن ما من مفتاح إلا له أسنان، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك»[٢].

قلت: وأسنان هذا المفتاح فعل ما أمر الله تعالى به وترك ما نهى الله عنه، وهي التشريعات.

قال الشيخ محمد سلطان الخجندي: «وميزان هذا المفتاح ومعيارُه إنَّما هو ما جاء به سيدنا محمد رسولُ الله، وهو كتاب الله تعالى القرآن، وسنة رسول الله ﷺ الصحيحة الثابتة بالعيانِ في دواوينِ أهل العلم والعرفانِ.

وأمَّا أهل البدع فقد زادوا على ما جاء به رسولُ الله ﷺ أشياء: عقيدةً وكمًا وكيفًا، باستحسانِ عقولهم القاصرة؛ بل الفاسدةِ أو قياساتهم الكاسدة الباطلة، فبعضهم كبَّر المفتاح وضخمه، وبعضهم زاده أسنانًا أو عوَّجها بحيثُ صار المفتاحُ لا يوافق القُفلَ، فلا ينفتحُ القفل ولا البابُ أصلًا، وبعضه قد ينفتحُ بغاية التعبِ والمعالجات الكثيرةِ، فلو أبقى المفتاحُ والقفل على ما هو عليه لانفتح القفل من أول الأمرِ، كما ورد في شأن السبعين ألفًا الذين يدخلون

١- ترتيب الأمالي الخميسية للشجري (١/٣٥-٣٦).

٢- رواه البخاري معلقا بصيغة التمريض (١/٤١٥)، ووصله في «تاريخه» (١/٩٥). قال ابن حجر في «تغليق التعليق» (٢/٤٥٤) وقد روي هذا بسند ضعيف رواه البيهقي في الشعب من حديث معاذ بن جبل، وذكر ابن إسحاق في السيرة أنَّ النبي ﷺ، قال للعلاء بن الحضرمي: «إذا سئلت عن مفتاح الجنة، فقل: مفتاحها لا إله إلا الله».

وقال ابن حجر أيضًا: في «المطالب العالية» (٢٨٩٣): «إسناد حسن موقوف».

الجنة دار السلامِ دخولًا أوليًا بلا عتابٍ ولا حساب»[١].

وعن عون بن عبد الله، قال: «إذا أزرى أحدكم على نفسه، فلا يقولنَّ: ما فيَّ خير، فإنَّ فينا التوحيد؛ ولكن ليقل: قد خشيت أن يهلكني ما في من الشر، وما أحسب أحدًا يفرغ لعيب الناس إلا عن غفلة غفلها من نفسه، ولو اهتم لعيب نفسه ما تفرغ لعيب أحد ولا لذمه»[٢].

قال الحافظ ابن رجب في قول الله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

هم الذين حققوا قول: «لا إله إلا الله» وأخلصوا في قولها، وصدقوا قولهم بفعلهم، فلم يلتفتوا إِلَى غير الله، محبةً ورجاءً وخشيَّة وطاعَة وتوكلًا، وهم الذين صدقوا في قول: «لا إله إلا الله» وهم عباد الله حقًّا.

فأمَّا من قال: «لا إله إلا الله» بلسانه، ثمَّ أطاع الشيطان وهواه في معصية الله ومخالفته؛ فقد كذب فعلُهُ قولَهُ، ونقص من كمال توحيده بقدر معصية الله في طاعة الشيطان والهوى ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠] ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]».

وقال: قوله: «لا إله إلا الله» يقتضي أن لا يحب سواه، فإن الإله هو الَّذِي يطاع، محبةً وخوفًا ورجاءً، ومن تمام محبته محبةُ ما يحبه وكراهية ما يكرهه، فمن أَحَبّ شيئًا مما يكره الله، أو كره شيئًا مما يحبه الله لم يكمل توحيده ولا صدقه

١- مفتاح الجنة (ص١٣) ط: الإمام أحمد.
٢- شعب الإيمان (٧١٥٩).

في قول: لا إله إلا الله، وكان فيه من الشرك الخفي بحسب ما كرهه مما يحبه الله، وما أحبه مما يكرهه الله. قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨]»[١].

وقال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله: «لا صلاح للعباد، ولا فلاح، ولا نجاح، ولا حياة طيبة، ولا سعادة في الدارين، ولا نجاة من خزي الدنيا، وعذاب الآخرة، إلا بمعرفة أول مفروض عليهم، والعمل به، وهو الأمر الذي خلقهم الله عز وجل له، وأخذ عليهم الميثاق به، وأرسل به رسله إليهم، وأنزل به كتبه عليهم، ولأجله خلقت الدنيا والآخرة، والجنة والنار، وبه حقت الحاقة، ووقعت الواقعة، وفي شأنه تنصب الموازين، وتتطاير الصحف، وفيه تكون الشقاوة والسعادة، وعلى حسب ذلك تقسم الأنوار، ومن لم يجعل الله له نورًا فما له من نور.

وذلك الأمر هو معرفة الله عز وجل بإلهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته وتوحيده بذلك، ومعرفة ما يناقضه أو بعضه من الشرك والتعطيل، والتشبيه والتشبه، واجتناب ذلك، والإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، وتوحيد الطريق إلى الله عز وجل بمتابعة كتابه ورسوله، والعمل وفق ما شرعه الله عز وجل ورسوله ﷺ، ومعرفة ما يناقضها من البدع المضلة ويميل بالعبد عنها فيجانبها كل المجانبة ويعوذ بالله منها»[٢].

١- كلمة الإخلاص (٢/٣٧٢-٣٧٣).

٢- من معارج القبول (١/٥٥-٥٦).

أفضل الأذكار

اختلفت أقوال أهل العلم حول أفضل الأذكار، مع التسليم بأنَّ أفضل الذكر هو قراءة القرآن، كما قال النووي: «اعلم أنَّ المذهب الصحيح المختار الذي عليه من يعتمد من العلماء أنَّ قراءة القرآن أفضل من التسبيح والتهليل وغيرهما من الأذكار، وقد تظاهرت الأدلة على ذلك»[١].

واختلف العلماء في أفضل الذكر؟ فقال **قوم: أفضل الكلام (لا إله إلا الله)**[٢]، واحتجوا بما رواه الترمذي: «أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله»[٣].

وكذا عند أبي يعلى، عن الفضل بن ثور يقول: حدثني فلان أنَّ نبي الله تعالى ﷺ قال: «ما قيل ولم يقل أحد قبل كلمة هي أفضل من لا إله إلا الله، ولا سأل السائلون من ربهم شيئًا أفضل من المغفرة»[٤].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إنَّ الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم، وإنَّ الله تعالى يعطي المال من أحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب، فمن ضن بالمال أن ينفقه، وخاف العدو أن

١- التبيان في آداب حملة القرآن (ص٤٥)، ورسالة «سؤال وجواب في فقراء الغرباء الواصلين إلى مكة من سائر الجهات ومكثهم في المسجد الحرام» من كتاب الفتح الرباني للعلامة الشوكاني (٥٥٥٠/١١).

٢- ينظر: الفتاوى الحديثية لابن حجر (ص٥٣)، وقال الشوكاني في «قطر الولي» (ص٣٨٧): «ومن أعظم ما يلازمه العبد من أذكار الله سبحانه هو كلمة التوحيد، ثم ذكر الحديث السابق.

٣- (٣٣٨٣) وقال: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث موسى بن إبراهيم» وقد روى علي بن المديني، وغير واحد عن موسى بن إبراهيم، هذا الحديث.

٤- كما في المطالب العالية (٣٣٧٢)، وإسناده ضعيف.

يجاهده، وهاب الليل أن يكابده، فليكثر من قول: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر»[١].

قال ابن عباس عن لا إله إلا الله: «أَحَبُّ كلمة إِلَى الله -تعالى- لا يقبل الله عملاً إلا بها»[٢].

قال الطيبي: قال بعض المحققين: «إنَّما جعل التهليل أفضل الذكر؛ لأنَّ لها تأثيرًا في تطهير الباطن عن الأوصاف الذميمة التي هي معبودات في باطن الذاكر»[٣].

وقال آخرون: أفضل الذكر (الحمد لله رب العالمين)؛ ففيه معنى الشكر والثناء، وفيه من الإخلاص ما في لا إله إلا الله، وإنَّه افتتح الله به كلامه وختم به وهو آخر دعوى أهل الجنة[٤].

١- رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٥)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٩١/١٠).
-ورواه عبد بن حميد في «المنتخب» (٦٤١)، والبزار في «مسنده»، مرفوعاً من حديث ابن عباس (٤٩٠٤)، وقال: «وهذا الحديث لا نعلمه يروى إلا عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، ولا نعلم له طريقًا عن ابن عباس إلا هذا الطريق، وأبو يحيى فلا نعلم به بأسًا قد روى عنه جماعة من أهل العلم، وهو كوفي معروف»، ورواه البيهقي في «الشعب» (٥٠٥).
-ورواه الطبراني في «الشاميين» (١٧٤)، وابن شاهين في «الترغيب والترهيب» (٥٧/١)، من حديث أبي أمامة ﷺ مرفوعاً، وسنده ضعيف جداً، فيه سليمان بن أحمد الواسطي، وهو متهم بالكذب.
ورواه تمام الرازي في «فوائده» (١٥٦٦) من حديث أنس ﷺ مرفوعاً، وهو ضعيف.
٢- كلمة الإخلاص (٣٩٣/٢).
٣- شرح المشكاة (١٨٢٥/٦).
٤- ينظر تفسير ابن جزي (٦٤/١)، وفي طبعة العالمية (١٠٦/١-١٠٧). **قال ابن جزي: (الفائدة الخامسة): قولنا: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ أفضل عند المحققين من لا إله إلّا الله لوجهين:**
أحدهما: ما خرّجه النسائي عن رسول الله ﷺ: «من قال لا إله إلّا الله كتب له عشرون حسنة، ومن قال الحمد لله رب العالمين كتب له ثلاثون حسنة».
والثاني: أنّ التوحيد الذي يقتضيه لا إله إلّا الله حاصل في قولك ﴿رب العالمين﴾ وزادت بقولك

ولكلٍّ واحد من القولين وجه وآثارٌ تدل على ما ذهب إليه من قال به[١].

قال الطيبي: «والمذهب الصحيح أن أولى الأذكار قول: لا إله إلا الله، وأقوال السلف وأئمة الخلف في هذا مشهورة»[٢].

وقد يقال: من أفضل الأذكار الاستغفار، كما قال شيخ الإسلام: سِرّ الجمع بين (لا إله إلا الله) و (الاستغفار) في قوله تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ أنَّ التوحيد يُذهب أصل الشرك، والاستغفار يمحو فروعه؛ فأبلغُ الثّناء قول: لا إلهَ إلا الله، وأبلغُ الدّعاء قول: أستغفرُ الله. فأمَرَهُ بالتّوحيدِ والاستغفارِ لنفسِهِ ولإخوانهِ من المؤمنين والمؤمنات[٣].

وقيل: رأى بكر بن عبد الله المزني حمالًا عليه حمله، وهو يقول: «الحمد الله أستغفر الله».

قال: فانتظرته حتى وضع ما على ظهره، وقلت له: أما تحسن غير هذا.

قال: بلى أحسن خيرًا كثيرًا، أقرأ كتاب الله؛ غير أنَّ العبد بين نعمة وذنب،

الحمد لله، وفيه من المعاني ما قدّمنا، وأمّا قول رسول الله ﷺ: «أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلّا الله»، فإنمَّا ذلك للتوحيد الذي يقتضيه، وقد شاركتها الحمد لله رب العالمين في ذلك وزادت عليها، وهذا المؤمن يقولها لطلب الثواب، أمّا لمن دخل في الإسلام فيتعين عليه لا إله إلّا الله.

وفي «كتاب الشكر» لابن أبي الدنيا (١٠)، عن خالد بن معدان، سمعت عبد الملك بن مروان، يقول: «ما قال عبد كلمة أحب إليه وأبلغ في الشكر عنده من أن يقول: الحمد لله الذي أنعم علينا، وهدانا للإسلام».

١- التمهيد لابن عبد البر (٦/٤٢).

٢- شرح المشكاة (٥/١٧٣٥).

٣- مجموع الفتاوى (١١/٦٩٧).

فأحمد الله على نعمه السابغة، وأستغفره لذنوبي.

فقلت: الحمَّال أفقه من بكر[١]. والقول الأول أولى، والله أعلم.

١- عدة الصابرين (ص١٤٧) ط: دار البصيرة.

فضل لا حول ولا قوة إلا بالله

إنَّ المتأمل للأذكار الشرعيَّة يجد مبناها يقوم على التوحيد، وألفاظها متضمنة للحمد والتنزيه والتعظيم، والاستعانة بالله العظيم، ولفضل هذه الكلمة (لا حول ولا قوة إلا بالله) صنِّفت فيها المصنفات[١]، وهي تعرف أيضًا بالحوقلة أو الحولقة[٢]، وفي هذه الكلمة من إظهار الضعف وطلب العون ما يرسخ بقلب صاحبها التوحيد الخالص المجرد[٣]، ولأهميتها جاءت الأحاديث النبوية تحث عليها وتبين فضلها، والآثار السلفيَّة تذكر فوائدها، وما يتعلق بها من الخير والنفع، **فمنها أنَّها من كنوز الجنة**، فعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبر أو قال لما توجَّه رسول الله ﷺ أشرف النَّاس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إنَّكم تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم، وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ، فسمعني وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال لي: يا عبد الله بن قيس. قلت: لبيك يا رسول الله قال:

١- ومن الكتب المصنفة حولها: (فضل لا حول ولا قوة إلا بالله) لجمال الدين يوسف بن عبد الهادي، و(شرح الحوقلة والحيعلة) لجلال الدين السيوطي، و(الحوقلة) للشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد حفظه الله ووالده.

٢- وهذا نحت من لا حول ولا قوة إلا بالله، والنحت هو (أن ينحت من كلمتين أو أكثر كلمة تدل على معنى الكلام).

٣- لما أخرجه ابن أبي حاتم، عن ابن عباس ﷺ قال: «لا حول بنا على العمل بالطاعة إلا بالله، ولا قوة لنا على ترك المعصية إلا بالله» كما في «الدر المنثور» (٣٩٣/٥).
وروي عن علي ﷺ في معناها: «أنا لا نملك مع الله شيئاً، ولا نملك من دونه، ولا نملك إلاَّ ما ملكنا مما هو أملك به منا» «الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية» (٢٤٢/١).

ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة؟ قلت: بلى يا رسول الله فداك أبي وأمي. قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»[١].

وعن أبي هريرة ﷺ، قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ في نخل لبعض أهل المدينة، فقال: «يا أبا هريرة، هلك المكثرون، إلا من قال هكذا وهكذا وهكذا -ثلاث مرات: حثا بكفيه عن يمينه وعن يساره وبين يديه-، وقليل ما هم ثمَّ مشى ساعة فقال: «يا أبا هريرة، ألا أدلك على كنزٍ من كنوز الجنَّة؟ فقلت: بلى يا رسول الله. فقال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا ملجأ من الله إلا إليه ثمَّ مشى ساعة فقال: يا أبا هريرة، هل تدري ما حق النَّاس على الله، وما حق الله على النَّاس؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنَّ حق الله على النَّاس أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، فإذا فعلوا ذلك فحق عليه أن لا يعذبهم»[٢].

وهي حصن من الشيطان وحفظ من المخاطر بإذن الله، فعن أنس بن مالك ﷺ، أنَّ النبي ﷺ قال: إذا خرج الرجل من بيته، فقال: باسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، قال: يقال حينئذ: هديت وكفيت ووقيت، فتتنحى له الشياطين، فيقول شيطان آخر: كيف لك برجل قد هدي وكفي ووقي؟[٣].

١- رواه البخاري في «صحيحه» (٣٩٦٨) ومسلم (٢٧٠٤) قوله: (كنز من كنوز الجنة) أي: أجرها مدخر لقائلها والمتصف بها، كما يدخر الكنز وهو المال المجموع المحرز.

٢- رواه أحمد في «مسنده» (٨٠٨٦)، والبزار كما في «كشف الأستار» (٣٠٨٩) وهو في «مصنف عبد الرزاق» (٢٠٥٤٧).

٣- رواه أبو داود في «سننه» (٥٠٩٥)، والنسائي في «الكبرى» (٩٨٣٧)، والترمذي في «سننه» (٣٧٢٤).

وهي تكفر الذنوب العظام، فعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما على الأرض رجل يقول: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إلا كفرت عنه ذنوبه، ولو كانت أكثر من زبد البحر»[١].

وهي غراس الجنَّة، فعن أبي أيوب الأنصاري: أنَّ رسول الله ﷺ ليلة أسري به مر على إبراهيم، فقال: «من معك يا جبريل؟

قال: هذا محمد، فقال له إبراهيم: مرْ أمتك فليكثروا من غراس الجنَّة، فإنَّ تربتها طيبة، وأرضها واسعة قال: وما غراس الجنَّة؟ قال: لا حول ولا قوة إلا بالله»[٢].

وهي من الباقيات الصالحات، كما روى ابن جرير بسنده، عن عمارة بن صياد، قال: سألني سعيد بن المسيب، عن الباقيات الصالحات، فقلت: «الصلاة والصيام، قال: لم تصب، فقلت: الزكاة والحج، فقال: لم تصب، ولكنهن الكلمات الخمس: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[٣]. ولها فضائل كثيرة في السنة النبوية[٤]، أمَّا في كلامِ

١- رواه أحمد في «مسنده» (٦٤٧٩)، واختلف في رفعه ووقفه، والموقوف أصح.

٢- رواه أحمد في «مسنده» (٢٣٥٥٢)، وإسناده ضعيف، وحسنه المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤٤٥/٢)، وابن حجر في «نتائج الأفكار» (١٠٠/١) وانظر: «الصحيحة» (١٠٥). و(قيعان): جمع قاع، وهو المكان المستوي الواسع في وطأة من الأرض يعلوه ماء السماء، فيمسكه، ويستوي نباته.

٣- جامع البيان عن تأويل آي القرن (٢٧٩/١٥).

٤- راجع كتاب (الحوقلة) للشيخ عبد الرزاق البدر حفظه الله.

أهل العلم وما جاء فيه فهو كثير لا يسعه الحصر، وأنَّ ذلك والنقص طبع في البشر، لكن حسبي ببعض النقول والله المعين.

ولا حول ولا قوة إلا بالله كلمة عظيمة، يدفع الله بها الهم، ويزيل به الكدر عن النفس، ويغني به الفقير، ويأنس به المستوحش، ويدفع بها الظالم، ويواجه به المخاطر، ويتحمل بها المصاعب، كما قال شيخ الإسلام: «وليكن هجيراه لا حول ولا قوة إلا بالله فإنَّها بها تحمل الأثقال، وتكابد الأهوال، ويُنال رفيع الأحوال»[١].

وهي كلمة النصر والعز، كان حبيب بن سلمة: يستحب إذا لقي عدواً أو ناهض حصناً قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، وإنَّه ناهض يومًا حصنًا للروم فانهزم، فقالها المسلمون وكبروا فانهدم الحصن.

قال ابن القيم: «لا حول ولا قوة إلا بالله، وهذه الكلمة لها تأثير عجيب في معالجة الأشغال الصعبة، وتحمل المشاق، والدخول على الملوك، ومن يخاف ركوب الأهوال، ولها تأثير في دفعِ الفقر»[٢].

وقال محمد بن علي لابنه: «يا بني إذا أنعم الله عليك نعمة فقل: الحمد لله، وإذا حزبك أمر فقل: لا حول ولا قوة إلا بالله، وإذا أبطأ عنك رزق فقل: استغفر الله»[٣].

وعن إسحاق الغزواني، قال: زحف إلينا أزدمهر عند مدينة الكيرج في ثمانين

١- مجموع الفتاوى (١٠/١٣٧).
٢- الوابل الصيب لابن القيم (ص١٣٠).
٣- البيان والتبيين (٣/١٨٦-١٨٧).

فيلًا، فكادت تنفض الخيول والصفوف، فكرب لذلك محمد بن القاسم، فنادى عمران بن النعمان أمير أهل حمص وأمراء الأجناد، فنهضوا فما استطاعوا، فلما أعيته الأمور نادى مرارًا: لا حول ولا قوة إلا بالله، فكف الله عز وجل الفيلة بذلك، وسلط عليها الحر، فأنضجها، ففزعت إلى الماء، فما استطاع سواسها ولا أصحابها حبسها، وحملت الخيل عند ذلك، فكان الفتح بإذن الله»[١].

وفيها من الخير العظيم الذي لا يعلمه إلا الله، قال المناوي: «لا حول ولا قوة إلا بالله، لو يعلم صاحب الحاجة ما في هذه الكلمة من العون والتوفيق والسداد ما تركها»[٢].

وفيها من البركة والعون لصاحبها، قال شيخ فاضل[٣]:«أذكر أني رأيت أحد الفضلاء كثير البركة في وقته، ينجز في اليوم ما يضطلعُ به سواه في أيام أو حتى أسابيع! فسألته عن سرَّ ذلك، فذكر لي أنَّه يردد كثيرًا في ساعات الصباح الأول: (لا حول ولا قوة إلا بالله) مستشعرًا افتقاره وضعفه وحاجته، ووجد لها مفعولًا عجيبًا».

١- أخرجه ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة» كما في موسوعته (٤/٤٥٤)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/١١٣)

٢- فتح القدير (٣/١٥)

٣- الشيخ سليمان العبودي حفظه الله.

اسم الله الأعظم

اختلف أهل العلم في الاسم الأعظم، فذهب جماعة من العلماء أنَّ أسماء اللهِ كلَّها عظيمة، وهو قول أبي الحسن الأشعري، وابن جرير، وابن حبان، وغيرهم، وعلى ذلك فلا يقال الأعظم.

ثمَّ بعد ذلك اختلفوا في تعيينه، فبعضهم قال: إنَّه إلهام كما ألهمت ليلة القدرِ.

وبعضهم عينه، كما قال الشوكاني رحمه الله: «اختلف في تعيين الاسم الأعظم على نحوِ أربعين قولًا، قد أفردها السيوطي بالتصنيف»[١]، وهي بأوجز الاختصار:

القول الأول: قال ابن حجر: «وأرجحها من حيث السند (الله لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد)»[٢].

القول الثاني: قال ابن الأثير رحمه الله: «وعندي أنَّ الاسم الأعظم لا إله إلا هو الحي القيوم».

وهو قول ابن الجوزي[٣]، وذكر: عن شريح العابد قال: رأيت في النوم كأنَّ قائلًا يقول لي: ائتِ فلانًا فقد أمرناه أن يعلمك اسم الله الأعظم، فلمَّا أصبحت جاءني رجل فقال: إنِّي أريت البارحة، فقيل لي ائت شريحًا، فعلمه اسم الله الأعظم، وهو كل شيء في القرآن: لا إله إلا هو.

١- واسمها: «الدر المنظم في اسم الله الأعظم» وهي مطبوعة ضمن كتاب (الحاوي للفتاوي) وذكر في ذلك عشرين قولًا.

٢- انظر: فتح الباري (١١/٢٢٤).

٣- انظر: التمهيد في الكلام على التوحيد لابن المبرد (ص١٥٥).

قال ابن الجوزي معلقًا: «واعلم إنَّ ذلك في ثلاثين موضعًا»[١]، وذكر ابن القيم في (الهدي): أنَّه الحي القيوم[٢] فينظر في وجه ذلك[٣].

القول الثالث: أنَّ الاسم الأعظم هو (الله)، قال الشعبي: اسم الله الأعظم، هو: «الله»[٤].

قال الله: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢]. قال جابر بن زيد: اسم الله الأعظم: «هو الله»[٥]، والمنقول عنه في مصنف ابن أبي شيبة «اسم الله الأعظم الله»[٦] بدون الضمير هو.

وقال: «اسم الله الأعظم، هو: (الله)، ألم تروا أنَّه يبدأ به قبل الأسماء كلها»[٧].

وهو قول أبي حنيفة[٨]، وقول الشيخ عبد القادر الكيلاني[٩].

١- المجتبى من المجتنى (ص٢٥).

٢- كما في كتابه «زاد المعاد» (٤/٢٠٤-٢٠٥)، إذ قال: «لهذا كان اسم الله الأعظم الذي إذا دعى به أجاب، وإذا سئل به أعطى: هو اسم الحي القيوم، والحياة التامة تضاد جميع الأسقام والآلام، ولهذا لما كملت حياة أهل الجنة لم يلحقهم هم ولا غم ولا حزن ولا شيء من الآفات. ونقصان الحياة تضر بالأفعال، وتنافي القيومية، فكمال القيومية لكمال الحياة، فالحي المطلق التام الحياة لا يفوته صفة الكمال ألبتة، والقيوم لا يتعذر عليه فعل ممكن ألبتة، فالتوسل بصفة الحياة والقيومية له تأثير في إزالة ما يضاد الحياة، ويضر بالأفعال».

٣- تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين (ص١٢٨) ط: المكتبة التوفيقية.

٤- نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد (ص١٠٧) ط: الناشر المتميز.

٥- تفسير العز بن عبد السلام (٣/٣٠٥).

٦- مصنف ابن أبي شيبة (٢٩٩٧٩) (١٠/٢٧٣).

٧- نقض عثمان بن سعيد (ص١٠٨)، وهو «فضائل القرآن» لابن الضريس (١٤٧).

٨- التقرير والتحبير لابن الأمير الحنبلي (١/١١-١٢).

٩- حاشية السندي (٢/٤٣٨).

قال وكيع بن الجراح: رأيت في المنام رجلًا بجناحين: فقلت: منْ أنت؟ فقال: مالك بن دينار. فقلت: ما اسم الله الأعظم؟ فقال: الله. قلت: وما الدليل على ذلك؟ قال: «قوله -جلَّ وعز- لموسى: ﴿إني أنا الله﴾، ولو كان له اسم أعظم منه قال- تبارك وتعالى: (أنا)، وتسمَّى بذلك الاسم»[١].

قال الخطيب الشربيني من الشافعية: «وعند المحققين أنَّه اسم (الله) الأعظم، وقد ذكر في القرآن العزيز في ألفين وثلاثمائة وستين موضعًا، واختار المصنف تبعًا لجماعة أنَّه الحي القيوم، قال: ولذلك لم يذكر في القرآن إلا في ثلاثة مواضع: في البقرة، وآل عمران، وطه، و (الرحمن الرحيم) صفتان مشبهتان بنيتا للمبالغة من رحم بتنزيله منزلة اللازم، أو بجعله لازمًا، ونقله إلى فعل بالضم»[٢].

وقال التفتازاني: «ولهذا الاسم أعني -اسم الله- خصائصُ، منها: التعويض، ومنها اختصاصه بالتاء في القسم، ومنها دخولُ حرف النداء عليه، وفيه لام التعريف، ومنها: قطع هَمزِهِ في النِّداءِ، نحو: يا الله. ولا كذلك سائرُ أسمائه»[٣].

القول الرابع: قيل: **(لا إله إلا الله)**، واستعرض هذا القول النووي، ومن بعده ابن علان، والزرقاني، والمباركفوري[٤]. وقيل: **(يا ذا الجلال والإكرام)**[٥].

١- الفنون لابن عقيل (٢/٧٤٧).

٢- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (١/٨٨-٨٩) ط: دار الكتب العلمية.

٣- النعم السوابغ في شرح النوابغ (ص١٠٤) ط: دار اللباب.

٤- شرح صحيح مسلم (١٧/١٨)، ودليل الفالحين (٧/٢٣٦)، وشرح الزرقاني لموطأ مالك (٢/٣٣)، وتحفة الأحوذي (٩/٣٠٨).

٥- التمهيد في الكلام على التوحيد (ص١٥٤) بدون عزو.

وسبب الاختلاف: هو الأحاديث والآثار الواردة في الباب[١]، ومنها: حديث أسماء بنت يزيد، أنهَّا سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنَّ في هاتين الآيتين: اسم الله الأعظم ﴿الم . اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[٢].

وروي بنحوهِ عند أبي داود بلفظ: اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣] وفاتحة سورة آل عمران ﴿الم. اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾»[٣].

وعن أنس رضي الله عنه: أنَّه كان مع رسول الله ﷺ جالسًا ورجل يصلي، ثمَّ دعا: اللهم إنِّي أسالك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، فقال النبي ﷺ: «لقد دعا الله باسمه العظيم

١- قال الشيخ ناصر الدين كما في «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة» (٦١٢٤): «واعلم أنَّ العلماء اختلفوا في تعيين اسم الله الأعظم على أربعة عشر قولًا، ساقها الحافظ في «الفتح»، وذكر لكلٍّ قول دليله، وأكثرها أدلتها من الأحاديث، وبعضها مجرد رأي لا يلتفت إليه، مثل القول الثاني عشر؛ فإنَّ دليله: أن فلاناً سأل الله أن يعلمه الاسم الأعظم، فرأى في النوم؛ هو الله، الله، الله، الذي لا إله إلا هو رب العرش العظيم!! وتلك الأحاديث منها الصحيح، ولكنَّه ليس صريح الدلالة، ومنها الموقوف كهذا، ومنها الصريح الدلالة؛ وهو قسمان: قسم صحيح صريح، وهو حديث بريدة: «الله لا إله إلا هو، الأحد الصمد الذي لم يلد...» إلخ، وقال الحافظ: «وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك».

٢- رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٣١٥٧)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١٥٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢١٦٦)، والبغوي في «شرح السنة» (١٢٦٠) وإسناده ضعيف لضعف (عبيد الله بن أبي زياد) و(شهر بن حوشب)، كثير الإرسال والتدليس، لكن رواياته عن أسماء مقبولة.

٣- سنن أبي داود (١٤٩٦)، وابن ماجه «سننه» (٣٨٥٥)، والترمذي في «سننه» (٣٤٧٨)، وأحمد في «مسنده» (٢٧٦١١)، وكذا سنده ضعيف، للعلة السابقة.

الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى»[١].

وعن عبد الله ابن بريدة عن أبيه: أنَّ رسول الله ﷺ سمع رجلًا يقول: «اللهم إني أسالك أني أشهد أنك أنت الله، لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، فقال: لقد سألت الله بالاسم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب»[٢].

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «اسم الله الأعظم الذي إذا دعي أجاب في هذه الآية من آل عمران: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ﴾»[٣].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قرأ رجل عند عبد الله البقرة، وآل عمران، فقال: «قرأت سورتين فيهما اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى»[٤].

وعن عبد الملك بن عمير قال: قرأ رجل البقرة وآل عمران فقال كعب: «قد قرأ سورتين إن فيهما للاسم الذي إذا دعي به استجاب»[٥].

وعن القاسم، قال: «اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، في سور ثلاث:

١- سنن أبي داود (١٤٩٥)، وابن ماجه «سننه» (٣٨٥٨)، وأحمد في «مسنده» (١٢٦١١)، و«صححه ابن حبان» (٨٩٣).

٢- سنن أبي داود (١٤٩٣)، وابن ماجه «سننه» (٣٨٥٧)، وأحمد في «مسنده» (٢٢٩٥٢)، و«صححه» ابن حبان (٨٩١).

٣- قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٧٢٦٣) « رواه الطبراني في الأوسط، وفيه جسر بن فرقد وهو ضعيف».

٤- سنن الدارمي (٣٤٣٦) وإسناده ضعيف لضعف جابر بن يزيد الجعفي.

٥- مصنف ابن أبي شيبة (٢٩٩٧٧).

البقرة، وآل عمران، وطه»[١].

وعن أبي إبراهيم اليماني قال: قلت لإبراهيم بن أدهم رحمه الله: يا أبا إسحاق، إنَّ لي عليك مودة وحرمة، ولي حاجة، فقال: وما هي؟ قلت: تعلمني اسم الله الأعظم، فقال لي: هو في المسبحات، ثمَّ أمسكت عنه أيامًا، فرأيته طيب النفس فقلت: يا أبا إسحاق، إنَّ لي مودة وحرمة ولي حاجة، قال: وما هي؟ قلت: تعلمني اسم الله الأعظم، قال لي: «هو في العشر الأول من سورة الحديد لستُ أزيدك على هذا»[٢].

١- رواه ابن ماجه في «سننه» (٣٨٥٦)، والفريابي في «فضائل القرآن» (٤٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٥٩/١). والحاكم في «المستدرك» مرفوعًا (١٨٦١)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٧٧٨).

٢- الطيوريات للسلفي (٤٧٥) (٥٥٧/٢)، وانظر كلام محققه.

تعظيم الله

ومن حق كلمة التوحيد، تعظيم صاحبها جلَّ جلاله، بالحمد والثناء، والذكر والعبادة، والتوحيد الدائم، الذي لا يخرمه الشرك بنوعيه، وكلما كان العبد لربه معظمًا، كان توحيده متماسكًا، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فمن اعتقد الوحدانية في الألوهية لله سبحانه وتعالى والرسالة لعبده ورسوله، ثم لم يتبع هذا الاعتقاد موجبه من الإجلال والإكرام، الذي هو حال في القلب يظهر أثره على الجوارح، بل قارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول أو بالفعل كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجبا لفساد ذلك الاعتقاد ومزيلا لما فيه من المنفعة والصلاح، إذ الاعتقادات الإيمانية تزكي النفوس وتصلحها، فمتى لم توجب زكاة النفس ولا صلاحها، فما ذاك إلا لأنها لم ترسخ في القلب»[1].

ومن تعظيم الله: محبته. قال الله: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]. وقال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٢].

وقال الله: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

قال الحسن البصري: «قال قوم على عهد النبي ﷺ: يا محمد، إنا نحب ربنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١] فجعل اتباع نبيه محمد

١- الصارم المسلول (١/ ٣٧٥).

ﷺ علمًا لحبه، وعذاب من خالفه»[١].

وعن أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «ثلاث من كنَّ فيه وَجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه ممَّا سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[٢].

وسئل ذو النون: متى أحب ربي؟ قال: «إذا كان ما يكرهه أمر عندك من الصبر».

وقال بشر بن السري: «ليس من أعلام المحبة أن تحب ما يبغضه حبيبك»[٣].

قال عتبة الغلام: «من عرف الله أحبَّه، ومن أحبَّ الله أطاعه، ومن أطاع الله أكرمه، ومن أكرمه أسكنه في جواره، ومن أسكنه في جواره فطوباه وطوباه وطوباه وطوباه، فلم يزل يقول: وطوباه حتى خرَّ ساقطًا مغشيًا عليه»[٤].

وسُئِل رويم عن المحبة؟ فقال: «الموافقةُ في جميعِ الأحوال»، وَأنشدَ:

ولو قلتَ لي: مُتْ مِتُّ سمعًا وطاعةً وقلتُ: لداعي الموتِ أهلًا ومرحبًا[٥]

قال ابن القيم: «وأمَّا محبة العوام، فهي محبة تنبت من مطالعة المنة، وتثبت باتباع السنة، وتنمو على الإجابة للغاية؛ وهي محبة تقطع الوسواس، وتلذذ

١- جامع بيان البيان للطبري (٥/ ٣٢٥).
٢- رواه البخاري (٦٥٤٢)، ومسلم (٦٧).
٣- فتح الباري لابن رجب (٥٨/١) ط: مؤسسة الحرمين.
٤- حلية الأولياء (٢٣٦/٦).
٥- تاريخ بغداد (٤٢٨/٩).

الخدمة، وتسلي عن المصائب»[١].

ومن تعظيمه: ذكره. قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١].

وعن أبي موسى ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت»[٢].

وعن أبي الدرداء ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أنبئكم بخير أعمالكم، قال مكي: -وأزكاها- عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إعطاء الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم، فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم. قالوا: وذلك ما هو يا رسول الله؟ قال: «ذكر الله عز وجل»[٣].

ومن تعظيمه: التفكر بمخلوقاته. قال الله: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٦].

وقال حكايةً عن نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾

١- طريق الهجرتين (ص٤٦٦) ط: دار ابن القيم.

٢- رواه البخاري في «صحيحه» (٦٠٤٤)، ومسلم في «صحيحه» (٧٧٩).

٣- رواه أحمد في «مسنده» (٢١٧٠٢)، والترمذي في «سننه» (٣٣٧٧)، وابن ماجه في «سننه» (٣٧٩٠)، وقال الترمذي في «قد روى بعضهم هذا الحديث عن عبد الله بن سعيد، مثل هذا بهذا الإسناد، وروى بعضهم عنه فأرسله »، وحسنه البغوي في «شرح السنَّة» (١٢٤٤)، والحديث اختلف في رفعه ووقفه، وفي إرساله ووصله.

[الأنعام: ٧٨-٧٩].

وقال سبحانه: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠-٢٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «فكروا في كلِّ شيءٍ، ولا تفكروا في ذاتِ الله تعالى، فإنَّ ما بين كرسيه إلى السماء السابعة سبعة آلاف نور، وهو فوق ذلك تبارك وتعالى»[(١)].

ومن تعظيمه: امتثال أمره واجتناب نهيه. وهو أن لا يعارضا بترخصٍ جاف، ولا يعرضا لتشديدٍ غال، ولا يحملا على علةٍ توهن الانقياد، ومعنى كلامه أن أول مراتب تعظيم الحق ﷻ تعظيم أمره ونهيه وذلك المؤمن يعرف ربه عز وجل برسالته التي أرسل بها رسول الله ﷺ إلى كافة الناس ومقتضاها الانقياد لأمره ونهيه، وإنما يكون ذلك بتعظيم أمر الله ﷻ واتباعه وتعظيم نهيه واجتنابه فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله تعالى ونهيه دالا على تعظيمه لصاحب الأمر والنهي».

قال أبو تراب النخشبي:

لا تخُدعنَّ فللمُحبِّ دلائلُ ... ولديه من تُحفِ الحَبيبِ وسائلُ

منها تنعُّمُه بمُرِّ بلائِهِ ... وسروره في كلِّ ما هو فاعلُ

١- انظر: العظمة (٢٢) (٢٤٠/١)، وأخرجه من طريق عبد الوهاب الوراق العسال في كتاب «المعرفة»، وذكره شيخ الإسلام في «درء تعارض العقل والنقل» (٢٠٣/٦).

فالمنعُ مِنْه عطيةٌ مقبولةٌ والفقرُ إكرامٌ وبرٌّ عاجلُ

ومن الدَّلائلِ أنْ يَرى مَن عزمِه طوع الحبيب وإنْ ألحَّ العاذلُ

ومن الدَّلائلِ أنْ يُرى متبسمًا والقلب فيه من الحبيب بلابلُ

ومن الدَّلائلِ أنْ يُرى متفهّمًا لكلامِ منْ يحظى لديه السَّائلُ[١]

ومن تعظيمه: تنزيهه عمَّا لا يليق به، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال هذا خلق الله الخلق فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئًا فليقل آمنت بالله».

قال نُعيم بن حماد: «من شبَّه الله بخلقه، فقد كفر، ومن أنكر ما وصف به نفسه، فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه».

قال الذهبي معلقًا: «هذا الكلام حق، نعوذ بالله من التشبيه، ومن إنكار أحاديث الصفات، فما ينكر الثابت منها من فَقِه، **وإنَّما بعد الإيمان بها هنا مقامان مذمومان:**

تأويلها وصرفها عن موضوع الخطاب، فما أولها السلف، ولا حرفوا ألفاظها عن مواضعها، بل آمنوا بها، وأمروها كما جاءت.

١- استنشاق رياض الأنس من نفحات رياض القدس (المطبوع ضمن رسائله) (١/٢٠٥) ت: النجار.

المقام الثاني: المبالغة في إثباتها، وتصورها من جنس صفات البشر، وتشكلها في الذهن، فهذا جهل وضلال، وإنما الصفة تابعة للموصوف، فإذا كان الموصوف ﷻ لم نره، ولا أخبرنا أحد أنه عاينه مع قوله لنا في تنزيله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ، فكيف بقي لأذهاننا مجال في إثبات كيفية البارئ - تعالى الله عن ذلك - فكذلك صفاته المقدسة، نقر بها ونعتقد أنها حق، ولا نمثلها أصلا ولا نشكلها»[١].

وقال إسحاق بن راهويه: «من وصفَ اللهُ فشبَّه صفاتَه بصفاتِ أحدٍ من خلق اللهِ فقد كفرِ باللهِ العظيم»[٢].

ولله درُّ الحافظ السِّلفي إذ قال:

ضلَّ المجسم والمعطلُّ مثله ... عَن مَنْهَجِ الْحق الْمُبين ضلالا

وأتى أماثلهم بنكر لا رعوا ... من معشرٍ قد حاولوا الإشكالا

وغدوا يقيسون الْأُمُور برأيهم ... ويدلسونَ على الورى الأقوالا

فالأولون تعدوا الْحق الَّذِي ... قد حد فِي وصف الْإِلَه تَعَالَى

وتصوروه صُورَة من جنسنا ... جسمًا وَلَيْسَ الله عز مِثَالا

وَالْآخرُونَ فعطلوا مَا جَاءَ فِي الْقُرْآن ... أقبح بالمقال مقَالا

١- سير أعلام النبلاء (١٠/٦١٠-٦١١)، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/٥٨٧).

٢- شرح الفقه الأكبر لعلي القاري (ص٢٤-٢٥)، و«شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/٥٨٧)، بزيادة «لأنَّه وَصَفَ بصفاته إنَّما هو استسلام لأمر الله، ولما سن الرسول ﷺ».

وأبوا حَدِيث الْمُصْطَفى أَن يقبلُوا ورأوه حَشْوًا لَا يُفِيد منالا[١]

ومن تعظيمه: التعرف على أسمائه وصفاته. فإنَّ التعرف عليها من تعظيم صاحبها، ومن أسباب التعلق بها، ومن أفضل العلوم، وأثره في النفوس كبير. قال المناوي: «ولا شكَّ أنَّ أعظم المدلولات، ذات الله تعالى وصفاتِه، وأشرف العلوم وأعلاها قدرًا، وأرفعها منارًا، وأبقاها ذخرًا، هو العلم الإلهي الباحث عن ذاتِه تقدَّس»[٢].

وهي من أسباب دخول الجنة، ففي صحيح البخاري وغيره، من حديثِ عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ لله تسعة وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا منْ أحصاها دخل الجنة»[٣].

قال البيهقي: المراد بقوله: **(من أحصاها)** من عدَّها، وقيل: معناه من «أطاقها بحسن المراعاة لها، والمحافظة على حدودها في معاملة الربِّ بها»، وقيل: «معناه من عرفها وعقِل معانيها، وآمن بها» والله أعلم[٤].

قال أبو القاسم الرافعي: «إنَّما قال: (مائة إلا واحدًا) لئلا يتوهم أنَّه على التقريب، وفيه فائدة رفع الاشتباه، فقد يشتبه في الخط تسعة وتسعون بسبعة وسبعين»[٥].

١- طبقات الشافعية الكبرى (٦/٤١).
٢- فيض القدير (١/٥١٠).
٣- رواه البخاري في «صحيحه» (٢٥٨٥) و(٦٩٥٧) ومسلم في «صحيحه» (٢٦٧٧) واللفظ للبخاري.
٤- الأسماء والصفات للبيهقي (١/٢٧)، وتحفة الذاكرين (ص١٣٠-١٣١).
٥- طبقات الشافعية للسبكي (٨/٢٨٥).

ومعرفة الأسماء الحسنى: هي أصل الإيمان، والإيمان يرجع إليها، ومعرفتها تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات. وهذه الأنواع هي رُوح الإيمان ورَوْحه، وأصله وغايته. فكلَّما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته، ازداد إيمانه، وقوي يقينه. فينبغي للمؤمنِ أن يبذل مقدوره ومستطاعه في معرفة الأسماء والصفات، وتكون معرفته سالمة من داء التعطيل، ومن داء التمثيل اللذين ابتلي بهما كثير من أهل البدع المخالفة لما جاء به الرسول، بل تكون المعرفة متلقاة من الكتاب والسنة، وما روي عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان. فهذه المعرفة النافعة التي لا يزال صاحبها في زيادة في إيمانه وقوة يقينه، وطمأنينة في أحواله[١].

ومن تعظيمه: الولاء والبراء فيه. قال شيخ الإسلام: «إنَّ تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، ولا يبغض إلا لله، ولا يوالي إلا لله، ولا يعادي إلا لله، وأن يحب ما أحبه الله ويبغض ما أبغضه الله»[٢].

وقال الحافظ الذهبي: «ولا يعلم العبد أنَّه لا إله إلا الله حتى يبرأَ من كلِّ دينٍ غير الإسلام، وحتى يتلفظ بلا إله إلا الله موقنًا بها، فلو علم وأبى أن يتلفظ مع القدرة يعد كافرًا»[٣].

ومن الأدلة على الولاء والبراء. عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضل

١- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (ص٧٢).
٢- الاحتجاج بالقدر (ص٦٢) ط: المكتب الإسلامي.
٣- السير للذهبي (١٤/٣٠٦).

الأعمال: الحب في الله، والبغض في الله»[١].

وعن البراء بن عازب ﷺ، قال: قال ﷺ: «إن أوثق عرى الإيمان أن تحب في الله، وتبغض في الله»[٢].

وعن أبي أمامة ﷺ، عن رسول الله ﷺ أنَّه، قال: «من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»[٣].

وعن سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من أعطى لله، ومنع لله، وأحب لله، وأبغض لله، وأنكح لله، فقد استكمل إيمانه»[٤].

وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «من سره أن يجد طعم الإيمان، فليحب العبد لا يحبه إلا لله عز وجل»[٥].

وسئل المرتعش: بماذا ينال العبد المحبة؟ قال: «بموالاة أولياء الله، ومعاداة أعداء الله»[٦].

١- رواه أبو دواد في «سننه» (٤٥٩٩)، وأحمد في «مسنده» (٢١٣٠٣) وإسناده ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد.

٢- رواه أحمد في «المسند» (١٨٥٢٤)، الطيالسي في «مسنده» (٧٤٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٤).

٣- رواه أبو داود في «سننه» (٤٦٨١)، والطبراني في «الكبير» (٧٧٣٧)

٤- رواه الترمذي في «٢٥٢١»، وقال: «هذا حديث منكر».

٥- رواه أحمد في «المسند» (١٠٧٣٨)، وهو في «مسند الطيالسي» (٢٤٩٥)، والبيهقي في «الشعب» (٩٠١٨).

٦- السير (٢٣١/١٥).

مسألة هل النطق بكلمة التوحيد يكفي لدخول الجنة؟

وللجوابِ على هذا السؤال نورد بعض كلام أهل العلم، ومنهم الحافظ المنذري إذ قال: «ذهب طوائف من أساطين أهل العلم إلى أنَّ مثل هذه الإطلاقات التي وردت فيمن قال: (لا إله إلا الله دخل الجنَّة)، أو (حرَّم الله عليه النَّار). ونحوِ ذلك إنَّما كان في ابتداء الإسلام، حين كانت الدعوة إلى مجرد الإقرار بالتوحيد، فلمَّا فُرِضت الفرائض، وحدت الحدود نسخ ذلك، والدلائل على هذا كثيرة متظاهرة، وقد تقدم غير ما حديث يدل على ذلك في كتاب الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، ويأتي أحاديث أخر متفرقة إن شاء الله، وإلى هذا القول ذهب الضحاك، والزهري، وسفيان الثوري وغيرهم[١].

وقال طائفة أخرى: لا احتياج إلى ادعاء النسخ في ذلك، فإنَّ كل ما هو من أركان الدين، وفرائض الإسلام هو من لوازم الإقرار بالشهادتين، وتتماته، فإذا أقرّ ثمَّ امتنع عن شيءٍ من الفرائض جحدًا، أو تهاونًا على تفصيل الخلاف فيه حكمنا عليه بالكفر، وعدم دخول الجنة، وهذا القول أيضًا قريب.

وقالت طائفة أخرى: التلفظ بكلمة التوحيد سبب يقتضي دخول الجنة والنجاة من النار، بشرط أن يأتي بالفرائض، ويجتنب الكبائر، فإن لم يأتِ بالفرائض، ولم يجتنب الكبائر لم يمنعه التلفظ بكلمة التوحيد من دخول النار، وهذا قريب ممَّا قبله، أو هو هو. وقد بسطنا الكلام على هذا، والخلاف فيه في غير ما موضع

١- انظر: التمهيد في الكلام على التوحيد (ص١٨٠)، وعزاه المحقق «للشريعة» للآجري (٣/٨١٤-٨٢٠).

من كُتبنا، والله سبحانه وتعالى أعلم»[١].

وقال الإمام ابن القيم: «قول النبي ﷺ: «إنَّ الله حرم على النَّار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله» وقوله ﷺ: «لا يدخل النَّار من قال: لا إله إلا الله»، وما جاء من هذا الضرب من الأحاديث التي أشكلت على كثيرٍ من النَّاس حتى ظنَّها بعضهم منسوخة.

وظنَّها بعضهم قيلت قبل ورود الأوامر والنواهي، واستقرار الشرع.

وحملها بعضهم على نار المشركين والكفار.

وأوَّل بعضهم الدخول بالخلود، وقال: المعنى لا يدخلها خالدًا ونحوِ ذلك من التأويلات المستكرهة.

والشارع صلوات الله وسلامه عليه لم يجعل ذلك حاصلًا بمجرد قول اللسان فقط، فإنَّ هذا خلاف المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، فإنَّ المنافقين يقولونها بألسنتهم، وهم تحت الجاحدين لها في الدرك الأسفل من النار، فلا بدَّ من قول القلب وقول اللسان.

وقول القلب: يتضمن من معرفتها، والتصديق بها، ومعرفة حقيقة ما تضمنته من النفي والإثبات، ومعرفة حقيقة الإلهية المنفية عن غير الله المختصة به التي يستحيل ثبوتها لغيره. وقيام هذا المعنى بالقلب: علمًا ومعرفةً ويقينًا وحالًا: ما يوجب تحريم قائلها على النار»[٢].

١- الترغيب والترهيب (٢/٤١٤).

٢- مدارج السالكين (١/٣٣٠-٣٣١).

وقال الشيخ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي: «وقد دل الكتابُ والسنَّة والإجماع والمعقول على أنَّه لا يكفي النُّطق بها بدون معرفة معناها. **وإيضاح ذلك أنَّ الاعتداد بالنطق بها له شروط:**

منها: أنْ يكون على سبيل الاعتراف؛ للقطع بأنَّ المشرك إذا نطق بها حكاية عن غيره لا يعتد بذلك؛ كالمسلم إذا نطق بكلمة الكفر حكاية عن غيره، وأنت خبير أنَّ العبارة لا يحكم بكونها اعترافًا حتى يعلم أنَّ المتكلم بها يعرف معناها، فلو أثبت زيد على إنسان أعجمي أنَّه قال: أنا رقيق لزيد، ووجدنا هذا الأعجمي لا يعرف العربية ولا يعرف معنى هذه العبارة، وإنَّما لقنوه إيَّاها بدون إعلامه بمعناها، لم يعتد باعترافه، وهذا ممَّا لا خلاف فيه أصلا.

ومنها: العلمُ بمضمونِها، والعلم هو الذي يعبر عنه أهل الكلام بالتصديق، وقيل: التصديق أخص، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

واعلم أنَّ هذا الشرط مجمع عليه أيضًا، فأمَّا ما نقل عن الكرامية من أنَّ الإيمان هو النُّطقُ بالشهادتين فقط، وأنَّ المنافق مؤمن حقيقة، فهو نزاع لفظي؛ لأنَّهم يقولون: إنَّ هذا الإيمان الذي هو النطق إنَّما هو بالنَّظرِ إلى الأحكام الدنيوية، فأمَّا النَّجاةُ من النَّارِ فلا بدَّ فيها من التصديق القلبي.

هكذا نقله عنهم الشهرستاني[١]، والسعد التفتازاني[٢] وغيرهما. هذا مع مخالفة

١- الملل والنحل (١/١٥٤) بهامش الملل والنحل لابن حزم، الطبعة الأولى سنة ١٣٢٠. [المؤلف] نقلًا عن مصدر العزو في الكتاب.

٢- شرح المقاصد (١/ ٢٤٨) [المؤلف].

قولهم للنصوص القرآنية، والنبوية، والإجماع السابق قبلهم.

إذا تقرر ما ذكر: فلا ريب أنَّ الجاهل بمعنى (لا إله إلا الله) لا علم له بمضمونها، ولا يصح أنْ يقالَ: شهد بها.

وفي «فتح الباري» عن الحليمي[١]:«لو قال الوثني: لا إله إلا الله وكان يزعم أنَّ الصنم يقربه إلى الله لم يكن مؤمنًا حتى يتبرأ من عبادة الصنم»[٢].

ومنها: التسليم، ويعبر عنه بالرضا، واكتفى جماعة عنه بالتصديق، زاعمين أنَّه يتضمنه. قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

ومنها: أن يكون النُّطق بها على وجه الالتزام، أعني: التزام أن يعمل طول عمره بمقتضاها، وألا يخالفه. وأدلَّته أكثر من أن تحصى. قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤][٣].

١- أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي، القاضي العلامة، أحد أصحاب الوجوه في المذهب الشافعي، وكان متفننًا، وله مصنفات نفيسة، توفي سنة ثلاث وأربعمائة. (السير) (٢٣١/١٧).

٢- فتح الباري (٢٨٠/١٣) طبعة الخيرية [المؤلف]. وهو في كتاب المنهاج في (شعب الإيمان) للحليمي (١٣٦/١).

٣- آثار الشيخ العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلمي (رسالة العبادة) الموسومة بـ«رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله وتحقيق معنى التوحيد والشرك بالله» (٣/٢-٨) وانظر: ما بعد ذلك.

الطريق إلى معرفة لا إله إلا الله.

يظن البعض أنَّ لا إله إلا الله كلمة كأي كلمة تقال وتلفظ، ولهذا حتى يجد العبد المسلم وقع هذا الكلمة في قلبه وعقله، وفي حياته، ويجد بركتها في قبره وآخرته، فلا بدَّ أن يجتهد في معرفة حقيقية هذا الكلمة، وما يتعلق بها، وما جاء في فضلها، ومضمونها، ثمَّ يجعلها في حياته وأنفاسه، فتكون تصرفاته وتحركاته على موجب تحقيق هذه الكلمة.

وإنَّ المتدبرَ لكلامِ الله يجد أنَّه خاطب نبيه المكرم آمرًا له بأن يعلم حقيقة هذا الكلمة؛ لأنَّ العلمَ بها سبيلٌ لفهمها، وعونٌ في الصبرِ لتحقيقها، ونصرتها، والدعوة إليها، والموالاة والمعادة عليها وبها.

فقال الله سبحانه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد: ١٩].

قال الشيخ ابن سعدي مفسرًا للآية الكريمة: «العلم لا بدَّ فيه من إقرارِ القلب، ومعرفته بمعنى ما طلب منه علمه، ولا يتم ذلك إلا بالعمل بمقتضى ذلك العلم في كل مقام بحسبه؛ وهذا العلم الذي أمر الله به فرض عين على كل إنسان، لا يسقط عن أحد كائنا من كان.

والضرورة إلى هذا العلم والعمل بمقتضاه -من تمام التأله لله- فوق كل ضرورة، والعلم بالشيء يتوقف على معرفة الطريق المفضي إلى معرفته وسلوكها.

والطريق إلى العلم بأنه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [البقرة: ١٦٣] على وجه الإجمال

والعموم أمور:

أحدها: -وهو أعظمها وأوضحها وأقواها- تدبر أسماء الله وصفاته وأفعاله الدالة على كماله وعظمته وجلاله؛ فإن معرفتها توجب العلم بأنه لا يستحق الألوهية سواه، وتوجب بذل الجهدِ في التألهِ والتعبد لله الكامل، الذي له كل حمد ومجد وجلال وجمال.

الثاني: العلم بأنَّه الربُّ المنفرد بالخلقِ والرزقِ والتدبير، فبذلك يعلم أنَّه المنفرد بالألوهية.

الثالث: العلم بأنَّه المنفرد بالنَّعم الظاهرة والباطنة الدينية والدنيويَّة، فإنَّ ذلك يوجب تعلق القلب به محبَّة وإنابة، والتأله له وحده لا شريك له.

الرابع: ما يراه العباد ويسمعونه من الثوابِ لأوليائه القائمين بتوحيده من النصر لرسله وأتباعهم، ومن النِّعم العاجلة المشاهدة، ومن عقوبته لأعدائه المشركين به، فإنَّ هذا برهانٌ على أنَّه وحده المستحق للألوهية.

الخامس: معرفة أوصاف الأوثان والأنداد التي عبدت مع الله، واتخذت آلهة، وأنَّها فقيرة إلى الله من كل وجه، ناقصة من كل وجه، لا تملك لنفسها، ولا لمن عبدها نفعًا ولا ضرًا، ولا موتًا ولا حياةً ولا نشورًا؛ فالعلمُ بذلك يعلم به بطلان إلهيتها، وأنَّ ما يدعون من دون الله هو الباطل، وأنَّ الله هو الإله الحق المبين.

السادس: اتفاق كتب الله على ذلك، وتواطؤها عليه.

السابع: اتفاق الأنبياء والرسل والعلماء الربانيين على ذلك، وشهادتهم به، وهم

خواص الخلق، وأكملهم أخلاقًا وعقولًا وعلمًا ويقينًا.

الثامن: ما أقامه الله من الأدلة والآيات الأفقية والنفسيَّة، التي تدل على التوحيد أعظم دلالة وأوضحها، وتنادي عليه بلسان المقالِ ولسان الحال، بما أودعها من لطائف صنعتهِ وبديع حكمتهِ وغرائب خلقه.

التاسع: ما أودعه الله في شرعه من الآيات المحكمة، والأحكام الحسنة، والحقوق العادلة، والخير الكثير، وجلب المنافع كلِّها ودفع المضار، ومن الإحسان المتنوع، وذلك يدل أكبر دلالة أنَّه الله الذي لا يستحق العبادة سواه، وأن شريعته التي نزلت على ألسنة رسله شاهدة بذلك.

فهذه الطرق التي لا تحصى أنواعها وأفرادها قد أبدأها الله في كتابه وأعادها، ونبَّه بها العباد على هذا المطلوب الذي هو أعظم المطالب وأجل الغايات، فمن سلك طريقًا من هذه الطرق أفضت به إلى العلم واليقين بأنَّه لا إله إلا هو، وكلَّما ازدادَ العبدُ سلوكًا لهذه الطرق، ورغبة فيها ومعرفًة ازدادَ يقينه ورسخَ إيمانُه، وكان الإيمانُ في قلبهِ أرسخَ من الجبالِ، وأحلى من كل لذيذ، وأنفس من كل نفيس»[١].

وفي «الصحيحين»: «ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله صدقًا من قلبه إلا حرمه الله على النار»[٢].

قال الملا علي قاري في «المرقاة»: «من قال الكلمة-يعني كلمة التوحيد- وأدى

١- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن (١/٢٢-٢٣).
٢- صحيح البخاري (١٢٨)، وصحيح مسلم (٣٢).

حقها وفرائضها، فيكون الامتثال والانتهاء مندرجين تحت الشهادتين، وهذا قول الحسن البصري.

وقيل: إنَّ ذلك لمن قالها عند الندم والتوبة ومات على ذلك قبل أن يتمكن من الإتيان بفرض آخر، وهذا قول البخاري»[١].

١- مرقاة المفاتيح (٩٩/١).

لا إله إلا الله منهج حياة.

إنَّ كلمة لا إله إلا الله منهج حياة متكامل، تشمل حياة الإنسان منذ ولادته إلى مماته، فهو عندما يولد يقرع آذانه كلام التوحيد[١]، ثمَّ بعد ذلك يسمَّى ويفضل في ذلك أن يسمى بالأسماء التي جاء النص في فضلها، وحث الشرع على التسمي بها، وهي أسماء العبودية لله، وبالخصوص ما جاء الدليل عليه منصوصًا كـ «عبد الله» و «عبد الرحمن»[٢]، ومن الحكمة في ذلك -والله أعلم- أن يزرع في الطفل حب الله، وأنَّه يعلم بأنَّه عبد لله وحده لا شريك له. ثمَّ تكون هذه الكلمة من أوائل ما ينطق بها من الكلام.

عن أبي عبد الرحمن السلمي، قال: «كنَّا نتعلم التشهد كما نتعلم السورة من القرآن»[٣].

وعن إبراهيم التيمي قال: «كانوا يستحبون أن يلقنوا الصلاة، ويعرب أول ما يتكلم يقول: لا إله إلا الله سبع مرات، فيكون ذلك أول شيء يتكلم به».

١- ورد في ذلك حديث لا يخلو من مقال لأهل العلم حوله.

٢- في «صحيح مسلم» (٢١٣٢) عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أحب أسمائكم إلى الله عبد الله وعبد الرحمن».

وفي «مسند أحمد» (١٧٦٠٦) عن خيثمة بن عبد الرحمن بن أبي سبرة، أن أباه عبد الرحمن ذهب مع جده إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: ما اسم ابنك؟ قال: عزيز. فقال النبي ﷺ: لا تسمه عزيزًا، ولكن سمه عبد الرحمن، ثمَّ قال: «إنَّ خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن والحارث».

قال ابن حزم كما في «مراتب الإجماع» (ص١٥٤): «اتفقوا على استحسان الأسماء المضافة إلى الله عز وجل كعبد الرحمن وما أشبه ذلك».

وقال الحافظ ابن الصلاح في «معرفة أنواع علوم الحديث» (معرفة الصحابة رضي الله عنهم أجمعين) (ص٢٩٦): «العبادلة المسمين بعبد الله من الصحابة، وهم نحو مائتين وعشرين نفسًا».

٣- المصنف لابن أبي شيبة (٣٠٠٠).

ثمَّ إنْ صار مميزًا يُعلَّم أركان الإسلام التي هي ترجمة حقيقة لمعاني هذه الكلمة، وأجزاء منها لا تتم هذه الكلمة إلا بها.

ثمَّ تخالط هذه الكلمة سمعه في كل يوم مراتٍ في الأذان، وفي كلِّ أسبوع في يوم الجمعة، وفي كلِّ مناسبةٍ وعيد.

ويتحصن بها، ويحترز بالله من كل عدوٍّ يريدُ أن يظفر به، في صباحه ومساءه، وعند نومه واستيقاظه، وعند حركته وسكونه.

ثمَّ تكون آخر كلمة ينطق بها المسلم في حياته، فيكون بذلك من أهل النَّجاة والسعادة بعون الله.

قال عمر رضي الله عنه: «احضروا موتاكم، وذكروهم لا إله إلا الله، فإنَّهم يرون ويقال لهم»[١].

ولا إله إلا الله قولٌ وفعل، واعتقاد وعمل، وسياسة ورعاية، ودين قائم، ومنهج حياة دائم، تتعاقبه الأجيال المسلمة جيلًا بعد جيل.

ولا إله إلا الله، ليست كلمة ننطقها، ثمَّ ننقضها تبعًا لما تشتهيه أنفسنا فنحبُّ من أبغض الله – تبعًا للهوى الذي هو حظ الشيطان من الإنسان، ومخالفة للهدى الذي أمر الله به عبده– أو نبغض من أحب الله، ونوالي من عادى الله، ونعادي من والى الله، وهكذا من المخالفات الصريحة، والنواقض البينة الفاضحة لكذب كلِّ مدعٍ مفتري.

ولا إله إلا الله، منهجٌ في الحياةِ نعيشها عليها نستلهم معانيها بفهم، ونقرأ ما

١- المصنف لابن أبي شيبة (١٠٨٥٨).

فيها بعلم، ونتبع ما تتضمنه بعمل، وهي الغايةُ التي نموت لأجلِها، والسعادة التي نطلبها في حياتنا ودنيانا.

ولا إله إلا الله تعني أن تسير جميع أمور الحياة في فلكها، فلا يكون شيء صادر من الإنسان أو الأسرة أو المجتمع إلا وهو يوافق ما جاءت به هذه الكلمة إثباتًا ونفيًا، وأمرًا ونهيًا.

ولا إله إلا الله تعني أنَّ الحياة كلها لله؛ لأنَّ الله هو الخالق والمحيي والمميت، وهو القاهر والجبار والمنتقم.

ولا إله إلا الله أن تكون الدولة المسلمة في جميع جوانبها تعمل بمقتضاها في حروبها، وسياستها الداخلية والخارجية، وفي اقتصادها، وفي رعاية أبنائها ومن يكون فيها من غير المسلمين من الذميين والمستأمنين. فكما قيل: «إنَّ كلمة لا إله إلا الله كلُّها سياسةٌ من لامهَا إلا هائِها» أي أنَّ سياسة الرعية السياسة المطلوبة هي التي تكون ضمن قواعد الشريعة، وضمن أصول الدين، والله أعلم.

من آثار كلمة التوحيد.

إنَّ لهذه الكلمة من الآثار العظيمة، والمناقب الجليلة التي يجدها العبد إذا تمعن بها، وعاش لتحقيق مضامين هذه الكلمة في حياته، ومن تلك الآثار:

أولاً: النُّصرة والاستخلاف في الأرض، فإنَّ النصر له أسباب كونية وشرعية، فإذا اجتمعت سوية كان النصر بإذن الله من حظ من جمعها، وهذا مشاهد في معارك المسلمين مع أهل الكفر، فإنَّهم ما قتلوهم بكثرة عدد، ولا بقوة الرجال، ولا بنوع السلاح؛ بل بما في قلوبهم من تعظيم خالقهم، واتباع نبيهم ﷺ، وبذل ما يملكون في نصرة دينهم، كما قال ربعي بن عامر رضي الله عنه عندما أرسله سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لرستم قائد الفرس، فقال له رستم: لماذا جئتم؟ فقال: «إنَّ الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام»[١].

ثانيًا: قبول العمل. فأي عمل حتى يقبل لا بدَّ أن يكون لله تعالى أولًا، ثمَّ باتباع خالص لسنة النبي المصطفى ﷺ، ولذا لما سأل النبي ﷺ عن أي أنواع القتال أفضل، فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»[٢].

١- البداية والنهاية (٣٩/٧).

٢- لما رواه البخاري في «صحيحه» (١٢٣)، ومسلم (١٤٩) واللفظ للبخاري، عن أبي موسى، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، ما القتال في سبيل الله؟ فإنَّ أحدنا يقاتل غضبًا، ويقاتل حمية، فرفع إليه رأسه، قال: وما رفع إليه رأسه إلا أنَّه كان قائمًا، فقال: «من قاتلَ لتكونَ كلمةُ الله هي العليا، فهو في سبيلﷻ الله عز وجلَّ».

وقوله: (غضبًا) انتقامًا حالة الغضب. وقوله: (حمية) محاماة عن العشيرة. وقوله: (كلمة الله) كلمة

وقال الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [سورة الملك:٢-١]

قال الفضيل بن عياض رحمه الله: «أحسن عملًا أخلصه وأصوبه».

وقال: «العمل لا يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا، فالخالص إذا كان لله، والصواب إذا كان على السنة»[١].

قال الإمام ابن قيم الجوزية: «إذا عرف هذا فلا يكون العبد متحققًا بـ (إيَّاك نعبد): إلا بأصلين عظيمين:

أحدهما: متابعة الرسول.

والثاني: الإخلاص للمعبود فهذا تحقيق إياك نعبد»[٢].

ثالثًا: حقن الدماء وحل الأمن في البلاد. ففي الحديث عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من أصل الإيمان: الكف عمن قال: لا إله إلا الله، ولا نكفره بذنب، ولا نخرجه من الإسلام بعمل، والجهاد ماض منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، والإيمان بالأقدار»[٣].

التوحيد ودعوة الإسلام. وقوله: (العليا) العالية فوق كل ملة ومذهب.

١- معالم التنزيل للبغوي (١٢٥/٥).

٢- مدارج السالكين (٦٣/١) في ذكر التحقيق بـ (إياك نعبد).

٣- رواه أبو داود في «سننه» (٢٥٣٢)، وإسناده ضعيف، ورواه أبو يعلى في «مسنده» (٤٣١١) و (٤٣١٢)، والبيهقي في «السنن» (١٥٦/٩)، والضياء المقدسي في «المختارة» (٢٧٤١) و (٢٧٤٢).

رابعًا: من أسباب راحة البال، وتفريج الهموم. لما رواه الدارمي في «سننه»، عن الأوزاعي قال: قال إبليس لأوليائه: من أي شيءٍ تأتون بني آدم؟ فقالوا: من كلِّ شيءٍ.

قال: فهل تأتونهم من قبل الاستغفار؟

فقالوا: هيهات، ذاك شيء قرن بالتوحيد.

قال: «لأبثنَّ فيهم شيئًا لا يستغفرون الله منه». قال: «فبثَّ فيهم الأهواء»[١].

خامسًا: من أسباب العزة والرفعة. فعن تميم الداري ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليبلغنَّ هذا الأمر ما بلغ الليل والنَّهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين، بعز عزيزٍ أو بذلِ ذليلٍ، عزًا يعز الله به الإسلام، وذلًا يذلُ الله به الكفر».

وكان تميم الداري ﷺ، يقول: «قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافرًا الذل والصغار والجزية»[٢].

وعن طارق المحاربي قال: رأيت رسول الله ﷺ مر في سوق ذي المجاز، وعليه حلة حمراء، وهو يقول: «يا أيها الناس! قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا»[٣].

١- سنن الدارمي (٣١٦) (٣٤٤/١) وإسناده صحيح، وانظر كتاب المرآة لإظهار الضلالات، للشيخ العلامة، عثمان بن مكي الزبيدي (ت١٣٥٠هـ) (ص٥٣).

٢- رواه أحمد في «مسنده» (١٦٩٥٧)، والحاكم في «المستدرك» (٨٣٢٦).

٣- رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (١٥٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٥٦٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤٢١٩). وأحمد في «مسنده» (حديث ربيعة بن عباد الديلي) (١٦٠٢٣) وفي (حديث شيخ من بني مالك بن كنانة) (١٦٦٠٣)، والأخير عند مسدد كما في «إتحاف الخيرة» (٥٠٥/٤).

وعن ابن عباس ﷺ قال: صعد النبي ﷺ الصفا ذات يومٍ فقال: «يا صباحاه». فاجتمعت إليه قريش، قالوا: ما لك؟ قال: أرأيتم لو أخبرتكم أنَّ العدو يصبحكم أو يمسيكم أما كنتم تصدقونني. قالوا: بلى، قال: «فإنِّي نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد» فقال أبو لهب: تبًا لك ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[١].

وعن مسروقٍ، عن عائشة ﷺ قلت: يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: «لا ينفعه إنَّه لم يقل يومًا رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين»[٢].

وقال: «ثمَّ يجيء الإسلام، فيقول: يا رب، أنت السلام، وأنا الإسلام، فيقول الله: إنك على خير، بك اليوم آخذ، وبك أعطي، قال الله عز وجل في كتابه: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥] »[٣].

١- صحيح البخاري (٤٥٢٣) قوله: (يا صباحاه) كلمة تقال للإشعار بإغارة العدو لأن الغالب في الإغارة أن تكون وقت الصباح كما يقولها من أصابه شيء مكروه للاستغاثة.

٢- رواه مسلم في «صحيحه» (٣٦٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٣١).

٣- رواه أحمد في «المسند» (٨٧٤٢)، وأبو يعلى في «المسند» (٦٢٣١) إلى قوله: وبك أعطي، وجعل بقية الحديث من كلام الحسن البصري ﷺ

القسم الثاني

وبعد هذه الفوائد المهمة، نشرع بإذن اللَّه بالحديث عن بعض فضائل كلمة التوحيد، وأسمائها واللَّه المعين:

أنَّها حق الله على العبيد، والفرض الأعظم على جميعهم، وليس شيء من الأشياء له من الآثار الحسنة، والفضائل المتنوعة مثل التوحيد، فإنَّ خير الدنيا والآخرة من ثمرات هذا التوحيد وفضائله[١].

قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨].

وقال الله: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «هذا أول واجب على المكلفين أن يعلموا أنَّه لا إله إلا الله وحده لا شريك له»[٢].

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لأعطينَّ الراية غداً رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله عليه، فتطاول الناس فقال: أين علي بن أبي طالب؟ قالوا: يا رسول الله، يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه فأتوا به، فبصق في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي بن أبي طالب: يا رسول الله، أفأقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال:

١- انظر: القول السديد في شرح كتاب التوحيد (ص٢٣).
٢- تفسير ابن كثير (٥/٢٧٧).

«انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، فادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله عز وجل، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خير لك من أن يكون لك حمر النَّعم».

وعن أبي هريرة ﷺ قال: كنت أمشي مع رسول الله ﷺ في نخل لبعض أهل المدينة، فقال: يا أبا هريرة هل تدري ما حق النَّاسِ على الله، وما حق الله على الناس؟

قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنَّ حقَ الله على النَّاس أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، فإذا فعلوا ذلك فحق عليه أن لا يعذبهم»[١].

وفي «الصحيحين» عن معاذ بن جبل ﷺ، قال: «كنت ردف النبي ﷺ ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل.

وفي رواية: على حمار يقال له: عفير، ولم يذكر: ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرحل- فقال: يا معاذ بن جبل! قلت: لبيك رسول الله وسعديك! ثمَّ سار ساعة، ثمَّ قال: يا معاذ بن جبل! قلت: لبيك رسول الله وسعديك! ثمَّ سار ساعة، ثمَّ قال: يا معاذ بن جبل! قلت: لبيك رسول الله وسعديك! قال: هل تدري ما حق الله على العباد؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإن حق الله على العباد: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، ثمَّ سار ساعة، ثمَّ قال: يا معاذ بن جبل! قلت: لبيك رسول الله وسعديك، قال: هل تدري ما حق العباد على

١- رواه أحمد في «المسند» (٨٠٨٥)، وعبد الرزاق في «مصنف» (٢٠٥٤٧)، وأخرجه البزار (٣٠٨٩- كشف الأستار)، والحاكم في «المستدرك» (٥١٧/١).

الله إذا فعلوا ذلك؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: ألا يعذبهم»[١].

وعن أنس بن مالك ﷺ، أنَّ رسول ﷺ، قال في هذه الآية: ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [المدثر: ٥٦].

قال رسول الله ﷺ: قال ربكم عز وجل: «أنا أهل أن أتقى فلا يشرك بي غيري، وأنا أهل لمن اتقى أن يشرك بي أن أغفر له»[٢].

فإذا علمت أنَّها من أحق الحقوق، وأعظم الواجبات، تبين لك الأمر يقيناً واتضحت لك الحقيقة جليةً بإن الشرك به واعتقاد النفع والضر بغيره وصرف العبادة إلى ما سواه، من نواقضها، وهو من أعظم الذنوب، وأكبر الكبائر، ومن الموبقات كما جاء ذلك مصرحاً به في «الصحيحين» وغيرهما، من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ، قال: قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟

قال: «أن تجعل لله ندًا، وهو خلقك».

قلت: ثمَّ أي؟

قال: «أن تقتل ولدكَ مخافةً أن يأكل من طعامك».

قال: ثمَّ أي؟

قال: «أن تزاني بحليلة جارك».

قال: فأنزل الله عز وجل تصديق قول رسول الله ﷺ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ

١- صحيح البخاري (٥٩١٢)، ومسلم (٤٨) واللفظ له.

٢- رواه ابن ماجه في «سننه» (٤٢٩٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٩٦٩)، والطبراني في «الأوسط» (٨٥١٥)، وعبد الغني المقدسي في كتابه «التوحيد» (٦٩)، (ص٨٥)، وإسناده ضعيف لضعف سهيل بن عبد الله القطعي.

اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨][١].

وعن ابن مسعود ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من مات وهو يدعو من دون الله ندًا دخل النار»[٢].

وفي «مسند أحمد» عن عائشة ﷺ، قالت: قال رسول الله ﷺ: «الدواوين عند الله عز وجل ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئاً، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله، فأمَّا الديوان الذي لا يغفره الله: فالشرك بالله قال الله عز وجل: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ، فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢] وأمَّا الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئًا: فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه، أو صلاة تركها، فإنَّ الله عز وجل يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء، وأمَّا الديوان الذي لا يترك الله منه شيئًا: فظلم العباد بعضهم بعضًا، القصاص لا محالة»[٣].

وهي أساس دعوة الأنبياء. وأول الواجبات، ومفتاح دعوة المرسلين كلهم، وهي أول ما دعا إليه فاتحهم نوح، فقال: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩] وهو أول ما دعا إليه خاتمهم محمد ﷺ[٤].

وقال الله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ

١- صحيح البخاري (٦٤٢٦)، ومسلم (١٤١) واللفظ للبخاري.

٢- رواه البخاري في «صحيحه» (٤٢٢٧).

٣- المسند (٢٦٠٣١)، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٥٧٥/٤)، وأبو نعيم في «أخبار أصفهان» (٢/٢) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٤٧٣) و (٧٤٧٤) من طرق، عن صدقة بن موسى، بنحوه مختصرًا.

٤- إغاثة اللهفان (١٥٤/١) بتصرف.

﴿أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل:٢].

قال الزجاج: «والمعنى: أنذروا أهل الكفر والمعاصي أنه لا إله إلا أنا أي: مروهم بتوحيدي»[١].

وقال الله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

قال العلامة ابن سعدي: «فكل الرسل الذين من قبلك مع كتبهم، زبدة رسالتهم وأصلها، الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وبيان أنَّه الإله الحق المعبود، وأنَّ عبادة ما سواه باطلة»[٢].

وفي «المنتخب من مسند عبد بن حميد» عن جابر بن عبد الله قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بشيء أمر به نوح ابنه، إنَّ نوحًا قال لابنه، آمرك بأمرين، وأنهاك عن أمرين، آمرك يا بني أن تقول: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له. فإنَّ السماء والأرض لو جعلتا في كفة وزنتهما، ولو جعلتا في حلقة فصمتها، وآمرك أن تقول: سبحان الله وبحمده؛ فإنَّها صلاة الخلق وتسبيح الخلق، وبها يرزق الخلق.

وأنهاك يا بني أن تشرك بالله؛ فإنَّه من أشرك بالله [فقد] حرم الله عليه الجنة، وأنهاك يا بني عن الكبر؛ فإنَّ أحدًا لا يدخل الجنَّة وفي قلبه مثقال حبةٍ خردلٍ من كبر.

١- زاد المسير لابن الجوزي (٢/٥٥٠).

٢- تفسير السعدي (ص٥٢١) ط: الرسالة.

فقال معاذ: يا رسول الله، الكبر أن يكون لأحدنا الدابة يركبها، أو النعلان يلبسهما، أو الثياب يلبسها، أو الطعام يجمع عليه أصحابه؟

قال: لا؛ ولكن الكبر أن تسفه الحق وتغمص المؤمن، وسأنبئك بخلالٍ من كنَّ فيه فليس بمتكبر: اعتقال الشاة، وركوب الحمار، ومجالسة فقراء المؤمنين، وليأكل أحدكم مع عياله، ولبس الصوف»[(١)].

وعن عبد الله بن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له»[(٢)].

قال الحافظ ابن رجب في «الحكم الجديرة بالإذاعة»: «هذا هو المقصود الأعظم من بعثته ﷺ؛ بل من بعثة الرسل من قبله كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾» [الأنبياء: ٢٥].

وفي «صحيح البخاري» عن عطاء بن يسار، قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة؟ قال: «أجل، واللهِ إنَّه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق،

١- (١١٤٩) سنده ضعيف فيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف، وكذلك زيد بن أسلم، لم يسمع من جابر قاله ابن معين. ولبعض ألفاظ الحديث شواهد.

٢- المسند (٥١١٥) و(٥٦٦٧)، و«فوائد تمام» (٧٧٠)، وفي إسنادهم ضعف.

ورواه البيهقي في «الشعب» (١١٩٩)، والذهبي في «السير» (٥٠٩/١٥)، وابن حجر في «تغليق التعليق» (٤٤٥/٣) من طريق أبي النضر هاشم بن القاسم، بهذا الإسناد. قال الذهبي: «إسناده صالح».

ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينًا عميًا، وآذانًا صُمًا، وقلوبًا غلفًا»[١].

وعن أبي جمرة، قال: كنت أقعد مع ابن عباس يجلسني على سريره فقال: أقم عندي حتى أجعل لك سهما من مالي فأقمت معه شهرين، ثمَّ قال: إنَّ وفد عبد القيس لما أتوا النبي ﷺ قال: «من القوم؟ أو من الوفد؟»

قالوا: ربيعة.

قال: «مرحبًا بالقوم، أو بالوفد، غير خزايا ولا ندامى».

فقالوا: يا رسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، فمرنا بأمر فصل، نخبر به من وراءنا، وندخل به الجنة، وسألوه عن الأشربة: فأمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع، أمرهم: بالإيمان بالله وحده، قال: «أتدرون ما الإيمان بالله وحده» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس».

ونهاهم عن أربع: «عن الحنتم والدباء والنقير والمزفت»، وربَّما قال: المقير وقال: «احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم»[٢]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ

١- (٢١٢٥)، وهو في الأدب المفرد (٢٤٦).

٢- أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٣) و(٨٧) و(٥٠٠) و(١٣٣٤) و(٢٩٢٨) و(٣٣١٩) و(٤١١٩) و(٤١١١) و(٥٨٢٢) و(٦٨٣٨) و(٧١١٧)، ومسلم في «صحيحه» (١٧).

وقوله: (غير خزايا ولا ندامى) غير أذلاء بمجيئكم ولا نادمين على قدومكم.

وقوله: (فصل) واضح بحيث ينفصل به المراد عن غيره. وقوله: (تعطوا من المغنم الخمس) تدفعوا خمس

رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[١]

بل هذا هو المقصود من خلق الخلق وإيجادهم كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٢] فما خلقهم إلا ليأمرهم بعبادته».

وعن غوث بن جابر قال: سمعت عقيلًا، يذكر قال: سمعت وهب بن منبه سئل: «ما كان شريعة أيوب عليه السلام؟» قال: «التوحيد، وصلاح ذات البين، وإذا أراد أحدهم حاجة إلى الله عز وجل خرَّ ساجدًا، ثمَّ طلب حاجته»[٣].

وعن عبد الله بن يزيد، حدثنا موسى-يعني ابن علي- قال: سمعت أبي يقول: بلغني أنَّ نوحًا عليه السلام قال لابنه سام: «يا بني: لا تدخلنَّ القبر وفي قلبك مثقال ذرةٍ من الشرك بالله؛ فإنَّه من يأتِ الله مشركًا فلا حجة له، ويا بنيَّ: لا تدخلنَّ القبر وفي قلبك مثقال ذرة من الكبر؛ فإنَّ الكبرياء رداء الله عز وجل، فمن ينازع الله رداءه يغضب عليه، ويا بنيَّ: لا تدخلنَّ القبر وفي قلبك مثقال ذرة من القنط؛ فإنَّه لا يقنط من رحمة الله إلا ضال»[٤].

ما تغنمون في الجهاد للإمام ليصرفه في مصارفه الشرعية.

وقوله: (الحنتم) جرار كانت تعمل من طين وشعر ودم. وقوله: (الدباء) اليقطين إذا يبس اتخذ وعاء. وقوله: (النقير) أصل النخلة ينقر ويجوف فيتخذ منه وعاء.

قوله: (المزفت) ما طلي بالزفت. قوله: (المقير) ما طلي بالقار وهو نبت يحرق إذا يبس وتطلى به الأوعية والسفن. والمراد بالنهي عن هذه الأوعية النهي عن الانتباذ فيها لأنها يسرع فيها الإسكار فربما شرب ما انتبذ فيها دون أن ينتبه إليه فيقع في الحرام ثم ثبتت الرخصة في الانتباذ في كل وعاء مع النهي عن شرب كل مسكر. ومعنى الانتباذ أن يوضع الزبيب أو التمر في الماء ويشرب نقيعه قبل أن يختمر ويصبح مسكرا. (من وراءكم) الذين بقوا في ديارهم من قومكم].

١- [النحل: ٣٦]

٢- [الذاريات: ٥٦].

٣- الزهد لأحمد (٢٢٧).

٤- الزهد لأحمد (٢٨٣).

وهي دعوة الإسلام. عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، أنَّ عبد الله بن عباس أخبره، بأن أبا سفيان بن حرب أخبره، أنَّ هِرقل دعا بكتاب النبي ﷺ فإذا فيه: «من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أمَّا بعد: فإنِّي أدعوكم بدعاية الإسلام، فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنَّ عليك إثم اليريسين.

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1]. (ودعاية الإسلام) هي كلمة التوحيد، بالإقرار بها، والانقياد لها.

وهي الكلمة التي خصَّ الله بها هذه الأمة. قال ابن اسحاق: حدثني بعض أهل العلم أنَّ عيسى بن مريم عليه السلام، قال: إنَّ أحب الأمم إلى الله عز وجل لأمة أحمد!

قيل له: وما فضلهم الذي تذكر؟

قال: «لم تذلل لا إله إلا الله على ألسنِ أمةٍ من الأمم تذليلها على ألسنتهم»[2].

وهي كلمة الأمان. عن قرة، سمعت يزيد بن عبد الله، قال: كنَّا بالمربد، فجاء رجل أشعث الرأس بيده قطعة أديم أحمر، فقلنا: كأنَّك من أهل البادية، قال: أجل، قلنا: ناولنا هذه القطعة الأديم التي في يدك، فناولناها، فقرأنا ما فيها فإذا

١- رواه البخاري (٥٩٠٥)، ومسلم (١٧٧٣) (اليريسين) قيل: أنهَّم الأكارون أي الفلاحون والزراعون، ومعناه: إنَّ عليك إثمُ رعاياك الذين يتبعونك، وينقادون بانقيادك.

٢- لطائف المعارف (ص١٩٩-٢٠٠)، وهو بنحوه في «حلية الأولياء» (١٩٥/٥).

فيها: «من محمد رسول الله إلى بني زهير بن أقيش، إنَّكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدا رسول الله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأديتم الخمس من المغنم، وسهم النبي ﷺ، وسهم الصفي أنتم آمنون بأمان الله ورسوله. فقلنا: من كتب لك هذا الكتاب؟ قال: رسول الله ﷺ»[١].

وهي بشرى لكل مؤمن. عن أبي بكر بن أبي موسى، عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ ومعي نفر من قومي، فقال: «أبشروا وبشروا من وراءكم، أنَّه من شهد أنْ لا إله إلا الله صادقًا بها دخل الجنة»[٢].

وهي شعار المؤمنين. عن أبي قبيل عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ قال: «شعار أمتي إذا حملوا على الصراط: لا إله إلا أنت»[٣].

وفي الحديث: «ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم، ولا في النشور»[٤].

١- رواه أبو داود في «سننه» (٢٩٩٩)، إسناده صحيح، وقد جاء في بعض الروايات مصرحا باسم الصحابي بأنَّه النمر ابن تولب العكلي كما جاء عند ابن قانع في «معجم الصحابة» (٣/ ١٦٥)، والطبراني في «الأوسط» (٢٩٤٠)، والخطيب في «الأسماء المبهمة» (ص٣١٥)، وأحمد في «المسند» (٢٠٧٣٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٥٥٧) كما في حواشي السنن.

٢- رواه أحمد في المسند (١٩٥٩٧)، وأبو بكر بن أبي شيبة كما في «إتحاف الخيرة» (٦٠١٥)، وقال: «إسناد صحيح».

٣- رواه الطبراني في «الأوسط» (١٦٠)، والعقيلي في «الضعفاء» (١٩٤/٤)، وقال الهيثمي في «مجمع زوائد» (١٨٤٤٢) «رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه من وثق على ضعفه، وعبدوس بن محمد لم أعرفه».

٤- رواه الطبراني في «الأوسط» (٩٤٤٥)، وقال: «لم يرو هذا الحديث عن داود بن أبي هند إلا مجاشع بن عمر تفرد به جعفر بن عاصم»، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٠٢/١) وقال: «تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم»، وقال: «وروي من وجه آخر ضعيف، عن ابن عمر قد أخرجناه في كتاب البعث والنشور».

والمنذري في «الترغيب والترهيب» (٢٦٩/٢) وقال: «من رواية يحيى بن عبد الحميد الحماني وفي متنه نكارة»، والدمياطي في «المتجر الرابح» (ص٣٣٤)، وابن حجر من طريق أبي يعلى في «المطالب

وعن عبد الله بن شقيق، قال: من الجفاء أن تسمع الأذان يقول: «لا إله إلا الله، والله أكبر، ثمَّ لا تجيبه»[١]. لأنَّها شعار المؤمنين.

قال النضر بن عربي: «بلغني أنَّ النَّاس إذا قاموا من قبورهم كان شعارهم لا إله إلا الله»[٢].

وهي ثقيلة في الميزان. روى النسائي بسندهِ عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: قال موسى: يا رب علمني شيئًا أذكرك به وأدعوك به، قال: يا موسى: لا إله إلا الله، قال موسى: يا رب: كل عبادك يقول هذا، قال: قل: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا أنت، إنما أريد شيئًا تخصني به، قال: يا موسى، لو أنَّ السموات السبع وعامرهن غيري، والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة؛ مالت بهنَّ لا إله إلا الله»[٣].

وعن أبي سلام، عن مولى رسول الله ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «بخ بخ، لخمس ما أثقلهنَّ في الميزان: لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله، والحمد لله، والولد الصالح يتوفى فيحتسبه، والداه»[٤].

العالية» (٢٨٦٥).

١- انظر: مصنف ابن أبي شيبة (٢٣٨٢).

٢- كلمة الإخلاص (٢/٢٩٥).

٣- رواه النسائي في «الكبرى» (١٠٦٠٢) وفي «عمل اليوم والليلة» (١١٤١)، وأبو يعلى الموصلي كما في «المقصد العلي في زوائد أبي يعلى الموصلي» (١٦٣٦)، و«إتحاف الخيرة» (٦١١٥)، والطبراني في «الدعاء» (١٤٨٠)، والبغوي في «شرح السنة» (١٢٧٣)، وفي سندهم دراج متكلم فيه، انظر: الميزان للذهبي (٢٦٦٧).

٤- رواه أحمد في مسنده (١٥٦٦٢) و(١٨٠٧٦)، والبزار في «مسنده» (٣٠٧٢)، وقال السخاوي في «ارتياح الأكباد» (ص١٠٧) «رجاله ثقات».

ورواه أحمد في «مسنده» (٢٢١٧٨) والطيالسي في «مسنده» (١١٣٩) من حديث أبي أمامة ﷺ،

وهي الكلمة التي تفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية. في «الصحيحين» عن عبادة عن النبي ﷺ قال: «من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق وأن النار حق، وأن الله يبعث من في القبور، فتحت له ثمانية أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء»[(١)].

قال الطيبي: «هذا حديث عظيم الواقع، وهو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد؛ فإنَّه جمع فيه ما يخرج عنه جميع ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدها»[(٢)].

وهي كلمة التي تغفر بها الذنوب. فالتوحيد هو الإكسير الأعظم، فلو وضع ذرة منها على جبال الذنوب والخطايا، لقلبها حسنات، كما في «سنن ابن ماجه» وغيره، عن أم هانئ، عن النبي ﷺ قال: «لا إله إلا الله لا تترك ذنبًا، ولا يسبقها عمل»[(٣)].

وفي «المسند» عن شداد بن أوس، وعبادة بن الصامت أنَّ النبي ﷺ ، قال

وإسناده ضعيف.

ورواه الطبراني في «الأوسط» (٥١٥٢)، من حديث سفينة، وإسناده ضعيف.

ورواه البزار في «مسنده» (٤١٨٦)، وتمام في «الفوائد» (١٥١٨)، من حديث ثوبان رضي الله عنه.

وذكره السخاوي في «ارتياح الأكباد بأرباح فقد الأولاد» (ص١٠٨)، وعزاه لـ(التيمي) في «ترغيبه»، والباغبان في «فوائده»، وابن شاهين في «مشيخته»، عن عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه.

١- صحيح البخاري (٣٢٥٢)، وصحيح مسلم (٤٦).

٢- شرح المشكاة (٢/٤٨٠).

٣- السنن (٣٧٩٧)، والمزي في ترجمة محمد بن عقبة من «تهذيب الكمال» (٢٦/ ١٢٢-١٢٣)، وإسناده ضعيف.

لأصحابه: «ارفعوا أيديكم، وقولوا: لا إله إلا الله، فرفعنا أيدينا ساعة، ثمَّ وضع رسول الله ﷺ يده، ثمَّ قال: الحمد الله، اللهم بعثتني بهذه الكلمة، وأمرتني بها، ووعدتني الجنة عليها، وإنك لا تخلف الميعاد، ثمَّ قال: «أبشروا، فإنَّ الله قد غفر لكم»[١].

وفي «صحيح البخاري» عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير»[٢].

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ لرجل: «فعلت كذا وكذا؟ قال: لا، والذي لا إله إلا هو. قال: فأتاه جبريل، فقال: بلى، قد فعله، ولكن غفر له بقوله: لا إله إلا الله»[٣].

وعن علي رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «ألا أعلمك كلمات إذا قلتهن غفر لك مع أنه مغفور لك؟ لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم، والحمد لله رب العالمين»[٤].

١- تفسير ابن رجب (١/٣٤٠).

٢- صحيح البخاري (٤٤)، وقوله: (برة) قمحة. وقوله: (ذرة) النملة الصغيرة وقيل أقل شيء يوزن وقيل غير ذلك.

٣- المنتخب من مسند عبد بن حميد (٢/٦٢)، ورجاله ثقات.

٤- رواه أحمد (٧١٢)، وعبد ابن حميد (٧٤)، والترمذي (٣٥٠٤)، وهو ضعيف.
وهو من طريق آخر رواه البزار في «مسنده» (٧٠٥)، والنسائي في «الخصائص» (٢٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٩٢٨)، والطبراني في «الصغير» (٣٥٠).

وعن مكحول، عن عمرو بن عبسة، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ شيخ كبير يدعم على عصا له، فقال: يا رسول الله، إنَّ لي غدرات وفجرات، فهل يغفر لي؟ قال: ألست تشهد أن لا إله إلا الله؟ قال: بلى، وأشهد أنَّك رسول الله، قال: «قد غفر لك غدراتك وفجراتك»[١].

وفي «المصنف لابن أبي شيبة» حدثنا وكيع، عن مسعر، عن عفان، عن عمرو بن ميمون، قال: «من قال إذا أوى إلى فراشه: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير أربع مرات غفر له ذنوبه، وإنْ كانت طفاح الأرض»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ لله تبارك وتعالى عمودًا من نور بين يدي العرش فإذا قال العبد لا إله إلا الله أهتز ذلك العمود. فيقول الله تبارك وتعالى: اسكن. فيقول: كيف أسكن ولم تغفر لقائلها؟ فيقول: إنِّي قد غفرت له فيسكن عند ذلك»[٣].

وعن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما قال عبد: لا إله إلا الله في ساعة

١- رواه أحمد في «مسنده» (١٩٤٣٢)، وابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (١٤٥)، وابن حجر في «المطالب العالية» (٢٨٩١)، والحديث منقطع، فمكحول لم يسمع من عمرو بن عبسة.

٢- المصنف (٢٩٣٠٨).

٣- رواه البزار في «مسنده» (٨٠٦٥)، وقال: «وهذا الحديث لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد، وعبد الله بن إبراهيم بن أبي عمرة ليس بالقوي في الحديث، وإنما ذكرنا هذا الحديث لحسن كلامه».

ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٦٤/٣) من طريق محمد بن يونس الكديمي، وقال عقبه: «غريب من حديث صفوان، تفرد به ابن المنكدر ورواه محمد بن أشرس عن عبد الصمد بن حسان عن سفيان الثوري، عن صفوان مثله»، وهو ضعيف جدًا، والله أعلم.

من ليل أو نهار إلا طمست ما في الصحيفة من السيئات حتى تسكن إلى مثلها من الحسنات»[١].

وهي أثقل الأعمال في الميزان. عن أبي عبد الرحمن الحبلي، قال: سمعت عبد الله بن عمرو، يقول: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله سيخلص رجلًا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًا كل سجل مثل مد البصر، ثمَّ يقول: أتنكرُ من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟

فيقول: لا يا رب.

فيقول: أفلك عذر؟

فيقول: لا يا رب.

فيقول: بلى إنَّ لك عندنا حسنة، فإنَّه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

فيقول: احضر وزنك.

فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟

فقال: إنَّك لا تظلم، قال: «فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء»[٢].

١- رواه أبو يعلى في «مسنده» (٣٦١١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٦٨٠٣): «رواه أبو يعلى، وفيه عثمان بن عبد الرحمن الزهري، وهو متروك».
فالحديث في أقلِّ أحواله ضعيف جدًا والله أعلم، وعلته عثمان الزهري؛ لذا حكم عليه الشيخ الألباني رحمه الله في «السلسلة الضعيفة» (٥١٢٤) بالوضع.

٢- رواه الترمذي في «سننه» (٢٦٣٩) «هذا حديث حسن غريب»، وابن ماجه في «سننه» (٤٣٠٠)، وهو في «مسند أحمد» (٦٩٩٤)، و «صحيح ابن حبان» (٢٢٥)، و«المنتخب لعبد

وهي الكلمة التي يسأل عنها العبد في قبره. عن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: شهدت مع رسول الله ﷺ جنازة، فقال رسول اللهﷺ: «أيُّها الناس إنَّ هذه الأمة تبتلى في قبورها، فإذا الإنسان دفن فتفرق عنه أصحابه، جاءه ملك في يده مطراق فأقعده، قال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمنًا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدا عبده ورسوله.

فيقول: صدقت ثمَّ يفتح له باب إلى النار، فيقول: هذا كان منزلك لو كفرت بربك، فأمَّا إذ آمنت فهذا منزلك، فيفتح له باب إلى الجنة، فيريد أن ينهض إليه فيقول له: اسكن ويفسح له في قبره، وإن كان كافرًا أو منافقا يقول له: ما تقول في هذا الرجل؟

فيقول: لا أدري سمعتُ النَّاسَ يقولون شيئًا، فيقول: لا دريت، ولا تليت، ولا اهتديت، ثمَّ يفتح له باب إلى الجنَّة فيقول: هذا منزلك لو آمنت بربك، فأمَّا إذ كفرت به فإنَّ الله عز وجل أبدلك به هذا، ويفتح له باب إلى النَّار، ثمَّ يقمعه قمعة بالمطراق يسمعها خلق الله كلهم غير الثقلين، فقال بعض القوم: يا رسول الله، ما أحد يقوم عليه ملك في يده مطراق إلا هيل عند ذلك، فقال رسول الله ﷺ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ [إبراهيم:٢٧][(١)].

بن حميد» (٣٣٩) وسنده ضعيف.

١- أخرجه أحمد في «مسنده» (١١٠٠٠)، وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٨٦٥)، والطبري في «التفسير» (٢١٤/١٣).

وقوله: «إنَّ هذه الأمة تبتلى في قبورها» أخرجه مطولا مسلم (٢٨٦٧) من طريق سعيد الجريري، وهو بأخصر منه عند البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠)

وثالث مختصر من حديث أسماء بنت أبي بكر عند البخاري (٨٦) و (١٨٤)، ورابع مختصر جدًا من

وهي الكلمة المنصورة. عن قتادة، في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٦]. «إنَّ المسلمين لما قالوا: لا إله إلا الله، أنكر ذلك المشركون وكبرت عليهم، فصافها إبليس وجنوده، فأبى الله إلا أن يمضيها وينصرها ويفلجها ويظهرها على من ناوأها، إنها كلمة من خاصم بها فلج، ومن قاتل بها نصر، إنما يعرفها أهل هذه الجزيرة من المسلمين، التي يقطعها الراكب في ليال قلائل ويسير الدهر في فئام من الناس[١] لا يعرفونها ولا يقرون بها»[٢].

وهي روح الحياة، وحياة الروح. قال الله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

قال السدي: «هو الإيمان، لأنَّ الكافر ميت فيحيا بالإيمان»[٣]. بل هي عصب الإيمان والرحى التي عليها يدور، والعمود الذي عليه يستند هو توحيد الله تعالى وتنزهيه تنزيهًا يليق بجلاله، فمن لمن يكن موحدًا لم يكن مؤمنًا، ومن لم يكن موحدًا فالدابة خير منه، والطير خير منه، والحشرة خير منه؛ لأنَّ هؤلاء يعظمون الله ويذكرونه، وذاك جاهل بالله، مشركًا به، غافلًا عنه.

حديث البراء بن عازب عند مسلم (٢٨٧١).

١- الفئام مهموز: الجماعة الكثيرة (النهاية) (٣/٤٠٦).

٢- رواه ابن جرير في «تفسيره» (١٤/٦٠٩) وإسناده صحيح.

٣- معالم التنزيل (٢/٢٨٢).

وهي أفضل الدعاء. عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من دعا بهؤلاء الكلمات الخمس لم يسأل الله عز وجل شيئا إلا أعطاه: لا إله إلا الله والله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله»[١].

وهي الكلمة التي ليس دونها حجاب. لما رواه الترمذي في «سننه» عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «التسبيح نصف الميزان، والحمد لله يملؤه، ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه»[٢].

وعند ابن بشران في «الأمالي» عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «ما قال عبد لا إله إلا الله مخلصًا، إلا صعدت لا يردها حجاب، فإذا وصلت إلى الله عز وجل نظر الله إلى قائلها، وحق على الله ألا ينظر إلى موحد إلا رحمه»[٣].

وهي القطب الأعظم والركن الأكبر. قال الطيبي: «ولا ارتياب أنَّ أفضل الذكر قول لا إله إلا الله، وهي الكلمة العليا، وهي القطب الذي يدور عليه رحى الإسلام، وهي القاعدة التي بنى عليها أركان الدين، وهي الشعبة التي هي أعلي شعب الإيمان بل هو الكل»[٤].

وقال في شرح حديث عن أركان الإسلام: «مثلت حالة الإسلام مع أركانه

١- رواه الطبراني في «الدعاء» (ص٥٩)، وفي «الكبير» (٨٤٩)، وحسن إسناده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٧٢٦٤).

٢- سنن الترمذي (٣٥١٨)، وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس إسناده بالقوي».

٣- الأمالي لابن بشران (٣٩٧)، وهو حديث منكر، وراجع الضعيفة (٩١٩).

٤- شرح المشكاة (١٧٣٣/٥).

الخمسة بحالة خباء أقيمت على خمسة أعمدة، وقطبها الذي تدور عليها الأركان هي: شهادة أن لا إله إلا الله، وبقية شعب الإيمان كالأوتاد للخباء...»[١].

وهي طهارة للنفس وزكاة للروحِ. قال الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ [التوبة: ٢٨]، فدلت الآية على نجاسة المشرك، والموحد بخلافه، فأفادت مع غيرها من الأدلة أنَّها مطهرة لنفس صاحبها من أمراض الكفر، وصفات النفاق فإنَّ من علاماتِ المنافق أنَّه لا يذكر الله إلا قليلًا، وهذا لمطلق الذكر، فكيف بكلمة التوحيد التي بها النجاة والعصمة، والرحمة والبركة، وهي تزكي نفس صاحبها من الأدران التي تعلق بها، فمن داوم عليها فاهمًا لها، مطبقًا لمضمونها، زالت عنه الأوصاف الردية، والأمراض القلبية[٢].

وهي أساس العلم. قال الله: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ [محمد:١٩].

قال ابن جزي: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلَّا اللَّهُ، أي: دمْ على العلمِ بذلك».

ويروى فيما أخرجه الديلمي في «الفردوس» من حديث ابن عمر ﷺ مرفوعًا: «أفضل العلم لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الاستغفار»[٣].

وقال سفيان بن عيينة: «أفضل العلم العلم بالله، والعلم بأمر الله، فإذا كان

١- المصدر نفسه (٤٣٧/٢).

٢- قال الله: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ (٦) الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ [فصلت: ٦-٧]. قال علي بنَ أبي طلحة، عن ابن عباس: يعني: «الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله». وكذا قال عكرمة. كما في «تفسير ابن كثير» وغيره (١٦٤/٧).

٣- المسند (١٤١٢)، وانظر: لزامًا «الضعيفة» (٢٨٤٢).

العبد عالماً بالله، وعالماً بأمر الله فقد بلغ، ولم تصل إلى العباد نعمة أفضل من العلم بالله، والعلم بأمر الله، ولم يصل إليهم عقوبة أشد من الجهل بالله، والجهل بأمر الله»[١].

وقال الملا قاري: «لب العلم هو التوحيد»[٢].

وقال الزركشي: «وكل علم من العلوم منتزع من القرآن، وإلا فليس له برهان»[٣].

والقاطعة لظهر إبليس. عن يوسف بن أسباط، يقول: سمعت سفيان الثوري، يقول: «ليس شيء أقطع لظهر إبليس من قول: لا إله إلا الله, ولا شيء يضاعف ثوابه من الكلام مثل الحمد لله»[٤].

وهي حرز من كل مكروه وحفظ من الشيطان. عن عبد الرحمن بن غنم، عن أبي ذر، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من قال: في دبر صلاة الفجر وهو ثان رجليه قبل أن يتكلم: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير عشر مرات، كتبت له عشر حسنات، ومحي عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وكان يومه ذلك كله في حرز من كل مكروه، وحرس من الشيطان، ولم ينبغ لذنب أن يدركه في ذلك اليوم إلا الشرك بالله»[٥].

١- حلية الأولياء (٧/٢٨١).
٢- تبعيد العلماء عن تقريب الأمراء من مجموع رسائله (٦/٤٧٥).
٣- البرهان في علوم القرآن (١/١٠٠).
٤- رواه أبو نعيم في «الحلية» (٧/١٦)، وذكره الذهبي في «السير» (٧/٢٦٠).
٥- رواه النسائي في «الكبرى» (٩٨٧٨)، والترمذي في «سننه» (٣٤٧٤)، والبزار في «مسنده» (٤٠٥٠).

وهي أحب الكلام إلى الله. ففي «صحيح مسلم» «أحب الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت».

وعن ابن عباس قال: «أَحَبُّ كلمة إِلَى الله تعالى (لا إله إلا الله) لا يقبل الله عملاً إلا بها، وهي أفضل الأعمال وأكثرها تضعيفًا، وتعدل عتق الرقاب، وتكون حرزًا من الشيطان»[١].

وعن عمر بن ذر الهمداني أنَّه كان يقول: «اللهم إنا أطعناك فِي أحب الأشياء إليك شهادة إن لا إله إلا أنت، ولم نعصك فِي أبغض الأشياء إليك الشرك، فاغفر لنا ما بينهما»[٢].

وهي الباقيات الصالحات. عن الحارث مولى عثمان يقول: جلس عثمان يومًا وجلسنا معه، فجاءه المؤذن، فدعا بماء في إناء، أظنه سيكون فيه مد، فتوضأ، ثمَّ قال: رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ وضوئي هذا، ثمَّ قال: «ومن توضأ وضوئي هذا، ثم قام فصلى صلاة الظهر، غفر له ما كان بينها وبين الصبح، ثم صلى العصر غفر له ما بينها وبين صلاة الظهر، ثمَّ صلى المغرب غفر له ما بينها وبين صلاة العصر، ثمَّ صلى العشاء غفر له ما بينها وبين صلاة المغرب، ثمَّ لعله أن يبيت يتمرغ ليلته، ثمَّ إن قام فتوضأ وصلى الصبح غفر له ما بينها وبين صلاة العشاء، وهن الحسنات يذهبن السيئات».

قالوا: هذه الحسنات، فما الباقيات[٣] يا عثمان؟

١- كلمة الإخلاص (٣/٨١)، و(٢/٣٩٣) ت: النجار، وما بين القوسين سقط من طبعة الحلواني.
٢- طبقات الحنابلة (١/٣٠٣).
٣- في بعض النسخة الخطية (الباقيات الصالحات).

قال: هنَّ: «لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[١].

وقال مجاهد: «الباقيات الصالحات: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر»[٢]. ونحوه من قوله الحسن وقتادة وعطاء.

والكلمة التي تقي صاحبها من النار. عن عتبان بن مالك ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «لن يوافي عبد يوم القيامة يقول: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله إلا حرم على النار»[٣].

وهي الكلمة التي من قالها مؤمنًا بها مؤقنًا بما فيها لا يضيع سعي وعمل ذلك العامل. قال الله: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ﴾ قَالَ ابن عباس: «أهل لا إله إلا الله، أهلِ التوحيد، والإخلاص، لا أخزيهم يوم القيامة»[٤].

وهي الكلمة التي يرجح بها الميزان. روى ابن شاهين في «الترغيب» بسنده، عن أبي بكر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الله قد وهب لكم ذنوبكم عند الاستغفار، من استغفر الله بنية صادقة، ومنْ قال: لا إله إلا الله رجح

١- رواه أحمد في «المسند» (٥١٣)، والبزار «المسند» (٤٠٥)، والطبري في «التفسير» (١٣٢/١٢) من طريق أبي عبد الرحمن المقرئ، بهذا الإسناد.

٢- تفسير عبد الرزاق (١٧٠٧) (٣٤٣/٢).

٣- رواه أحمد في «مسنده» (٢٣٧٧٠)، وأبو عوانة في «مستخرجه» (١٩)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٧٨٢/٢)، وهو في «صحيحه» (١٩٢٩).

٤- تفسير ابن المنذر (١٢٧٤).

ميزانه»[١].

وهي مفتاح الجنان. ففي «مسند أحمد»، عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «مفاتيح الجنة شهادةُ أنَّ لا إلهَ إلا الله»[٢].

وهي ثمن الجنة. رواه ابن عدي وغيره، وهو ضعيف[٣]، وقاله الحسن[٤]، وصحح ابن حجر نسبته إليه[٥].

وحلاوة الإيمان. في «مسند أحمد» عن أبي رزين العقيلي قال: قلت يا رسول الله، ما الإيمان؟

قال: «أن تشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده

١- الترغيب في فضائل الأعمال (ص١٨٨)، ورجاله ثقات إلا علي بن الحسن بن المكتب متروك الحديث، وإسماعيل بن عبيد الله التيمي وهو متروك أيضًا، وانظر: «مشيخة قاضي المارستان» (٥٨٩) (١١٩١/٣)، وعزاه له السيوطي كما في «جامعه» (٢٧٦٤٧).
ورواه بنحوه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» من رواية ابن العاص ﷺ موقوفًا عليه (٢٢٩٥)، ورواه أيضًا الطبري في «تفسيره» (٧١/١٠)، وسنده ضعيف.
وروي مرفوعًا عند الطبراني في «الكبير» (١٤٦٤٥) وهو ضعيف فيه ابن أنعم الأفريقي وقد عنعن، وهو عند الآجري في «الشريعة» (١٣٣٣/٣) من طريق إسماعيل بن عياش، عن ابن أنعم به، كما ذكره محققه.
٢- رواه أحمد في «مسنده» (٢٢١٠٢)، والبزار في «مسنده» (٢٦٦٠)، والمنذري في «الترغيب والترهيب» (٢٦٨/٢)، والدمياطي في «المتجر الرابح» (ص٣٣٣)، قال البزار عقبه: «وشهر بن حوشب لم يسمع من معاذ بن جبل»، وهذه أول علة وهي الانقطاع.
والعلة الثانية: إسماعيل بن عياش روايته عن أهل الحجاز ضعيفة، وهذا منها كما قاله الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٦/١).
قال الطيبي في «شرح المشكاة» (٤٩٦/٢): «وكذلك جعلت الشهادة المستتبعة للأعمال الصالحة التي هي كأسنان المفاتيح، كل جزء منها بمنزلة مفتاح واحد».
٣- انظر: كشف الخفاء (١٠٤٨)
٤- كما في «تاريخ بغداد» (٨٩/٢).
٥- كما في «المطالب العالية» (٢٨٩٢) بقوله: «هذا موقوف صحيح».

ورسوله، وأن يكون الله ورسوله أحب إليك ممَّا سواهما، وأن تحرق في النار أحب إليك من أن تشرك بالله، وأن تحب غير ذي نسب لا تحبه إلا لله، فإذا كنت كذلك فقد دخل حب الإيمان في قلبك كما دخل حب الماء للظمآن في اليوم القائظ»[١].

وهي طعم الإيمان. ففي سنن أبي داود عن عبد الله بن معاوية الغاضري -من غاضرة قيس- قال: قال النبي ﷺ: «ثلاثٌ من فعلهنَّ فقد طعم طعم الإيمان: من عبد الله وحده وأنَّه لا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه، رافدة عليه كل عام، ولا يعطي الهرمة، ولا الدرنة، ولا المريضة، ولا الشرط اللئيمة، ولكن من وسط أموالكم، فإنَّ الله لم يسألكم خيره، ولم يأمركم بشره»[٢].

وهي الكلمة التي لا يسبقها عمل. عن أم هانئ رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «لا إله إلا الله، لا يسبقها عمل، ولا تترك ذنبًا»[٣].

وهي كلمة كريمة عظيمة. في «مسند البزار» بسنده، عن عياض الأنصاري رفعه قال: «إنَّ لا إله إلا الله كلمة على الله كريمة، لها عند الله مكان، وهي كلمة

١- مسند أحمد (١٦١٩٤) و إسناده ضعيف لانقطاعه، سليمان بن موسى، وهو الأشدق لم يدرك أحدًا من الصحابة فيما قاله الترمذي في «العلل» (٣١٣/١).

٢- رواه أبو داود في «سننه» (١٥٨٢)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٠٦٢)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٥٥٥)، وفي «مسند الشاميين» (١٨٧٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣٠٢٦).

٣- رواه ابن ماجه في «سننه» في (فضل لا إله إلا الله) (٣٧٩٧) إسناده ضعيف لضعف زكريا بن منظور، وجهالة حال محمد بن عقبة: وهو ابن أبي مالك القرظي.
وأخرجه المزي في ترجمة محمد بن عقبة من «تهذيب الكمال» (٢٦/ ١٢٢-١٢٣) من طريق سريج بن يونس، عن زكريا بن منظور، به..

من قالها صادقًا أدخله الله بها الجنة، ومن قالها كاذبًا حقنت دمه وأحرزت ماله، ولقي الله غدًا فحاسبه»[١].

وهي الكلمة التي يحبها الله. وكان عمر بن ذر يقول: «اللهم إن كنَّا عصيناك فقد تركنا من معاصيك أبغضها إليك وهو الإشراك بك، وإن كنَّا قصرنا عن بعض طاعتك فقد تمسكنا منها بأحبها إليك وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وأن رسلك جاءت بالحق من عندك»[٢].

وهي أحسن الحسنات. عن أبي ذر ﷺ، قال: قلت: يا رسول الله، أوصني. قال: إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها.

قال: قلت: يا رسول الله، أمن الحسنات لا إله إلا الله؟ قال: «هي أفضل الحسنات»[٣].

وبها يجدد الإيمان. روى أحمد في «مسنده»، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: جددوا إيمانكم.

١- ذكره الهيثمي في كشف الأستار (١/١٠)، وفي «مجمع الزوائد» (١/٢٦) وقال: «رواه البزار، ورجاله موثقون إن كان تابعيه عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود».

٢- ربيع الأبرار للزمخشري (٢/٣٥٥).

٣- مسند أحمد (٢١٤٨٧)، وإسناده ضعيف، والشطر الأول برقم (٢١٣٥٤) من طريق ميمون بن أبي شبيب عن أبي ذر ﷺ.

وأما الشطر الثاني: فيشهد له حديث جابر بن عبد الله عند ابن ماجه في «سننه» (٣٨٠٠)، والترمذي في «سننه» (٣٣٨٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٣١) بلفظ: (أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله)، وصححه ابن حبان (٨٤٦)، وذكره البوصيري من طريق أبي بكر بن أبي شيبة كما في «إتحاف الخيرة» (٦/٤٠٩).

قيل: يا رسول الله، وكيف نجدد إيماننا؟ قال: «أكثروا من قول لا إله إلا الله»[١].

وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا من شهادة أن لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها»[٢].

قال النووي في «أذكاره»: «قال بعض العلماء: يستحب قول: (لا إله إلا الله) لمن ابتلي بالوسوسة في الوضوء، أو في الصلاة، أو شبههما، فإنَّ الشيطان إذا سمع الذكر خنس، أي: تأخر وبعد؛ و (لا إله إلا الله) رأس الذكر، ولذلك اختار السادة الأجلة من صفوة هذه الأمة، أهل تربية السالكين وتأديب المريدين، قول: (لا إله إلا الله) لأهل الخلوة، وأمروهم بالمداومة عليها، وقالوا: أنفع علاج في دفع الوسوسة الإقبال على ذكر الله تعالى، والإكثار منه»[٣].

وقال المباركفوري: «وهي الفارقة بين الكفر والإيمان، ولأنَّها أجمع للقلب مع الله،

١- رواه أحمد برقم (٨٧١٠) وإسناده ضعيف، وعبد بن حميد كما في «المنتخب» (١٤٢٢) بلفظ «قال ربكم عز وجل: لو أنَّ عبادي أطاعوني لأسقيتهم المطر بالليل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولما أسمعتهم صوت الرعد. وقال رسول الله ﷺ: جددوا إيمانكم، قالوا: يا رسول الله، وكيف نجدد إيماننا؟ قال: أكثروا من قول: لا إله إلا الله»، والبزار (٦٦٤- كشف الأستار)، وابن الأعرابي في «المعجم» (١١٣٩).

وصححه الحاكم في «المستدرك» (٧٦٥٧)، وحسن سنده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢٣٥٢)، والدمياطي في «المتجر الرابح» (١١٩٨)، والعجلوني في «كشف الخفاء» (١٠٦٨).

وأما قول الحاكم فقد رده الذهبي بقوله: «صدقة ضعفوه»، والصواب ضعفه، وانظر: الضعيفة (٨٩٦).

٢- رواه أبو يعلى في «مسنده» (٦١٤٧)، وساقه البوصيري من طريقه في «إتحاف الخيرة» (٤١٥/٦)، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢٦٨/٢) عن إسناده «جيد قوي»، وكيف يكون ذلك؟ وفي سنده (موسى بن وردان) وقد ضعفه جماعة كـ (كأبي دواد، وابن معين)، وانظر: ميزان الاعتدال (٢٢٦/٤).

٣- الأذكار (ص٢٢٣)، ط: ابن كثير، قلت: قال الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٤٣٣/٦) «وقد صنَّف الناس في الأذكار المتعلقة بآناء الليل والنهار كالنسائي والمعمري وغيرهما، ومن أحسن الكتب المؤلفة في ذلك كتاب الأذكار للشيخ محيي الدين النووي رحمه الله تعالى».

وأنفى للغير، وأشد تزكية للنفس، وتصفية للباطن، وتنقية للخاطر من خبث النفس، وأطرد للشيطان»[١].

وهي كلمة الفرج. عن عبد الله بن جعفر، عن علي بن أبي طالب ﷺ، قال: علمني رسول الله ﷺ إذا نزل بي كرب أن أقول: «لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله، وتبارك الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين»[٢].

وعن أبي صالح قال: «كان في التابوت عصا موسى وعصا هارون، وثياب موسى وثياب هارون، ولوحان من التوراة، والمن، وكلمة الفرج لا إله إلا الله الحليم الكريم وسبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم والحمد لله رب العالمين»[٣].

١- تحفة الأحوذي (٩/٢٣٠).

٢- أخرجه أحمد في «مسنده» (٧٠١)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣٥١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٢٩)، والترمذي في «سننه» (٩٦٩)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٦٥)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٣٠) و (٦٣١)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٧٤)، عن علي بن أبي طالب، أنَّه قال: لقنني رسول الله ﷺ هؤلاء الكلمات، وأمرني إن أصابني كرب أو شدة أقولهن: «لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحانه وتبارك الله رب العرش العظيم، والحمد لله رب العالمين»، وهو بنحوه عند الترمذي من غير هذا الطريق (٣٥٠٤) وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي».

وهو في «المنتخب» من مسند عبد بن حميد (٦٥٧) بسنده، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «كلمات الفرج لا إله إلا الله الحليم العظيم، لا إله إلا الله الحليم الكريم، لا إله إلا هو رب السماوات السبع ورب العرش الكريم».

٣- قال السيوطي في «الدر المنثور» (١/٧٥٨) «أخرجه وكيع وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير»، وانظر: «الفرج بعد الشدة للتنوخي».

وهي الكلمة التي تخرق الحجب كلها حتى تصل إِلَى الله ﷻ. ففي «سنن الترمذي» عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «لا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب، حتى تصل إليه»[١].

وهي من أفضل الكلام. عن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: إن الله اصطفى من الكلام أربعًا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فمن قال: سبحان الله كتب له عشرون حسنة أو حطت عنه عشرون سيئة، ومن قال: الله أكبر مثل ذلك، ومن قال: لا إله إلا الله مثل ذلك، ومن قال: الحمد لله رب العالمين من قبل نفسه كتب - أو كتبت- له ثلاثون حسنة وحط - أو حطت - عنه بها ثلاثون سيئة»[٢].

وهي الكلمة التي من قالها كان كمن أعتق عدل رقاب، وكانت حرزًا وحفظًا له من الشيطان. في «الصحيحين» عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو عَلَى كل شيء قدير في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة ومُحي عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يُمسي، ولم يأت أحدُ بأفضل مما جاء به، إلا أحد عمل أكثر من ذلك»[٣].

١- رواه الترمذي في «سننه» (٣٥١٨) وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس إسناده بالقوي».

٢- مسند أحمد «مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه» (١١٣٠٤) و(١١٣٢٧)، وفي «مسند أبي هريرة رضي الله عنه» (٨٠١٢).

٣- صحيح البخاري (٣١١٩) و(٦٠٤٠)، ومسلم (٢٦٩١).

وعن عمرو بن ميمون قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل»[١].

وعن البراء بن عازب ﷺ يحدث، عن النبي ﷺ قال: «مَن منح منيحة ورق، أو هدى زقاقًا، أو سقى لبنًا، كان له عِدل رقبةٍ أو نسمةٍ، ومن قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قدير، عشر مرارٍ، كان له عدل رقبة أو نسمة»[٢].

وهي الكلمة التي تعتق صاحبها في الدنيا والاخرة. عن معاوية بن الحكم السلمي قال: كانت لي جارية ترعى غنمًا لي قبل أحد والجوانية فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكني صككتها صكة فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي قلت يا رسول الله أفلا أعتقها؟

قال: ائتني بها فأتيته بها، فقال لها: أين الله؟ قالت: في السماء، قال من أنا؟ قالت: أنت رسول الله. قال: «أعتقها فإنَّها مؤمنة»[٣].

وأخرج أحمد وعبد بن حميد، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ يغير عند

١- صحيح مسلم (٢٦٩٢).

٢- رواه أحمد في «مسنده» (١٨٧٠٤)، والطيالسي في «مسنده» (٧٧٦)، والطبراني في «الأوسط» (٢٥٩٠).

٣- رواه مسلم في «صحيحه» (٥٣٧) قوله: (قبل أحد والجوانية) الجوانية بقرب أحد موضع في شمال المدينة. قوله: (آسف كما يأسفون) أي أغضب كما يغضبون والأسف الحزن والغضب. قوله: (صككتها صكة) أي ضربتها بيدي مبسوطة.

صلاة الفجر، فكان يستمع، فإن سمع أذانا أمسك، وإلا أغار، فاستمع ذات يوم فسمع رجلاً يقول: الله أكبر الله أكبر، فقال: الفطرة، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال: «خرجت من النار»[١].

وعن سهيل ابن البيضاء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، أوجب الله له بها الجنة، وأعتقه من النار»[٢].

وهي أفضل شعب الإيمان وأعلاها. فعن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ، قال: «الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان».

وفي رواية: «بضع وسبعون -أو بضع وستون- شعبة، فأفضلها: قول لا إله إلا الله، وأدناها: إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[٣].

١- المسند (١٣٦٥٢)، و«المنتخب من مسند عبد بن حميد» (١٢٩٨) ت: العدوي، ورواه أبو عوانة في «المستخرج» (٩٨١)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/٤٥)، وصححه ابن حبان (٤٧٥٣).

٢- المنتخب من مسند عبد بن حميد (٤٧١)، وأحمد في «مسنده» (١٥٧٣٨)، ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٨٥٤)، والطبراني في «الكبير» (٦٠٣٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣/٦٣٠) وسكت عنه الحاكم، فقال الذهبي: «سنده جيد فيه إرسال» أهـ، وذكر ابن أبي حاتم عن أبيه أنَّه مرسل؛ لأنَّ سعد بن الصلت لم يدرك سهيلًا.

٣- قال القرطبي في «المفهم» (١/٢١٦-٢١٧): «والشعبة في أصلها: واحدة الشعب، وهي أغصان الشجر، وهي بضم الشين، فأما شعب القبائل، فواحدها: شعب بفتحها، وقال الخليل: الشعب: الاجتماع والافتراق. وفي الصحاح: هو من الأضداد. فيراد بالشعبة في الحديث الخصلة، ويعني: أن الإيمان ذو خصال معدودة، وقد ذكر الترمذي هذا الحديث، وسمى الشعبة باباً، فقال: بضع وستون أو بضع وسبعون، ولا يلتفت لهذا الشك؛ فإن غيره من الثقات قد جزم بأنه بضع وسبعون، ورواية من جزم أولى.

ومقصود هذا الحديث: أنَّ الأعمال الشرعية تسمى إيمانا على ما ذكرناه آنفًا، وأنَّها منحصرة في ذلك العدد، غير أنَّ الشرع لم يعين ذلك العدد لنا ولا فصله.

وقد تكلف بعض المتأخرين تعديد ذلك؛ فتصفح خصال الشريعة وعددها، حتى انتهى بها -في زعمه- إلى ذلك العدد، ولا يصح له ذلك؛ لأنَّه يمكن الزيادة على ما ذكر، والنقصان مما ذكر؛ ببيان التداخل.

وفي رواية عند أحمد والترمذي: عنه ﷺ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «الإيمان أربعة وستون باباً، أرفعها وأعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[١].

وهي مقاليد السماوات والأرض. أخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» بسنده عن عثمان بن عفان ﷺ: أنَّه سأل رسول الله ﷺ، عن تفسير له مقاليد السماوات والأرض فقال: «ما سألني، عنها أحد قبلك يا عثمان» قال: «تفسيرها: لا إله إلا الله، والله أكبر وسبحان الله وبحمده، أستغفر الله ولا قوة إلا بالله، الأول والآخر والظاهر والباطن، بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير من قالها يا عثمان إذا أصبح عشر مرات أعطي خصالاً ستاً أما أولاهن: فيحرس من إبليس وجنوده، وأمَّا الثانية فيعطى قنطارا من الأجر، وأما الثالثة: فترفع له درجة في الجنة، وأمَّا الرابعة: فيتزوج من الحور العين، وأما الخامسة: فيحضره اثنا عشر ملكا، وأمَّا السادسة: فيعطى من الأجر كمن قرأ القرآن والتوراة والإنجيل والزبور. وله مع هذا يا عثمان من الأجر كمن حج وتقبلت حجته، واعتمر فتقبلت عمرته، فإن مات من يومه طبع بطابع الشهداء»[٢].

والصحيح: ما صار إليه أبو سليمان الخطابي وغيره: أنَّها منحصرة في علم الله تعالى، وعلم رسوله، وموجودة في الشريعة، مفصلة فيها، غير أنَّ الشرع لم يوقفنا على أشخاص تلك الأبواب، ولا عين لنا عددها، ولا كيفية انقسامها، وذلك لا يضرنا في علمنا بتفاصيل ما كلفنا به من شريعتنا ولا في عملنا؛ إذ كل ذلك مفصل مبين في جملة الشريعة، فما أمرنا بالعمل به عملناه، وما نهينا عنه انتهينا، وإن لم نحط بحصر أعداد ذلك، والله تعالى أعلم».

١- المسند (٨٩٢٦)، والترمذي في «سننه» (٢٦١٤) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن منده في «الإيمان» (١٤٧).

٢- تفسير ابن أبي حاتم (١٨٤٠٥) وسنده ضعيف، وانظر: «ضعيف الترغيب والترهيب» (٣٩٨).

قال ابن جزي معلقًا على الحديث: «فإن صح هذا الحديث فمعناه أن من قال هذه الكلمات صادقًا مخلصًا نال الخيرات والبركات من السموات والأرض لأنَّ هذه الكلمات توصل إلى ذلك فكأنَّها مفاتيح له»[١].

وهي كلمة النجاة والعصمة. ففي «الصحيحين» عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قلنا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟

قال: «هل تضارون في رؤية الشمس والقمر إذا كانت صحوا.

قلنا لا قال: فإنَّكم لا تضارون في رؤية ربكم يومئذٍ إلا كما تضارون في رؤيتهما.

ثمَّ قال: ينادي مناد ليذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم وأصحاب الأوثان مع أوثانهم وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر، وغبرات من أهل الكتاب، ثم يؤتى بجهنم تعرض كأنَّها سراب فيقال لليهود: ما كنتم تعبدون؟

قالوا: كنَّا نعبد عزير ابن الله.

فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبة ولا ولد فما تريدون؟

قالوا: نريد أن تسقينا.

فيقال: اشربوا فيتساقطون في جهنم، ثمَّ يقال للنصارى: ما كنتم تعبدون؟

فيقولون: كنَّا نعبد المسيح ابن الله.

فيقال: كذبتم لم يكن لله صاحبةً ولا ولد فما تريدون؟

فيقولون: نريد أن تسقينا.

١- تفسيره (٢/١١٤٦).

فيقال: اشربوا فيتساقطون حتى يبقى من كان يعبد الله من بر أو فاجر.

فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟

فيقولون: فارقناهم ونحن أحوج منا إليه اليوم، وإنا سمعنا مناديًا ينادي ليلحق كل قوم بما كانوا يعبدون وإنَّما ننتظر ربنا.

قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول: أنا ربكم.

فيقولون: أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء.

فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه فيقولون الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقا واحدا»[1].

وفي «مسند أحمد» عن ابن عفان رحمه الله يحدث: أنَّ رجالًا من أصحاب النبي ﷺ حين توفي النبي ﷺ حزنوا عليه، حتى كاد بعضهم يوسوس.

قال عثمان: وكنت منهم، فبينا أنا جالس في ظلِّ أُطم من الآطام مرَّ علي عمر رضي الله عنه ، فسلم عليَّ، فلم أشعر أنَّه مر ولا سلم، فانطلق عمر حتَّى دخل على أبي بكر رضي الله عنه، فقال له: ما يعجبك أنِّي مررت على عثمان فسلمت عليه، فلم يرد عليَّ السلام؟ وأقبل هو وأبو بكر في ولاية أبي بكر رضي الله عنه، حتى سلما عليَّ جميعًا، ثمَّ قال أبو بكر: جاءني أخوك عمر، فذكر أنَّه مرَّ عليك، فسلم فلم ترد عليه السلام، فما الذي حملك على ذلك؟

١- صحيح البخاري (٧٠٠١)، ومسلم (١٨٣).

قال: قلت: ما فعلت.

فقال عمر: بلى والله لقد فعلت، ولكنَّها عبيتكم يا بني أمية.

قال: قلت: والله ما شعرتُ أنَّك مررت بي، ولا سلمت!

قال أبو بكر: صدق عثمان، وقد شغلك عن ذلك أمر؟

فقلت: أجل!

قال: ما هو؟

فقال عثمان ﷺ: توفى الله عز وجل نبيه ﷺ قبل أن نسأله عن نجاة هذا الأمر.

قال أبو بكر: قد سألته عن ذلك، قال: فقمتُ إليه فقلت له: بأبي أنت وأمي، أنت أحق بها.

قال أبو بكر: قلت: يا رسول الله، ما نجاة هذا الأمر؟

فقال رسول الله ﷺ: «من قبل مني الكلمة التي عرضت على عمي، فردها عليَّ، فهي له نجاة»[١].

وعن بكر بن عبد الله المزني قال: «كان فيمن كان قبلكم ملك وكان متمردًا على ربه عز وجل فغزاه المسلمون فأخذوه سليمًا فقالوا: بأي قتلة نقتله؟ فأجمعوا آراءهم على أن يجعلوا له قمقمًا عظيمًا ويحشوا تحته النار ولا يقتلوه حتى يذيقوه

١- مسند أحمد (مسند أبي بكر الصديق ﷺ) (٢٠) و(٢٤)، و(٣٧).
وله شاهد عن عمر ﷺ برقم (١٨٧)، ورواه البزار في «مسنده» (٩٣٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٩٨)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦٤٠).
وأخرجه بنحوه ابن ماجه في «سننه» (٣٧٩٦)، والنسائي في «اليوم والليلة» (١١٠١)، وابن حبان (٢٠٥)، وله شاهد أيضًا عن عثمان بن عفان ﷺ برقم (٤٤٧).
قوله: (الأطم): بناء مرتفع. قوله: (والعبية): الكبر، وتضم عينها وتكسر.

طعم العذاب ففعلوا ذلك به قال: فجعل يدعو آلهته واحدًا واحدًا: يا فلان بما كنت أعبدك وأصلي لك وأمسح وجهك فأنقذني ممَّا أنا فيه، فلما رآهم لا يغنون عنه شيئًا رفع رأسه إلى السماء، وقال: لا إله إلا الله ودعا الله مخلصًا، فصب الله عليه مثغبًا من السماء فأطفأ تلك النَّار، وجاءت ريح فاحتملت ذلك القمقم فجعل يدور بين السماء والأرض وهو يقول: لا إله إلا الله فقذفه الله إلى قوم لا يعبدون الله عز وجل، وهو يقول: لا إله إلا الله، فاستخرجوه، فقالوا له: ويحك ما لك؟ قال: أنا ملك بني فلان فقص عليهم القصة قال: وكان من أمري وكان من أخذي فآمنوا»[١].

وهي الكلمة التي بها تفرج الكروب وتزال الهموم والغموم. عن مطرِّف بن الشخير أنَّ نوفًا البكالي وعبد الله بن عمرو اجتمعا، فقال نوف: «إنِّي أجد في التوراة لو أنَّ السموات والأرض كنَّ طبقًا من حديد، فقال رجل: لا إله إلا الله لخرقتهنَّ حتى تنتهي إلى الله عز وجل»[٢].

وبشاهدٍ قريب منه، عن أنس ﷺ قال: كان رجل من أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار يكنى: أبا معلق، وكان تاجرًا يتجر بمال له ولغيره، يضرب به في الآفاق، وكان ناسكًا ورعًا، فخرج مرة فلقيه لص مقنع في السلاح، فقال له: ضع ما معك فإنِّي قاتلك قال: ما تريد إلى دمي؟ شأنك بالمال، قال: أمَّا المال فلي، ولست أريد إلا دمك قال: أما إذا أبيت، فذرني أصلي أربع ركعات،

١- الزهد لأحمد (١٨٢٩).
٢- العلو للذهبي (٣٣٠) وفيه ضعف.

قال: صل ما بدا لك فتوضأ ثم صلى أربع ركعات، فكان من دعائه في آخر سجدة أن قال: يا ودود، يا ذا العرش المجيد، يا فعال لما يريد، أسألك بعزك الذي لا يرام، وملكك الذي لا يضام، وبنورك الذي ملأ أركان عرشك، أن تكفيني شر هذا اللص، يا مغيث أغثني، يا مغيث أغثني، ثلاث مرات قال: دعا بها ثلاث مرات، فإذا هو بفارس قد أقبل بيده حربة واضعها بين أذني فرسه، فلما بصر به اللص أقبل نحوه، فطعنه، فقتله ثم أقبل إليه، فقال: قم قال: من أنت بأبي أنت وأمي؟ فقد أغاثني الله بك اليوم، قال: أنا ملك من أهل السماء الرابعة، دعوت بدعائك الأول، فسمعت لأبواب السماء قعقعة، ثم دعوت بدعائك الثاني، فسمعت لأهل السماء ضجة، ثم دعوت بدعائك الثالث، فقيل لي: دعاء مكروب، فسألت الله تعالى أن يوليني قتله، قال أنس: «فاعلم أنَّه من توضأ، وصلى أربع ركعات، ودعا بهذا الدعاء، استجيب له مكروبًا كان أو غير مكروب»[(١)].

الله أكبرُ كلُّ هم ينجلي ... عن قلبِ كلِّ مكبّرٍ ومهَلِّلِ

هي تاج هامات الكلام وإنَّما ... لأجلُّ لفظٍ في الكتاب المنزلِ

وأخرج الطبراني في «الكبير» بسنده، والشجري في «الأمالي» من طريقه، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله قبل كل

١- رواها ابن أبي الدنيا في «مجابو الدعوة» (٢٣) و«الهواتف» (١٣)، وفي إسنادها مجاهيل، وهي منكرة، والله أعلم.

شيء، ولا إله إلا الله بعد كل شيء، عوفي من الهم والحزن»[١].

قال الإمام ابن القيم: «وأمَّا دعوة ذي النون: فإنَّ فيها من كمال التوحيد والتنزيه للرب تعالى، واعتراف العبد بظلمه وذنبه ما هو من أبلغ أدوية الكرب والهم والغم، وأبلغ الوسائل إلى الله سبحانه في قضاء الحوائج، **فإنَّ التوحيد والتنزيه يتضمنان إثبات كل كمال الله، وسلب كل نقص وعيب، وتمثيل عنه**، والإعتراف بالظلم، يتضمن إيمان العبد بالشرع والثواب والعقاب ويوجب انكساره ورجوعه إلى الله، واستقالته عثرته، والإعتراف بعبوديته وافتقاره إلى ربه، فها هنا أربعة أمور قد وقع التوسل بها: التوحيد والتنزيه والعبودية والإعتراف»[٢].

وهي من أعظم أركان الإسلام. بل هي ركن الإسلام الأول، الذي لا يصح ركن إلا به، فلا يصح من قوم شريعتهم ما لم تصح عقيدتهم، وصلاح العقيدة بصلاح التوحيد، والتوحيد جوهر الأعمال.

وعن ابن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، وإقامِ الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان»[٣].

١- المعجم الكبير (١٠٦٩١)، و«ترتيب الأمالي» (٣٨/١)، والمنذري في «الترغيب والترهيب» (٦١٧/٢) وقال: «رواه الطبراني»، والصنعاني في «الأربعين الصنعانية» (ص٥٦). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٧١٣٤) «رواه الطبراني وفيه العباس بن بكار وهو ضعيف، وثقه ابن حبان»، وهو ضعيف، وحكم الشيخ ناصر عليه بالوضع كما في «الضعيفة» (٤٢٧).

٢- زاد المعاد (١٨٥/٤).

٣- صحيح البخاري (٨)، وصحيح مسلم (١٩).

وهي وصية النبي ﷺ. عن أبي جمرة قال: كنت أقعد مع ابن عباس يجلسني على سريره، فقال: أقم عندي حتى أجعل لك سهمًا من مالي فأقمت معه شهرين، ثمَّ قال: إنَّ وفد عبد القيس لما أتوا النبي ﷺ قال: من القوم؟ أو من الوفد؟

قالوا: ربيعة.

قال: مرحبًا بالقوم أو بالوفد غير خزايا ولا ندامى.

فقالوا يا رسول الله: إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في شهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، فمرنا بأمرٍ فصل نخبر به من وراءنا وندخل به الجنة؟ وسألوه عن الأشربة فأمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع، أمرهم: بالإيمان بالله وحده قال: أتدرون ما الإيمان بالله وحده.

قالوا الله ورسوله أعلم. قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس.

ونهاهم عن أربع: عن الحنتم، والدباء، والنقير، والمزفت، وربما قال: المقير. وقال: احفظوهنَّ وأخبروا بهنَّ من وراءكم»[1].

وهي كلمة النجاة والعزة والسناء. عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة. وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة،

١- رواه البخاري في «صحيحه» (٥٣) ورواه مكرراً، ومسلم في «صحيحه» (٢٣)، وأبو داود في «سننه» (٣٦٩٢)، والترمذي في «سننه» (١٦٨٩) و(١٦٩٠) و (٢٧٩٧) و (٢٧٩٨)، والنسائي في «الكبرى» (٣٢٠) و (٥١٨٢) و (٥٨١٨).

فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس، الشيخ الكبير والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لا إله إلا الله، فنحن نقولها.

فقال له صلة: ما تغني عنهم لا إله إلا الله، وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة، ثمَّ ردها عليه ثلاثًا، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثمَّ أقبل عليه في الثالثة، فقال: يا صلة، تنجيهم من النَّار، ثلاثاً»[١].

وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره»، في قوله تعالى: ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا﴾ أخبرنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي فيما كتب إلي ثنا أحمد بن مفضل ثنا أسباط عن السدي: قوله: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، قال: لما حضر أبا طالب الموت قالت قريش: انطلقوا فلندخل على هذا الرجل، فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه، فإنا نستحي أن نقتله بعد موته فتقول العرب: كان يمنعه، فلما مات قتلوه. فانطلق أبو سفيان، وأبو جهل، والنضر بن الحارث، وأمية وأبي ابنا خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعمرو بن العاص والأسود ابن البختري، وبعثوا رجلاً منهم يقال له المطلب، قالوا: استأذن لنا على أبي طالب، فأتى أبا طالب فقال: هؤلاء مشيخة قومك يريدون الدخول عليك. فأذن لهم عليه، فدخلوا، فقالوا: يا أبا طالب، أنت كبيرنا وسيدنا، وإنَّ محمدًا قد آذانا وآذى آلهتنا، فنحب أن تدعوه فتنهاه عن

١- رواه ابن ماجه في «سننه» (٤٠٤٩)، والبزار مختصراً في «مسنده» (٢٨٣٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٧٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٥٢٨)، وانظر: «الصحيحة» (٨٧).

ذكر آلهتنا، ولندعه وإلهه. فدعاه، فجاء النبي ﷺ، فقال له أبو طالب: هؤلاء قومك وبنو عمك. قال رسول الله ﷺ: ماذا يريدون؟

قالوا: نريد أن تدعنا وآلهتنا، ولندعك وإلهك.

قال النبي ﷺ: أرأيتم إن أعطيتكم هذا، هل أنتم معطي كلمة إن تكلمتم بها ملكتم العرب، ودانت لكم بها العجم وأدت لكم الخراج؟

قال أبو جهل: وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها، فما هي؟

قال: قولوا: لا إله إلا الله. فأبوا واشمأزوا.

قال أبو طالب: قل غيرها فإن قومك قد فزعوا منها.

قال: يا عم، ما أنا بالذي يقول غيرها حتى يأتوا بالشمس فيضعوها في يدي، ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي، ما قلت غيرها. إرادة أن يوئسهم، فغضبوا وقالوا: لتكفن عن شتم آلهتنا أو لنشتمنك ونشتم من يأمرك، فذلك قوله: فيسبوا الله عدوا بغير علم»[(١)].

عن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير»[(٢)].

١- انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٧٧٦٢).

٢- رواه البخاري في «صحيحه» (باب زيادة الإيمان ونقصانه) (٤٤)، و(٧٠٧١) و(٧٠٧٢). ومسلم في «صحيحه» (١٤٧)، وعبد بن حميد كما في «المنتخب» (١١٧٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٠٣٨٥)، قوله: (برة) قمحة. قوله: (ذرة) النملة الصغيرة، وقيل: أقل شيء يوزن. وقيل: غير ذلك.

وهي حاقنة للدم. والجهاد من أسباب فرضه، هو نصرة الدعوة إلى الله تعالى، فالدعوة النبوية كانت مدتها ثلاثاً وعشرين عاماً، دعا فيها النبي ﷺ إلى الله في مكة ثلاث عشر سنة، وفي المدينة عشر سنين، ولم يفرض الجهاد إلا بعد الهجرة، فكان ذلك من خير الوسائل، وأفضل العلاج في دعوة أهل الشرك والإلحاد، فبرد الدعوة إن لم ينجع معهم، فليس ثمة إلا حرارة السيف، وهو الجهاد النبوي المشروع بضوابطه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب. قال عمر بن الخطاب لأبي بكر كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله ﷺ: أمرت أن أقاتل النَّاس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمنْ قال: لا إله إلا الله فقد عصم منِّي ماله ونفسه إلا بحقهِ وحسابُهُ على الله، فقال أبو بكر: والله لأقتلنَّ من فرق بين الصلاة والزكاة، فإنَّ الزكاة حقُّ المال، والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه. فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «فواللهِ ما هو إلا رأيت الله عز وجل قد شرحَ صدرَ أبي بكر للقتال، فعرفتُ أنَّهُ الحقُّ»[1].

وفي رواية: «أمرتُ أن أقاتل النَّاسَ حتَّى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوا: لا إله إلا الله، عصموا منِّي دماءَهُم وأموالهُم إلا بحقِّها، وحسابهُم على الله عز

١- رواه البخاري في «صحيحه» (١٣٩٩)، ومسلم في «صحيحه» (٣٢)، وأحمد في «مسنده» (٨٩٠٤)، و(٩٤٧٥)، وأبو داود «سننه» (٢٦٤٠)، والترمذي «سننه» (٢٦٠٦)، والنسائي (٧٩/٧)، وابن ماجه (٣٩٢٧).

وجلَّ»[١].

وعن أنس بن مالك ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ كان يغير عند صلاة الفجر، فكان يستمع، فإنْ سمع أذانًا أمسك[٢]، وإلا أغار، فاستمع ذات يوم فسمع رجلاً يقول: الله أكبر الله أكبر، فقال: «الفطرة، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فقال: خرجتَ من النَّار»[٣].

وعنه ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من أصل الإيمان: الكفُّ عمَّن قال: لا إله إلا الله، ولا نكفره بذنب، ولا نخرجُه من الإسلام بعملٍ، والجهادُ ماضٍ منذ بعثني الله إلى أن يقاتلَ آخرُ أمتي الدجال، لا يبطله جَوْر جائر، ولا عَدل عادلٍ، والإيمانُ بالأقدار»[٤].

وعن أسامة بن زيد، قال: بعثنا رسول الله ﷺ سرية إلى الحرقات[٥]، فنذروا

١- رواه أحمد في «مسنده» (١٠١٥٨)، وإسناده حسن.

٢- وعن ابن عصام المزني عن أبيه، قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية، فقال: «إذا رأيتم مسجدًا، أو سمعتم مؤذنًا، فلا تقتلوا أحدًا» رواه أبو داود «سننه» (٢٦٣٥)، وسنده ضعيف، والترمذي في «سننه» (١٦٣٠)، وقال: «حسن غريب»، والنسائي في «الكبرى» (٨٧٨٠)و (٨٧٨٧).

٣- رواه أحمد في «مسنده» (١٣٦٥٢)، وعبد بن حميد (١٣٠٠)، والترمذي (١٦١٨).

٤- رواه أبو داود في «سننه» (٢٥٣٢)، وإسناده ضعيف، ورواه أبو يعلى في «مسنده» (٤٣١١) و (٤٣١٢)، والبيهقي في «السنن» (١٥٦/٩)، والضياء المقدسي في «المختارة» (٢٧٤١) و (٢٧٤٢). قال الطيبي في «شرح المشكاة» (٥١٢/٢): «وفيه إشارة إلى اعتقاد أن المؤمن لا يكفر بالذنب، ولا يخرج من الإسلام ردا على الخوارج والمعتزلة؛ لأن الخوارج يكفرون من يصدر منه ذنب، والمعتزلة يثبتون منزلة بين المنزلتين».

٥- (الحرقات): بضم الحاء وفتح الراء بعدها قاف: نسبة إلى الحرقة: بطن من جهينة سموا بذلك لوقعة كانت بينهم وبين بني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان، فأحرقوهم بالسهام لكثرة من قتلوا منهم، وهذه السرية يقال لها: سرية غالب بن عبيد الله الليثي وكانت في رمضان سنة سبع فيما ذكره ابن سعد (٢/ ١١٩) عن شيخه محمد بن عمر، وكذا ذكره ابن إسحاق في المغازي، وانظر: ابن هشام (٤/ ٢٧١) حدثني شيخ من أسلم عن رجال من قومه، قالوا: بعث رسول الله ﷺ غالب بن عبد

بنا، فهربوا، فأدركنا رجلاً، فلما غشيناه، قال: لا إله إلا الله، فضربناه، حتى قتلناه، فذكرته للنبي ﷺ، فقال: من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة؟، فقلت: يا رسول الله، إنَّما قالها مخافة السلاح، قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم من أجل ذلك قالها أم لا؟ من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة؟ فما زال يقولها، حتى وددت أنِّي لم أسلم إلا يومئِذ»[(١)].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل دم امرئٍ مسلم، يشهدُ أن لا إله إلا الله وأنِّي رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدينِ التَّارك للجماعة»[(٢)].

قال ابن المنذر: «وأجمع كل من نحفظ عنه: أنَّ الكافر إذا قال: لا إله إلا الله، وأنَّ محمدا عبده ورسوله، ولم يزد على ذلك شيئًا: أنَّه مسلم»[(٣)].

قال ابن القيم: «وأجمع المسلمون على أنَّ الكافر إذا قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد دخل في الإسلام، وشهد شهادة الحق، ولم يتوقف إسلامه على لفظ الشهادة، وأنَّه قد دخل في قوله: (حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله) وفي لفظ آخر: (حتى يقولوا لا إله إلا الله) فدلَّ على أنَّ مجرد قولهم لا إله إلا الله

الله الكلبي ثمَّ الليثي إلى أرض بني مرة، وبها مرداس بن نهيل حليف لهم من بنى الحرقة، فقتله أسامة بن زيد.

١- رواه أبو داود في «سننه» (٢٦٤٣)، وهو عند البخاري في «صحيحه» (٤٢٦٩)، ومسلم في «صحيحه» (٩٦)، والنسائي في «الكبرى» (٨٥٤٠)، و(٨٥٤١).

٢- رواه البخاري في «صحيحه» (٦٨٧٨)، ومسلم في «صحيحه» (١٦٧٦)، وأبو داود في «سننه» (٤٣٥٢)، والترمذي في «سننه» (١٤٦٠)، وابن ماجه في «سننه» (٢٥٣٤)، والنسائي في «الكبرى» (٣٤٦٥) و (٦٨٩٨).

٣- الإجماع لابن المنذر (ص١٢٨).

شهادة منهم، وهذا أكثر من أن تذكر شواهده من الكتاب والسنَّة فليس مع من اشترط لفظ الشهادة دليل يعتمد عليه، والله أعلم»[١].

وقال: «وهي الكلمة التي قامت بها الأرض والسماوات، وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أسست الملة ونصبت القبلة، وجرِّدت سيوف الجهاد، وهي محض حق الله على جميع العباد، وهي الكلمة العاصمة للدم والمال والذرية في هذه الدار، والمنجية من عذاب القبر وعذاب النَّار»[٢].

وهي كلمة الأمان وعقد الضمان. عن يزيد بن عبد الله، قال: كنَّا بالمربد، فجاء رجل أشعث الرأس بيده قطعة أديم أحمر، فقلنا: كأنَّك من أهل البادية، قال: أجل، قلنا: ناولنا هذه القطعة الأديم التي في يدك، فناولناها، فقرأنا ما فيها فإذا فيها: «من محمد رسول الله إلى بني زهير بن أقيش، إنَّكم إن شهدتم ألا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأديتم الخمس من المغنم، وسهم النبي ﷺ وسهم الصفي أنتم آمنون بأمان الله ورسوله». فقلنا: من كتب لك هذا الكتاب؟ قال: رسول الله ﷺ[٣].

١- مدارج السالكين (٣/٤٥٢).

٢- الجواب الكافي (ص٢٧٨) ط: ابن الجوزي.

٣- رواه أبو داود في «سننه» (٢٩٩)، وابن قانع في «معجم الصحابة» (٣/ ١٦٥)، والطبراني في «الأوسط» (٢٩٤٠)، والخطيب «الأسماء المبهمة» (ص٣١٥) يزيد بن عبد الله: هو ابن الشخير، وقرة: هو ابن خالد السدوسي.

وأخرجه النسائي في «الكبرى» (٤١٤٦) من طريق سعيد بن إياس الجريري، عن يزيد بن عبد الله ابن الشخير، به، وهو في «مسند أحمد» (٢٠٧٣٧)، و«صحيح ابن حبان» (٦٥٥٧).

وسبب من أسباب نيل الشفاعة. عن أبي هريرة ﷺ، قال: قلت للنبي ﷺ: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال النبي ﷺ: «لقد ظننتُ يا أبا هريرة، ألا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أول منك، لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد النَّاس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصةً من قبل نفسه»[١].

قال ابن بطال: الشفاعة إنَّما تكون فى أهل الإخلاص خاصة، وهم أهل التصديق بوحدانية الله، ورسله، لقوله ﷺ: «خالصًا من قلبه، أو نفسه»[٢].

وعنه، قال رسول الله ﷺ: «لكلِّ نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإنِّي اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة -إن شاء الله- من مات من أمَّتي لا يشرك بالله شيئًا»[٣].

قال النووي: «ففيه دلالة لمذهب أهل الحق: أنَّ كل من مات غير مشرك بالله تعالى لم يخلد في النَّار، وإن كان مصرًا على الكبائر»[٤].

وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ لعمه: «قل: لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة.

قال: لولا أنْ تعيرني قريش، يقولون: إنَّما حمله على ذلك الجزع، لأقررت بها عينك، فأنزل الله عز وجلَّ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:

١- رواه أحمد في «مسنده» (٨٨٥٨)، والبخاري في «صحيحه» (٦٥٧٠)، والنسائي في «الكبرى» (٥٨٤٢).

٢- شرح ابن بطال لصحيح البخاري (١/١٧٦).

٣- رواه البخاري (٥٩٤٥)، ومسلم (٣٨٨) واللفظ له.

٤- شرح النووي لصحيح مسلم (٣/٧٥).

٥٦]»[١].

وفي «مسند أحمد» في حديث طويل من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ فيه كما تنبت الزرعة في غثاءِ السيل، ثمَّ يشفع الأنبياء في كلِّ من كان يشهد أن لا إله إلا الله مخلصًا فيخرجونهم منها قال: «ثمَّ يتحنن الله برحمته على من فيها فما يترك فيها عبدًا في قلبه مثقالَ حبة من إيمان إلا أخرجه منها»[٢].

وعن أنس ﷺ، أن النبي ﷺ دخل على رجل من بني النجار يعوده، فقال له رسول الله ﷺ: يا خال، قل: لا إله إلا الله

فقال: أو خال أنا أو عم؟

فقال النبي ﷺ: لا بل خال، فقال له: قل: لا إله إلا هو، قال: خير لي؟ قال: نعم»[٣].

وعن عوف بن مالك الأشجعي، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني آتٍ من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنَّة وبين الشفاعة، فاخترت

١- رواه أحمد في «مسنده» (٩٦١٠)، و(٩٦٨٧)، ومسلم في «صحيحه» (٢٥)، و(٤٢)، والترمذي في «سننه» (٣١٨٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٧٠)، وابن منده في «الإيمان» (٣٨)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣٤٤/٢).

٢- المسند (١١٠٨١) وأخرجه الحسين المروزي في زياداته على «الزهد» (١٢٦٨)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٣٢٥-٣٢٦). وأخرجه ابن أبي شيبة «المصنف» في (١٧٦/١٣-١٧٧)، وابن ماجه في «سننه» مختصراً (٤٢٨٠).

٣- رواه أحمد في «مسنده» (١٢٥٤٣)، و(١٢٥٦٣)، والضياء في «المختارة» (١٦٤٠)، والبزار (٧٨٧) كما في «كشف الأستار».

الشفاعة،وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئًا»[١].

قال الآجري رحمه الله: «وقد روي من غير وجه: أنَّ النَّبي ﷺ يشفع يوم القيامة لجميع ذرية آدم عليه السلام من الموحدين بأنَّ يخرج من النَّارِ كل موحدٍ ثمَّ يشفع آدم عليه الصلاة والسلام، ثمَّ الأنبياء، ثمَّ الملائكة، ثمَّ المؤمنون فنعوذ بالله ممَّن يكذب بهذا، لقد ضلَّ ضلالًا بعيدًا، وخسر خسرانًا مبينًا»[٢].

وهي كلمة يحبها الله. عن الأغر أبي مسلم: أنَّه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنَّه قال: «إذا قال العبد: لا إله إلا الله، والله أكبر.

قال تبارك وتعالى: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، وأنا أكبر، فإذا قال: لا إله إلا الله، وحده.

قال تبارك وتعالى: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، وأنا وحدي، فإذا قال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له.

قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، لا شريك لي، فإذا قال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد.

قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، لي الملك، ولي الحمد، فإذا قال: لا إله إلا الله، ولا حول، ولا قوة إلا بالله، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا، ولا حول ولا قوة إلا بي.

١- سنن الترمذي (٢٤٤١)، وقال: «وقد روي عن أبي المليح، عن رجل آخر من أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ ولم يذكر عن عوف بن مالك».
٢- الشريعة (١٢٣٨/٣).

قال أبو إسحاق، ثمَّ قال الأغر شيئًا لم أفهمه، فقلت لأبي جعفر: ماذا قال؟ قال: «من رزقهنَّ عند موته لم تمسه النار»[١].

ومفتاح دخول الإسلام ومن خير خواتمه. عن أبي سعيد ﷺ، يقول: قال رسول الله ﷺ: «لقنوا موتاكم قول: لا إله إلا الله»[٢] .

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل: «اعلم أنَّه من مات يشهد أنْ لا إله إلا الله، دخل الجنة»[٣].

وفي «صحيح الإمام مسلم» (باب: الدليل على أنَّ من مات على التوحيد دخل الجنَّة قطعًا)، ثمَّ ساق بسندهِ، عن حمران، عن عثمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ«منْ مات وهو يعلم أنَّه لا إله إلا الله دخل الجنة»[٤].

وعن مكحول، قال: مرض معاذ بن جبل ﷺ فأتاه أصحابه يعودونه، فقال: أجلسوني. فأجلسوه، فقال كلمة سمعتها من رسول الله ﷺ، فقال: «من كان آخر كلامه عند الموت لا إله إلا الله وحده لا شريك له، هدمت ما كان قبلها

١- انظر المنتخب من مسند عبد بن حميد (٩٤١)، هذا الحديث مختلف في رفعه ووقفه، ورواه الترمذي في «سننه» (٣٤٣٠)، وقال: «هذا حديث حسن» وقد رواه شعبة، عن أبي إسحاق، عن الأغر أبي مسلم، عن أبي هريرة، وأبي سعيد، بنحو هذا الحديث بمعناه، ولم يرفعه شعبة، حدثنا بذلك بندار قال: حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، بهذا.

٢- رواه أحمد في «المسند» (١٠٩٩٣)، ومسلم في «صحيحه» (٩١٦)، وأبو داود «سننه» (٣١١٧)، والترمذي، في «سننه» (٩٧٦)، والنسائي في «المجتبى» (٥/٤)، وفي «الكبرى» (١٩٥٢)، وابن ماجه «سننه» (١٤٤٥) وأبو يعلى «مسنده» (١٠٩٦)، و (١١١٧)، وابن حبان «صحيحه» (٣٠٠٣).

٣- رواه أحمد في «مسنده» (١٢٣٣٢)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٩٧١)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٢٠٢).

٤- رواه مسلم (٤٣)، وعبد بن حميد كما في «المنتخب» في (مسند عثمان ﷺ) (٥٥).

من الذنوب والخطايا، فلقنوها موتاكم. قالوا: يا أبا عبد الرحمن فكيف هي للأحياء». قال: «أهدم وأهدم»[١].

وعن حذيفة ﷺ قال: كنت مسندًا النبي ﷺ إلى صدري، قال: فقال: «من قال: لا إله إلا الله، ختم له بها دخل الجنَّة، ومن تصدق بصدقةٍ ابتغاءَ وجهِ الله خُتِم له بها دخل الجنَّة، ومن صام يومًا ابتغاءَ وجهِ الله خُتِم له به دخل الجنَّة»[٢].

وعن يحيى بن عون، قال: دخلت مع سحنون على ابن القصار وهو مريض، فقال: ما هذا القلق؟

قال له: الموت والقدوم على الله.

قال له سحنون: ألست مصدقًا بالرسل والبعث والحساب، والجنَّة والنَّار، وأنَّ

١- رواه أبو يعلى كما ذكره ابن حجر في «المطالب العالية» (٧٧٢)، ط: العاصمة. وإسناده ضعيف، فيه ثلاث علل:
١ - ضعف فرج بن فضالة.
٢ - اختلاط العلاء، ولم يعرف هل حدث عنه فرج قبل الاختلاط أو بعده.
٣ - الانقطاع بين مكحول ومعاذ، فإنَّه لم يلقه، قال أبو مسهر: «لم يسمع مكحول عن أحد من الصحابة إلا أنسًا».

٢- رواه أبو بكر بن أبي شيبة كما في «إتحاف الخيرة» للبوصيري (٤٢٠/٦)، وقال عقبه: «هذا إسناد صحيح»، قلت: إذا ثبت سماع نعيم بن أبي هند من حذيفة ﷺ، فإنَّ المزي لم يذكره في شيوخه في «تهذيب الكمال» (٤٩٨/٢٩)، وقال: «وروى له أبو داود في المراسيل»، وكذا ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٤١٧/١٠)، وابن حبان في «الثقات»، ففي موطن لم يذكر سماعه (١١٣٤٣). وفي آخر (١١٥١٦) ذكره بقوله: هشام بن القاسم أخو روح بن القاسم، يروي عن نعيم بن أبي هند الأشجعي، عن حذيفة، عن النبي ﷺ قال: «من ختم له بصوم يوم محتسبًا على الله عز وجل دخل الجنة ومن ختم له». فهل يعني هذا سماعه من حذيفة ﷺ، كما ذهب إلى ذلك البوصيري؟
وممَّن رواه أحمد في «المسند» (٢٣٣٢٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٦٥١).

أفضل هذه الأمَّة أبو بكر ثمَّ عمر، والقرآن كلام الله غير مخلوق، وأنَّ الله يُرى يوم القيامة، وأنَّه على العرش استوى، ولا تخرج على الأئمة بالسيف، وإن جاروا.

قال: إي والله.

فقال: «مت إذا شئت، مت إذا شئت»[١].

وهي أصل الدعوة. عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيشٍ أو سريَّةٍ أوصاه خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً. ثمَّ قال: «اغزوا باسم الله، وفي سبيل الله، قاتلُوا من كفر بالله، اغزوا، ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلُوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوَّك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال-أو: خلال- فأيتُهُنَّ ما أجابوك فاقبل منهم، وكفَّ عنهم، ثمَّ ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثمَّ ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنَّهم إن فعلوا ذلك، فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنَّهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن، فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه؛ ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة

١- سير أعلام النبلاء (٦٧/١٢).

أصحابك، فإنَّكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله. وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله، فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك، فإنَّك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا»[١].

وعن ابن عباس ﷺ: أنَّ النبي ﷺ بعث معاذًا ﷺ إلى اليمن، فقال: «ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم»[٢].

وهي الفطرة التي خلق العباد عليها. عن أنس ﷺ، قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في سفر، إذ سمع رجلًا يقول: الله أكبر، الله أكبر، فقال النبي ﷺ: على الفطرة، فقال: أشهد أنَّ لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «خرج هذا من النَّار»[٣].

وهي كنز من كنوز الجنة. عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: لما غزا رسول الله ﷺ خيبر أو قال لما توجه رسول الله ﷺ أشرف الناس على واد فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله فقال رسول الله ﷺ:اربعوا على أنفسكم

١- صحيح مسلم (١٧٣١).

٢- رواه البخاري في «صحيحه» (١٣٩٥)، ومسلم في «صحيحه» (١٩)، وأبو داود في «سننه» (١٥٨٤)، والترمذي في «سننه» (٦٣٠)، وابن ماجه في «سننه» (١٧٨٣)، والنسائي في «الكبرى» (٢٢٢٦) و (٢٣١٣)، وأحمد في «مسنده» (٢٠٧١).

٣- رواه أحمد في «مسنده» (١٣٥٣٢) وإسناده ضعيف.

إنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم، وأنا خلف دابة رسول الله ﷺ فسمعني وأنا أقول لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال لي: يا عبد الله بن قيس.

قلت: لبيك يا رسول الله.

قال: ألا أدلك على كلمة من كنز من كنوز الجنة.

قلت: بلى يا رسول الله فداك أبي وأمي. قال: «لا حول ولا قوة إلا بالله»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ أعرابياً عرض للنبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، دلني على عمل يدخلني الجنة، قال: «تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان».

فقال: والذي نفس محمد بيده، لا أزيد على هذا، ولا أنقص منه، فلما ولى، قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا».

وعنه رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ، قال: «أكثروا من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنَّها كنز من كنوز الجنة»[٢].

وهي العاصمة من النار. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ كلمة، وقلت أخرى، قال رسول الله ﷺ: «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنَّة».

١- صحيح البخاري (٣٩٦٨).

٢- مسند أحمد (٧٩٦٦)، ورقم (٨٤٠٦).

قال: وقلت أنا: «من مات يشرك بالله دخل النار».

وعند «مسلم»، عن جابر ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنَّة، ومن لقيه يشرك به أدخله النار»[١].

عن أنس بن مالك، أن عتبان اشتكى عينه، فبعث إلى رسول الله ﷺ فذكر له ما أصابه وقال: يا رسول الله، تعال صل في بيتي، حتى أتخذه مصلى قال: فجاء رسول الله ﷺ ومن شاء الله من أصحابه، فقام رسول الله ﷺ يصلي وأصحابه يتحدثون بينهم، فجعلوا يذكرون ما يلقون من المنافقين، فأسندوا عظم ذلك إلى مالك بن دخيشم، فانصرف رسول الله ﷺ وقال: «أليس يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟» فقال قائل: بلى، وما هو من قلبه. فقال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله فلن تطعمه النار»، أو قال: «لن يدخل النار»[٢].

والموجبة لدخول الجنة. عن أبي سفيان، عن جابر ﷺ قال أتى النبي ﷺ رجل فقال يا رسول الله: ما الموجبتان؟ فقال «من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئًا دخل النار»[٣].

١- صحيح مسلم (١٥٠).

٢- رواه أحمد في «مسنده» (١٢٣٨٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١١٠٥).

٣- رواه مسلم في «صحيحه» (١٥١)، وأبو عوانة في «المستخرج» (٣١)، وأبو نعيم في «المستخرج» (٢٦٧)، وهو في جامع معمر بن راشد (٢٠٢٧٧) بلفظ: قال: «موجبتان، ومضعفتان، ومثلا بمثل، فأما الموجبتان: فمن لقي الله لا يشرك به دخل الجنة، ومن لقي الله يشرك به دخل النار، قال: وأمَّا المضعفتان: فمن عمل حسنة كتبت له بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، وأمَّا مثلًا بمثل فمن عمل سيئة كتبت عليه مثلها»، وأحمد في مسند جابر ﷺ وهو مكرر في غيره (١٤٧١١).

وعن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً، وأدى زكاة ماله، طيباً بها نفسه محتسباً، وسمع وأطاع، فله الجنة -أو دخل الجنة- وخمسٌ ليس لهن كفارة: الشرك بالله، وقتل النفس بغير حق، أو بهت مؤمن، أو الفرار يوم الزحف، أو يمين صابرة يقتطع بها مالا بغير حق»[١]

وعن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس أنَّه لا يدخل الجنَّة إلا المؤمنون»[٢]

وروى ابن منيع، بسندهِ عن شقيق قال: لقي أبو بكر طلحة، فقال: ما لي أراك أصبحت واجمًا؟ قال: لا، إلا كلمة سمعت رسول الله ﷺ! يقول: إنها موجبة فلم أسأله عنها قال: لكني أعلمها!، قال: ما هي؟ قال: لا إله إلا الله[٣].

وسبيل من سبل النجاة. قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ. فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧-٨٨] نادى يونس ربه تعالى وهو مقرٌ له بكامل التوحيد، معترف له بصفات الجلال ونعوت الكمال، معترف لذي الجلال والإكرام بتقصيره وحاله، فكانت العاقبة ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ﴾، فتبين بهذه الآيات، أن التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته، من خير الوسائل، وأعظم الأسباب في حصول المطلوب،

١- مسند أحمد (٨٧٣٧)، وإسناده ضعيف فيه بقية ابن الوليد مدلس وقد عنعن، وقال المنذري، في «الترغيب والترهيب» (٢٠٨٥) «رواه أحمد وفيه بقية بن الوليد».

٢- رواه أحمد (٢٠٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٨٤٩)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٨٠١/٢).

٣- كما في المطالب العالية (٢٨٥٨)، وقال ابن حجر: «هذا إسناد حسن إن كان شقيق سمعه من طلحة وهو غريب من حديث أبي بكر»، وهو في «مسند أبي يعلى» (١٠٢).

والنجاة من الفتن وكل خطر مكتوب.

ثمَّ بين ربنا سبحانه وتعالى، أن النجاة من الفتن تكون بهذا لكل مؤمن معتقد بذلك فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾، فيا عجباً من ترك الجوامع في الدعاء، وخير الدعاء الدعاء بما دعا به الأنبياء والمرسلون، لأنَّه دعاء عن تجربة مع مزية بأنَّه واقع من خير خلق الله.

وفي «صحيح مسلم»، عن عبادة بن الصامت ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله، وأنَّ عيسى عبد الله، وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وأنَّ الجنة حق، وأنَّ النَّار حق، أدخله الله من أيِّ أبواب الجنَّةِ الثمانية شاء» وفي روايةٍ: «على ما كان من عمل»[(١)].

قال القرطبي في «المفهم» وقوله: (أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء) ظاهر هذا يقتضي أنَّ قول هذه الكلمات يقتضي دخول الجنَّة، والتخيير في أبوابها، وذلك بخلاف ما ظهر من حديث أبي هريرة الآتي في كتاب الزكاة؛ فإن فيه ما يقتضي أن كل من كان من أهل الجنَّة إنَّما يدخل من الباب المعين للعمل الذي كان يعمله غالبًا الداخل؛ فإنَّه قال فيه: فمن كان من أهل الصلاة، دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصيام، دعي من باب الصيام، وهكذا

١- (٤٦) قال النووي في «شرح صحيح مسلم» (٢٢٧/١): «هذا حديث عظيم الموقع وهو أجمع أو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد، فإنَّه ﷺ جمع فيه ما يخرج عن جميع ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدهم، فاختصر ﷺ في هذه الأحرف على ما يباين به جميعهم، وسمى عيسى عليه السلام كلمة؛ لأنَّه كان بكلمة كن فحسب من غير أب بخلاف غيره من بني آدم».

الجهاد.

والتوفيق بين الظاهرين: أنَّ كل من يدخل الجنة مخير في الدخول من أي باب شاء، غير أنَّه إذا عرض عليه الأفضل في حقه، دخل منه مختارًا للدخول منه من غير جبر عليه، ولا منع له من الدخول من غيره؛ ولذلك قال أبو بكر ﷺ: «ما على من يدعى من تلك الأبواب من ضرورة»، والله أعلم[١].

وفي «الصحيحين»، من حديث أنس ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجنَّ منها من قال لا إله إلا الله»[٢].

وهي ميزان قبول الأعمال. عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ، قال: «تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئًا، إلا رجلًا كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أنظروا هذين حتى يصطلحا»[٣].

وهي كفارة الحالف بغير الله. عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف فقال في حلفه: واللات، فليقل: لا إله إلا الله، ومَن قال لصاحبِهِ: تعالَ أقامرك، فليتصدق بشيء»[٤].

١- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (١/٢٠١).

٢- رواه البخاري (٧٠٧٢)، ومسلم (٣٢٦).

٣- رواه مسلم (٢٥٦٥) قوله: (شحناء) أي عداوة وبغضاء. قوله: (أنظروا هذين) أي أخروهما.

٤- أخرجه البخاري في «صحيحه» (٤٨٦٠) وفي «الأدب المفرد» (١٢٦٢)، ومسلم في «صحيحه» (١٦٤٧)، وأبو داود في «سننه» (٣٢٤٧)، والترمذي «سننه» (١٦٢٦)، وابن ماجه في «سننه» (٢٠٩٦)، والنسائي في «الكبرى» (٣٧٧٥)، وهو في «مسند أحمد» (٨٠٨٧)، و«صحيح ابن حبان» (٥٧٠٥).

وروى ابن حبان في «صحيحه» (٤٣٦٤) ما يشبه أن يكون سببا لهذا الحديث من طريق مصعب ابن سعد، عن أبيه قال: كنا حديث عهد بجاهلية، فحلفت باللات والعزى فقال لي أصحابي: بئس ما قلت، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فقال: «قل: لا إله إلا الله وحده ثلاثا ثم اتفل عن يسارك ثلاثا؟

وهي من أسباب عفو الرحمن، وعزة أهل التوحيد. عن عمرو بن سعيد بن جعدة بن هبيرة، عن أبيه، عن جده، عن أم هانئ ابنة أبي طالب، عن النبي ﷺ قال: «إنَّ الله تبارك وتعالى يجمع الأولين والآخرين يوم القيامة في صعيد واحد، ثمّ ينادي مناد من تحت العرش: يا أهل التوحيد، إن الله عز وجل قد عفا عنكم، فيقوم الناس فيتعلق بعضهم ببعض في ظلاماتِ الدنيا، ثمَّ ينادي مناد: يا أهل التوحيد، ليعف بعضكم عن بعض، وعليَّ الثواب»[(١)].

وعن عاصم بن بهدلة، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعودرضي الله عنه: «أنَّ رجلًا لم يعمل من الخير شيئًا قط إلا التوحيد، فلمَّا حضرته الوفاة، قال لأهله: إذا أنا مت، فخذوني واحرقوني، حتى تدعوني حممة، ثمَّ اطحنوني، ثمَّ اذروني في البحر، في يوم راح، قال: ففعلوا به ذلك، قال: فإذا هو في قبضة الله، قال: فقال الله عز وجل له: ما حملك على ما صنعت؟ قال: مخافتك، قال: فغفر الله له»[(٢)].

وهي رابطة للمسلمين على مختلف بلدانهم، وتعدد ألسنتهم، وتنوع أعراقهم. عن عثمان بن عبد الرحمن، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «صلوا على من قال: لا إله إلا الله، وصلوا خلف من

وتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ولا تعد».

١- رواه الطبراني في «الأوسط» (١٣٣٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٨٤٢٥): «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه أبو عاصم الربيع بن إسماعيل منكر الحديث قاله أبو حاتم»، وله في «الطيوريات» (٤٧٨/٣) شاهد وهو ضعيف.

٢- رواه أحمد في «مسنده» (٣٧٨٥) و(٨٠٤٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥١٠٥) والطبراني في «الكبير» (١٠٤٦٧)، وله شاهد في الصحيحين.

قال: لا إله إلا الله»[١].

قال الشيخ العلاّمة محمد الأمين الشنقيطي ﷺ: «والحاصل أنَّ الرابطة الحقيقية التي تَجمع المفترقَ وتؤلف المختلف هي رابطة لا إله إلا الله، ألا ترى أنَّ هذه الرابطة التي تجمع المجتمع الإسلامي كلَّه كأنَّه جسدٌ واحدٌ، وتجعله كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً، عطفت قلوب حملة العرش ومن حوله من الملائكة على بني آدم في الأرض مع ما بينهم من الاختلاف، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً، فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾، فقد أشار تعالى إلى أنَّ الرابطة التي ربطت بين حملة العرش ومن حوله وبين بني آدم في الأرض حتى دعوا الله لهم هذا الدعاء الصالح العظيم إنَّما هي الإيمان بالله جلّ وعلا.

إلى أن قال ﷺ: وبالجملة فلا خلاف بين المسلمين أنَّ الرابطة التي تربط أفراد أهل الأرض بعضهم ببعض وتربط بين أهل الأرض والسماء هي رابطة لا إله

١- رواه الدارقطني في «سننه» (١٧٦١) وعثمان بن عبد الرحمن هو الوقاصي متروك وكذبه ابن معين.

ورواه أيضًا (١٧٦٢) من طريق محمد بن الفضل، عن سالم الأفطس، عن مجاهد. به. ومحمد بن الفضل كذبه ابن معين، واتهمه أحمد، وتركه النسائي وانظر: تخريجه في: «الإرواء» للشيخ ناصر (٥٢٧)، و«النافلة» لشيخنا أبي إسحاق (٨٤/١).

إلا الله، فلا يجوز ألبتة النداء برابطة غيرها»[١].

١- أضواء البيان (٣/٤٤٧-٤٤٨)، و«فقه الأدعية والأذكار» (١/١٧١).

فضلها: في الأذكار والأوراد

ولها فضائل كثيرة، ومن ذلك فهي من أعظم الأذكار، وخير الأجور وأفضل الحسنات. عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، من قالها عشر مرات حين يصبح، كتب له بها مائة حسنة، ومحي عنه بها مائة سيئة، وكانت له عدل رقبة، وحفظ بها يومئذ حتى يمسي، ومن قال مثل ذلك حين يمسي، كان له مثل ذلك»[١].

وعنه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير في يوم مائة مرة، كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأتِ أحد أفضل ممَّا جاء به، إلا امرؤ عمل أكثر من ذلك، ومن قال في يوم: سبحان الله وبحمده مائة مرة، حطت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر»[٢].

وهي من أذكار الصباح. عن البراء بن عازب ﷺ قال: كان النبي ﷺ إذا أصبح قال: «أصبحنا وأصبح الملك لله، والحمد لله، لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، اللهم إنِّي أسألك خير هذا اليوم وخير ما بعده، وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده، اللهم إنِّي أعوذ بك من الكسل والكبر وعذاب القبر»[٣].

١- رواه أحمد في «مسنده» (٨٧١٩)، النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٦).
٢- رواه أحمد في «مسنده» (٨٨٧٤)، وإسناده صحيح.
٣- رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٠٤)، والطبراني في «الدعاء» (ص١١٣)، وله شاهد في

وهي دعاء دخول السوق. روى أحمد بسندٍ معلول، عن عمر ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال في سوق: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، بيده الخير، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، كتب الله له بها ألف ألف حسنة، ومحا عنه بها ألف ألف سيئة، وبنى له بيتًا في الجنة»[(١)].

وهي دعاء المكروب. عن ابن عباس قال: «كان النبي ﷺ يدعو عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب السماوات والأرض ورب العرش العظيم»[(٢)].

وهي تشهد الصلاة. عن ابن عباس، أنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا التَّشهدُ كما يعلمنا السورة من القرآن، فكان يقول: «التحياتُ المباركاتُ، الصلواتُ الطِّيبات لله، السلام عليك أيُّها النَّبيُ ورحمةُ اللهِ وبركاتُه، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أنْ لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمدًا رسول الله»[(٣)].

«صحيح مسلم» (٢٧٢٣)، و«سنن الترمذي» من حديث ابن مسعود رضي الله عنه (٣٣٩٠)، وقال: «هذا حديث حسن» وقد رواه شعبة، بهذا الإسناد، عن ابن مسعود، ولم يرفعه، وهو عند أبي داود في «سننه» (٥٠٨٣)، من حديث أبي مالك الأشعري، وفي إسناده انقطاع.

١- رواه أحمد في «مسنده» (٣٢٧)، والطيالسي في «مسنده» (١٢)، وابن ماجه في «سننه» (٢٢٣٥)، والترمذي في «سننه» (٣٤٢٩)، والبزار في «مسنده» (١٢٥)، والطبراني في «الدعاء» (٧٨٩)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٨٢) من طرقٍ عن حماد بن زيد، بهذا الإسناد. وقرن الترمذي في روايته بحماد المعتمر بن سليمان، وأحيل القارئ لتحقيق الشيخ مصطفى العدوي حفظه الله لكتاب «المنتخب من مسند عبد بن حميد» لينظر فيه (ص٢٨) (١/٨١).

٢- رواه أحمد في «مسنده» (٢٣٤٤)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٠٠)، وابن منده «في التوحيد» (٢٩٥)، والطبراني في «الأوسط» (١٢٧٥٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٧٠٠).

٣- رواه مسلم في «صحيحه» (٤٠٣)، وأبو داود في «سننه» (٩٧٤)، والترمذي في «سننه» (٢٩٠)، وابن ماجه في «سننه» (٩٠٠)، والدارقطني في «سننه» (١٣٣٠) كلهم من حديث ابن

وهي تقال دبر الصلوات. وعن المغيرة بن شعبة، أنَّ النبي ﷺ كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قدير، اللهم لا مانعَ لما أعطيت، ولا معطيَ لما

عباس رضي الله عنهما.

والنسائي في «سننه الكبرى» من حديث جابر رضي الله عنه (١٢٠٥).

والدارقطني في «سننه» عن ابن عمر رضي الله عنهما (١٣٣٠)، وهو في «المصنف» لابن أبي شيبة (٢٩٩٩)، وفي باب التحيات أحاديث، ولكن هذا بعض ما ذكر من لفظ هذا الحديث.

قال البغوي في «شرح السنة» (٣/١٨١-١٨٤): قوله: «التحيات لله» يعني الملك لله، ويقال: البقاء لله.

قال القتيبي: إنَّما التحيات لله على الجمع، لأنَّه كان في الأرض ملوك يحيون بتحيات مختلفة، فيقال لبعضهم: أبيت اللعن، ولبعضهم: أسلم وانعم، ولبعضهم: عش ألف سنة، فقيل لنا: قولوا: التحيات لله، أي: الألفاظ التي تدل على الملك، ويكنى بها عن الملك، هي لله عز وجل.

وقيل: «التحيات لله» هي أسماء الله سبحانه وتعالى: السلام، المؤمن، المهيمن، الحي، القيوم، الأحد، الصمد، يريد التحية بهذه الأسماء لله عز وجل.

وقوله: «الصلوات لله» أي: الرحمة لله على العباد، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧]، معناها واحد، عطف إحداهما على الأخرى لاختلاف اللفظين، وقيل: الصلوات: الأدعية لله.

وقوله: «الطيبات لله» معناه: الطيبات من الكلام مصروفات إلى الله سبحانه وتعالى، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ [النور: ٢٦] يعني الطيبات من الكلام للطيبين من الرجال.

قال أهل المعرفة بالحديث: أصح حديث روي عن رسول الله ﷺ في التشهد حديث ابن مسعود، واختاره أكثر أهل العلم من الصحابة والتابعين، فمن بعدهم، وهو قول الثوري، وابن المبارك، وأحمد، وإسحاق، وأصحاب الرأي.

وذهب الشافعي إلى تشهد ابن عباس للزيادة التي فيه، وهو قوله «المباركات» ولموافقته القرآن، وهو قوله سبحانه وتعالى ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١].

وذهب مالك إلى تشهد عمر بن الخطاب، علمه الناس على المنبر: لتحيات لله، الزاكيات لله، الطيبات الصلوات، والباقي كما في رواية ابن مسعود.

وروي عن عبد الله بن عمر، أنَّه كان يقول: بسم الله، التحيات لله.

وروي عن القاسم بن محمد، أنَّ عائشة كانت تقول إذا تشهدت: التحيات الطيبات الصلوات الزاكيات لله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، السلام عليك أيُّها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام عليكم. أهـ.

منعتَ، ولا ينفعُ ذا الجدِّ منك الجد»[١].

وعن هشام، عن أبي الزبير، قال: كان ابن الزبير، يقول: في دبر كل صلاة حين يسلم «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير، لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه، له النعمة وله الفضل، وله الثناء الحسن، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون» وقال: «كان رسول الله ﷺ يهلل بهنَّ دبر كل صلاة»[٢].

وهي أصل كفارة المجلس. عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك»[٣].

وفي رواية عند أبي داود: من حديث أبي برْزَةَ الأسلمي، قال: كان رسولُ الله ﷺ يقول بأخَرَةٍ إذا أرادَ أن يقوم مِن المجلس: «سبحانَكَ اللهُمَّ وبِحمدِكَ، أشهدُ أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، فقال رجل: يا رسول الله ﷺ، إنَّك لتقول قولًا ما كنت تقوله فيما مضى، فقال: كفارة لما يكون في المجلس»[٤].

١- رواه البخاري (٨٤٤)، ومسلم (٤٧١).

٢- رواه مسلم في «صحيحه» (٥٩٤)، والشافعي في «مسنده» (٢٦٧)، ومن طريقه البيهقي في «معرفة السنن والآثار» (٣٨٩٣)، البغوي في «شرح السنة» (٧١٦).

٣- رواه الترمذي (٣٤٣٣)، والنسائي (١٠١٨٧)، وأحمد في «مسنده» (١٩٨١٢).

٤- سنن أبي داود (٤٨٥٩)، والنسائي في «الكبرى» (١٠١٨٧) من طريق عيسى، عن الحجاج بن دينار، بهذا الإسناد. وهو في «مسند أحمد» (١٩٨١٢).

وهي دعاء الوضوء. عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثمَّ قال ثلاث مرات: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، فتحت له من الجنة ثمانية أبواب، من أيها شاء دخل»[١].

قال الطيبي: «القول بالشهادتين عقيب الوضوء إشارة إلي إخلاص العمل لله، وطهارة القلب من الشرك والرياء، بعد طهارة الأعضاء من الحدث والخبث»[٢].

وهي تقال بعد الصلاة. عن حسان بن عطية، حدثني محمد بن أبي عائشة حدثني أبو هريرة، قال: قال أبو ذر: يا رسول الله، ذهب أصحاب الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم ولهم فضول أموال يتصدقون بها، وليس لنا مال نتصدق به، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر، ألا أعلمك كلمات تدرك بهن من سبقك ولا يلحقك من خلفك إلا من أخذ بمثل عملك؟

قال: بلى يا رسول الله، قال: تكبر الله دبر كل صلاة ثلاثًا وثلاثين، وتحمده ثلاثًا وثلاثين، وتسبحه ثلاثاً وثلاثين، وتختمها بلا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، غفرت له ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»[٣].

١- رواه أحمد في «مسنده» (١٣٧٩٢)، وابن ماجه في «سننه» (٤٦٩)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٣٣).

٢- شرح المشكاة (٧٤٨/٣).

٣- رواه أبو داود في «سننه» (١٥٠٤)، وأحمد في «مسنده» (٧٢٤٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٠١٥)، وانظر: «الصحيحة» (١٠٠).

وكتب معاوية إلى المغيرة بن شعبة: أي شيء كان رسول الله ﷺ يقول إذا سلم من الصلاة؟ فأملاها المغيرة عليه، وكتب إلى معاوية، قال: كان رسول الله ﷺ يقول: «لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[١].

عن جابر رضي الله عنه قال: علمني رسول الله ﷺ أنْ أقول خلف كل صلاة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، وما أبديت وما أخفيت، أنت إلهي لا إله إلا أنت»[٢].

وهي أفضل الدعاء في يوم عرفة. ما رواه الترمذي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أنَّ النبي ﷺ قال: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»[٣].

ورواه مالك عن زياد بن أبي زياد، عن طلحة بن عبيد الله بن كريز، به إلى

١- رواه البخاري في «صحيحه» (٦٣٣٠)، ومسلم في «صحيحه» (٥٩٣)، وأبو داود في «سننه» (١٥٠٥)، النسائي في «الكبرى» (١٢٦٦)، وأحمد في «مسنده» (١٨١٨٣).

٢- رواه الطبراني في «الدعاء» (٦٧٨) وإسناد ضعيف.

٣- رواه الترمذي في «سننه» (٣٥٨٥)، وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه، وحماد بن أبي حميد هو: محمد بن أبي حميد، وهو أبو إبراهيم الأنصاري المديني وليس هو بالقوي عند أهل الحديث».

النبي ﷺ[١].

وهي دعاء الرجوع من السفر والغزو. عن عبد الله بن عمر: أن رسول الله ﷺ كان إذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات، ويقول: «لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، آيبون، تائبون، عابدون، ساجدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده»[٢].

وهي دعاء يقوله القائم من الليل. وعن عبادة بن الصامت، قال رسول الله ﷺ: «من تعارَّ من اللّيل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قدير، وسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله،

١- موطأ مالك (باب ما جاء في الدعاء) (٣٢). قال أبو عمر في «التمهيد» (٦/٣٩) «لا خلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث كما رأيت، ولا أحفظه بهذا الإسناد مسنداً من وجه يحتج بمثله، وقد جاء مسنداً من حديث علي بن أبي طالب وعبد الله بن عمرو بن العاص.
فأمَّا حديث علي ﷺ فإنَّه يدور على دينار أبي عمرو عن ابن الحنفية، وليس دينار ممن يحتج به.
وحديث عبد الله بن عمرو من حديث عمرو بن شعيب وليس دون عمر من يحتج به فيه، «وأحاديث الفضائل لا يحتاج فيها إلى من يحتج به». قال الزرقاني: (٢/٥٩٤) «وصله الحاكم في المستدرك عن أبي الدرداء ﷺ».
وقال البيهقي في «فضائل الأوقات» (١٩٢) «مرسل حسن، وقد روي من حديث مالك موصولا بإسناد آخر فوصله ضعيف، وروي من وجه آخر منها»، ورواه الطبراني في «فضل عشرة من ذي الحجة» (٥١)، و(٥٢)، بلفظ: «أفضل... »، وبلفظ «كان عامة... » وهو في كتاب الدعاء كما سيأتي، وهو في الجزء السابع من المخلصيات (٢/٢٣٣). قال في «التلخيص الحبير» (٢/٥٧٤)، «ورواه العقيلي في الضعفاء من حديث نافع عن ابن عمر بلفظ (أفضل دعائي ودعاء الأنبياء قبلي عشية عرفة لا إله إلا الله...) الحديث وفي إسناده فرج بن فضالة وهو ضعيف جداً. قال البخاري: منكر الحديث، ورواه الطبراني في المناسك من حديث علي نحو هذا وفي إسناده قيس بن الربيع».
٢- رواه البخاري في «صحيحه» (١٧٠٣)، ومسلم في «صحيحه» (١٣٤٤)، وأبو داود في «سننه» (٢٧٧٠)، والترمذي في «سننه» (٩٧١)، والنسائي في «الكبرى» (٤٢٢٩)، و(١٠٢٩٧)، و(١٠٢٩٨).

والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثمَّ قال: رب اغفر لي، أو قال: «ثمَّ دعا؛ استجيب له، فإن توضأ وصلي قبلت صلاته»[١].

وهي عمود لفظ الأذان، ولها فضائل كثيرة، وبهذا كفاية، وبالله التوفيق.

١- رواه البخاري في صحيحه (١١٠٣)، وقال الطيبي في «شرح المشكاة» (١١٩٧/٤) قوله: (من تعار) أي استيقظ، ولا يكون إلا يقظة مع كلام. الجوهري: تعار من الليل: إذا هب من نومه. ولعله مأخوذ من عرار الظليم، وهو صوته. أهـ.

أسمائها

[١] **وهي المعروف الذي أمر به.** قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال ابن عباس في قوله: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ يقول: «تأمرونهم أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، والا قرار بما أنزل الله ويقاتلونهم عليه، ولا إله إلا لله أعظم المعروف».

وروي عن أبي العالية قال: «التوحيد»[١].

وقال الله في صفة المنافقين: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٧١].

عن ابن عباس في قوله: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾ قال: «هو التكذيب»، قال: «وهو أنكر المنكر». ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ «شهادة أن لا إله إلا الله، والإقرار بما أنزل الله، وهو أعظم المعروف»[٢].

[٢] **وهي الكلمة الحسنى.** قال الله تعالى: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل:٦].

أي: صدَّق بـ «لا إله إلا الله» وما دلَّت عليه من جميع العقائد الدينية، وما ترتب عليها من الجزاء الأخروي[٣].

قال الله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فالحسنى: «لا

١- تفسير أبي حاتم (٣٩٧٧) (٣/٧٣٣)، و«الدر المنثور» (٢/٢٩٥).
٢- فتح القدير (٢/٤٣٤).
٣- تفسير السعدي (ص٩٢٦).

إله إلا الله، والزيادة: الجنَّة والنَّظر إلى وجه الرب جل ثناؤه»[١].

وقال ابن عباس ﷺ يقول: «للذين شهدوا أن لا إله إلا الله»[٢].

[٣] **وهي كلمة التقوى**. والتقوى جنس يعم كل كلمة يتقى الله بها، وأعلى نوعها كلمة الإخلاص[٣].

قال علي ﷺ: «لا إله إلا الله».

وعن ابن عباس في قوله: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ [الفتح: ٢٦] يقول: «شهادة أن لا إله إلا الله، فهي كلمة التقوى، يقول: فهي رأس التقوى»[٤]، وهذا تفسير عمرو بن ميمون، وقتادة، ومجاهد، وابن زيد، والضحاك، وعكرمة، وغيرهم[٥].

[٤] **وهي الكلمة السواء**. قال تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾ [آل عمران:٦٤].

قال أبو العالية: «كلمة السواء لا إله إلا الله»[٦]، وهو قول مجاهد[٧]، وغيره.

١- الجهاد لابن أبي عاصم (٢/٧٠٢).
٢- تفسير ابن جرير (١٢/١٦٤).
٣- زاد المعاد (٣/٣١٥).
٤- تفسير ابن جرير (٢١/٣١١)، و«تفسير عبد الرزاق» (٢٩١٧)، و «الأمالي» للشجري (١/١٤).
٥- وقيل من معانيها: «لا إله إلا الله والله أكبر»، قاله ابن عمر. وعن علي بن أبي طالب كالقولين. والثالث: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»، قاله عطاء بن أبي رباح.
والرابع: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، قاله عطاء الخراساني. والخامس: «بسم الله الرحمن الرحيم»، قاله الزهري.
٦- تفسير ابن أبي حاتم (٣٦٢٩).
٧- تفسير ابن المنذر (٥٦٤).

[٥] **وهي المثل الأعلى**. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، قال قتادة: «شهادة أن لا إله إلا الله»[١]، وهو قول محمد بن المنكدر.

[٦] **وهي الملة الحنيفية**. قال الله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

قال الإمام ابن جرير: «حتى تصدّقوا بالله وحده، فتوحدوه، وتفردوه بالعبادة»[٢].

فكلمة التوحيد هي الملة الحنيفية للمسلمين، وهي ملة نبي الله إبراهيم عليه السلام، وهذا النسبة إليه زيادة في التشريف له؛ لأنَّه بسببها أوذي وهجر[٣]، وسجن واجتهد الطاغية النمرود لقتله فخذل، وهي حبل الدين المتين، وعقده النظيم، دعاتها أعزة، وأعداؤها أذلة، وفي آخر الزمان -كما ثبت في السنَّة- تكون الملة واحدة، والدين واحد، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير.

[٧] **وهي الدين الخالص**. قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢-٣].

قال قتادة: «الدين الخالص شهادةُ أنَّ لا إلهَ إلا الله»[٤].

[٨] **وهي دعوة الحق**. قال الله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ [الرعد: ١٤]. قال

١- تفسير عبد الرزاق (١٤٩٢).
٢- جامع البيان (٣١٧/٢٣).
٣- من الأقارب والأباعد، كما هو معلوم في قصته، صلوات الله عليه وسلامه.
٤- ينظر: تفسير عبد الرزاق (٢٦١٧)، و«تفسير ابن جزي» (١١٣٠/٢)، وقال ابن جزي: وقال الحسن: «هو الإسلام وهذا أرجح لعمومه».

علي ﷺ: «دعوة الحق: التوحيد».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «شهادة أن لا إله إلا الله»[١]. وقال قتادة: «شهادة أن لا إله إلا الله»[٢]، وبه قال الثوري، وغيره[٣].

وقال الله: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

قال مجاهد: ﴿مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ «كلمة الإخلاص»[٤].

[٩] **وهي الكلمة العليا.** قال الله تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

قال ابن عباس، قوله: ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾ [التوبة: ٤٠] وهي: «الشرك بالله». ﴿وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا﴾ [التوبة: ٤٠] «وهي لا إله إلا الله»[٥].

[١٠] **وهي الكلمة الطيبة.** ولا إله إلا الله هي «الكلمة الطيبة»، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم:٢٤] قال ابن عباس وغيره: «الكلمة الطيبة:

١- مدارج السالكين (٢/٢٩)، و«تفسير العز بن عبد السلام» (٢/١٤٩).
٢- تفسير عبد الرزاق (٢/٢٣٣).
٣- تفسير الثوري (ص١٥٣).
٤- تفسير ابن جرير (٢٠/٦٦١).
٥- تفسير ابن جرير (١١/٤٦٧).

هي لا إله إلا الله»[١].

قال ابن أبي جمرة الأندلسي في شرحه على مختصره لصحيح البخاري المسمى «بهجة النفوس وتحليها بمعرفة ما لها وما عليها»: «والكلمة الطيبة: هي كلمة الإخلاص، وهي أس الدين، وبها قوامه»[٢].

قال الشوكاني: «لما ذكر سبحانه مثل أعمال الكفار، وأنَّها كرماد اشتدّت به الريح، ثمَّ ذكر نعيم المؤمنين، وما جازاهم الله به من إدخالهم الجنة خالدين فيها، وتحية الملائكة لهم ذكر تعالى ها هنا مثلاً للكلمة الطيبة، وهي كلمة الإسلام، أي: لا إله إلاّ الله، أو ما هو أعمّ من ذلك من كلمات الخير، وذكر مثلاً للكلمة الخبيثة، وهي كلمة الشرك، أو ما هو أعم من ذلك من كلمات الشرّ»[٣].

وقد قال بعض المفسرين في قوله: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ أي: «القرآن». وقيل: «لا إله إلا الله». وقيل: «الأذكار المشروعة»[٤].

قال طاووس: «لا إله إلا الله»[٥].

وروى البخاري في «صحيحه» عن البراء بن عازب ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إذا أقعد المؤمن في قبره أتي ثم شهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً رسول الله فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾.

١- المتجر الرابح (ص٣٣٢)، وهو في «ترتيب الأمالي» (٣٠/١).
٢- (٣٦/١) ط: دار العلم للملايين.
٣- فتح القدير (١٤٤/٤).
٤- انظر: تفسير ابن كثير (سورة الحج) (٤٠٨/٥)، و«تفسير العز بن عبد السلام» (٣٤٩/٢).
٥- تفسير عبد الرزاق (٢٤٥/٢).

وقال: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة بهذا وزاد ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ «نزلت في عذاب القبر»[١].

وخرج الطبراني بإسنادٍ ضعيف، عن أم سلمة، أنَّ الحارث بن هشام أتى النبي ﷺ يوم حجة الوداع: فقال: «إنَّك تحث على صلة الرحم، والإحسان، وإيواء اليتيم، وإطعام الضعيف، والمسكين، وكل هذا كان يفعله هشام ابن المغيرة، فما ظنك به يا رسول الله؟

قال: كل قبر لا يشهد صاحبه أن لا إله إلا الله فهو حفرة من حفر النار، وقد وجدت عمي أبا طالب في طمطام من النار، فأخرجه الله بمكانه مني وإحسانه إليَّ فجعله في ضحضاح من النار»[٢].

[١١] **وهي العروة الوثقى.** قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٥٦]

عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﷺ قال: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ قال: «لا إله إلا الله». وروي عن مجاهد، وسعيد بن جبير؛ مثله»[٣].

وقال ابن عباس: «القدر: نظام التوحيد، فمن وحد الله تعالى وآمن بالقدر،

١- انظر: صحيح البخاري (١٣٠٣).

٢- رواه الطبراني في المعجم الكبير» (٩٧٢) (٢٣/٤٠٥)، وضعف ابن رجب في رسالة التخويف من النار (ضمن مجموع رسائله) (٣/٢٣١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤٦٤) (١/١١٨) «فيه عبد الله بن محمد بن عقيل، وهو منكر الحديث لا يحتجون بحديثه، وقد وثق» وقوله: (طمطام من النار) أي وسطها.

٣- انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢٦٢٤) (٢/٣٩٦).

فهي العروة الوثقى التي لا انفصام لها، ومن وحَّد الله تعالى وكذَّب بالقدر، فإن تكذيبه بالقدر نقض للتوحيد»[١].

وعن أبي جعفر، وزيد بن علي ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ [البقرة: ٢٥٦] قال: «كلمة التوحيد لا إله إلا الله»[٢].

وفي «الصحيحين» عن محمد بن سيرين قال: قال قيس بن عبَّاد: «كنت في حلقة فيها سعد بن مالك وابن عمر فمرَّ عبد الله بن سلام، فقالوا: هذا رجل من أهل الجنة، فقلت له: إنَّهم قالوا كذا وكذا.

قال: سبحان الله! ما كان ينبغي لهم أن يقولوا ما ليس لهم به علم، إنَّما رأيت كأنَّما عمود وضع في روضة خضراء فنصب فيها، وفي رأسها عروة، وفي أسفلها منصف، والمنصف الوصيف، فقيل: ارقه، فرقيت حتى أخذت بالعروة فقصصتها على رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: يموت عبد الله وهو آخذ بالعروة الوثقى»[٣].

قال ابن بطال: «وكذلك العروة بالإسلام والتوحيد، وهي العروة الوثقى»[٤].

[١٢] **وهي الحسنة الدائمة.** قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

١- الشريعة للآجري (٨٧٥/٢)، و«الإبانة» لابن بطة (١٦٣/٣).
٢- ترتيب الأمالي (١٩/١).
٣- صحيح البخاري (٦٦٠٨)، و«صحيح مسلم» (٢٤٨٤).
٤- شرح ابن بطال لصحيح البخاري (٥٣٣/٩)، وعنه البدر العيني في «عمدة القاري» (١٤٩/٢٤).

عن عبد الله بن مسعود ﷺ، في قوله: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ قال: «لا إله إلا الله».

وروي عن ابن عباس، وأبي هريرة، وعلي بن الحسين، وسعيد بن جبير، والحسن، وعطاء، ومجاهد، وأبي صالح ذكوان، ومحمد بن كعب القرظي، والنخعي، والضحاك، والزهري، وعكرمة، وزيد بن أسلم، وقتادة، نحوِ ذلك[١].

وروي عن علي بن الحسين أنَّه قال: كنت في بعض خلواتي فرفعت صوتي: بـ «لا إله إلا الله» فسمعت قائلًا يقول: إنَّها الكلمة التي قال الله فيها: «من جاء بالحسنة فله خير منها»[٢].

[١٣] **والقول السديد.** قال الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [العنكبوت: ٧٠-٧١]. قال عكرمة هو: «قول لا إله إلا الله»[٣].

[١٤] **وهي الدعوة الحسنة.** قال الله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [العنكبوت:٤٦]. قال ابن عباس ﷺ: ﴿بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ «لا إله إلا الله»[٤].

١- تفسير ابن أبي حاتم (٨١٦٥)، و«ترتيب الأمالي» (٣٦/١)، و«التفسير المأثور» (٢٩٢/٢).
٢- الجواهر الحسان (٢٦١/٤)، وذكره ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٣٢٤/٤) وفي الحسنة والسيئة ها هنا قولان: أنَّ الحسنة: «قول لا إله إلا الله». و«السيئة: الشرك»، قاله ابن مسعود، ومجاهد، والنخعي. والثاني: «أنه عام في كل حسنة وسيئة».
٣- تفسير البغوي (٦٦٨/٣).
٤- زاد المسير (٤٠٩/٣)، و«تفسير العز بن عبد السلام» (٥١٣/٢).

[١٥] **وهي كلمة الاستقامة**. سُئِلَ صديق الأمة وأعظمها استقامة أبو بكر الصديق ﷺ عن الاستقامة فقال: «أنْ لا تشركَ بالله شيئًا»، يريد الاستقامة على محض التوحيد.

وقال مجاهد: «استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله»[١].

[١٦] **وهي القول اللين**. قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه:٤٤]. قال ابن عباس في قوله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا﴾ قال: «لا إله إلا الله».

[١٧] **وهي منتهى الصواب**. قال الله سبحانه: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾

قال ابن عباس في قوله: ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾: «شهادة أن لا إله إلا الله»[٢].

[١٨] **وهي كلمة الإخلاص**. عن حمران بن أبان أنَّ عثمان بن عفان ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنِّي لأعلم كلمة لا يقولها عبد حقًا من قلبهِ إلا حرِّم على النَّار.

فقال له عمر بن الخطاب: أنا أحدثك ما هي؟ هي كلمة الإخلاص التي ألزمها الله تبارك وتعالى محمد ﷺ وأصحابه، وهي كلمة التقوى التي ألاص عليها نبي الله ﷺ عمه أبا طالب عند الموت: شهادة أن لا إله إلا الله»[٣].

١- مدارج السالكين (٢/١٠٤).

٢- انظر: الدر المنثور (٨/٤٠١)، و«تفسير العز» (٣/٤١٣)، وعزاه السيوطي (لابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي في الأسماء والصفات)، وهو في «ترتيب الأمالي» (١/٢٣).

٣- رواه أحمد في «المسند» (٤٤٧)، والحاكم في «المستدرك» (١/٣٥١) وقوله: (التي ألاصَ عليها)، أي: أداره عليها، وراوده فيها، ورواه الحارث كما في «بغية الباحث» (١/١٤٧)، وابن حبان في

وعن ابن عباس: أنَّ رجلين اختصما إلى النبي ﷺ، فسأل النبي ﷺ الطالب البينة، فلم تكن له بينة، فاستحلف المطلوب فحلف بالله الذي لا إله إلا هو، فقال رسول الله ﷺ: «بلى قد فعلت، ولكن غفر لك بإخلاص قول لا إله إلا الله»[(١)].

وعن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «حضر ملك الموت عليه السلام رجلًا يموت فلم يجد فيه خيرًا، وشق عن قلبه فلم يجد فيه شيئًا، ثمَّ فك عن لحييه فوجد طرف لسانه لاصقًا بحنكه يقول: لا إله إلا الله، فغفر الله له بكلمة الإخلاص»[(٢)].

قال عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ: «إنَّ العبد إذا قال: سبحان الله، فهي صلاة الخلائق، وإذا قال: الحمد لله، فهي كلمة الشكر التي لم يشكر الله عبد

«صحيحه» (٢٠٤)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٧٧٤/٢) بدون كلام عمر ﷺ، وقال البوصيري عن إسناد الحارث كما في «إتحاف المهرة» (٤١٣/٦): «إسناد صحيح».

١- رواه أبو داود في «سننه» (٣٢٧٥)، النسائي في «الكبرى» (٥٩٦٣) و (٥٩٦٤)، وهو في «مسند أحمد» (٢٢٨٠) و إسناده ضعيف، وهو عند البزار في «مسنده» (٢١٧٧) من حديث عبد الله بن الزبير ﷺ. ورواه أبو طاهر في «المخلصيات» (١٨٩١) عن أبي البختري، عن عبيدة، عن عبدالله بن الزبير، عن النبي ﷺ، «أنَّ رجلًا حلف بالله الذي لا إله إلا هو كاذبًا فغفر له». قال شعبة: «من قبل التوحيد»، ورواه بهذا اللفظ النَّسائي (٥٩٦٢)، والضياء في «المختارة»، ورواه النسائي بلفظٍ (٥٩٦٣) «ادفع حقه وستكفر عنك لا إله إلا الله ما صنعت»، قال أبو عبد الرحمن: هذا الصواب، ولا أعلم أحدًا تابع شعبة على قوله، عن أبي البختري، عن عبيدة، عن ابن الزبير، قال أبو عبد الرحمن: تابعه أبو الأحوص على إسناده، وخالفه في لفظه.

٢- قال الشيخ ناصر الدين في «الضعيفة» (٢٥٩٠)، رواه المحاملي في «الثالث من الأمالي» (١/٣٠)، والخطيب في «التاريخ» (١٢٥/٩)، والديلمي (٩٧/٢)، والضياء في «المختارة» (١/٩٨/١٠) ورواه أبو حاتم الرازي في «كتاب الزهد» (٢/٢)، وابن أبي الدنيا في «المحتضرين» (٢/٢). قال الشيخ: «والحديث منكر عندي يناقض بعضه آخره، لأن قوله: لا إله إلا الله، لا ينفعه ما دام لم يوجد في قلبه شيء من الإيمان إلا على مذهب بعض المرجئة الغلاة الذين لا يشترطون مع القول الإيمان القلبي. فتأمل».

قط حتى يقولها، وإذا قال: لا إله إلا الله، فهي كلمة الإخلاص التي لم يقبل الله من عبد قط عملًا حتى يقولها، وإذا قال: الله أكبر، ملأ ما بين السماء والأرض، وإذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، قال الله: تعالى: أسلم واستسلم»[١].

وعن مجاهد، عن ابن عباس قال: «من قال لا إله إلا الله فليقل على إثرها الحمد لله رب العالمين، فذلك قوله عز وجل: ﴿فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾»[٢].

وقال ابن عباس ﷺ: «كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله»[٣].

وقال العز في تفسير قول الله سبحانه: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة:٥]. «مقرين له بالعبادة أو ينوون بعبادتهم وجهه أو إذا قال لا إله إلا الله قال على أثرها الحمد لله»[٤].

[١٩] **وهي من النِّعم الظاهرة والباطنة.** عن مقاتل بن حيان في قول الله: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠] قال: «أمَّا الظاهرة فالإسلام، وأمَّا الباطنة فستره عليكم بالمعاصي».

وقال سفيان بن عيينة: «ما أنعم الله على العباد نعمة مِن أن عرفهم أن لا إله إلا الله، قال: وإنَّ لا إله إلا الله لهم في الآخرة كالماء في الدنيا»[٥].

١- حلية الأولياء (١٧/٩).
٢- تفسير البغوي (١٢٢/٤).
٣- ترتيب الأمالي للشجري (١٩/١).
٤- تفسيره (٤٧٦/٣).
٥- رواهما ابن أبي الدنيا في «الشكر» الأثر الأول رقم (١٨٣) والثاني (٩٦) ط: المكتب الإسلامي. وفي ط: أطلس الخضراء الأول (٩٣) و(١٨٣) والثاني (٩٤) (من مجموع رسائل ابن أبي الدنيا).

قال مجاهد في قوله: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ «لا إله إلا الله»[١].

[٢٠] **وهي أحسن القول.** قال الله: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر:١٨].

قال ابن زيد: «نزلت والذين اجتنبوا الطاغوت الآيتان، في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله، زيد بن عمرو بن نفيل وأبو ذر الغفاري وسلمان الفارسي».

قال البغوي: «والأحسن: قول لا إله إلا الله»[٢].

وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء:٥٣]. قال الثعالبي: قالت فرقة: «هي لا إله إلا الله»[٣].

[٢١] **وهي الكلمة الباقية.** عن مجاهد ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ قال: «لا إله إلا الله».

وعن سفيان، عن ليث، عن عكرمة ﴿جَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً﴾ قال: «لا إله إلا الله»[٤].

[٢٢] **وهي الكلم الطيب.** قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعاً إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

١- تفسير الثوري (ص٢٣٨)، وهو قول ابن عباس كما في «ترتيب الأمالي» للشجري (٢٢/١).
٢- تفسيره (٨٣/٤).
٣- الجواهر الحسان في تفسير القرآن (٤٧٩/٣).
٤- تفسير الثوري (ص ٢٧٠).

قال علي بن المديني: الكِلَم الطَّيِّب: «لا إله إلا الله»، والعمل الصالح: أداء الفرائض واجتناب المحارم[١].

[٢٣] **والدين الواصب**. قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ ما فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ واصِباً أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ [النحل: ٥٢]. قال عكرمة: في قوله: ﴿وَلَهُ الدِّينُ واصِباً﴾ «شهادة أن لا إله إلاّ الله، وإقامة الحدود، والفرائض»[٢].

[٢٤] **وهي الكلمة التي لأجلها خُلق الخلق**. كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. أي إلا ليوحدون.

[٢٥] **ولأجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب**. قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال الله حكاية عن عيسى عليه السلام: ﴿إِنِي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

قال الحافظ ابن كثير: وكان أول كلمة نطق بها وهو صغير في المهد أنْ قال: ﴿إِنِي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ ولم يقل: أنا الله، ولا ابن الله، بل قال: ﴿إِنِي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

١- زاد المسير (٥٠٧/٣).
٢- زاد المسير (٥٦٤/٢) وواصبًا (قيل: دائمًا، وقيل: واجبًا، وقيل: خالصًا).
٣- تفسير ابن كثير (١٥٧/٣).

وهذه الآية أول ما عدَّد الله عَلَى عباده من النعم في سورة النعم التي تسمى (سورة النَّحل).

ولهذا قال ابن عيينة: «ما أنعم الله عَلَى العباد نعمةً أعظم من أن عرَّفهم لا إله إلا الله، وإنَّ لا إله إلا الله لأهل الجَنَّةِ كالماء البارد لأهل الدُّنيَا، ولأجلها أعدت دارُ الثواب ودار العقاب في الآخرة»[١].

وقال ابن أبي العز الحنفي: «التوحيدُ أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله ﷻ»[٢].

[٢٦] **وهي العهد الذي اتخذه المؤمنون عند خالقهم**. قال تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٧٨].

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ «العهد: شهادة أن لا إله إلا الله، ويتبرأ إلى الله من الحول والقوة، ولا يرجو إلا الله»[٣]، وهو قول علي رضي الله عنه[٤].

وقال محمد بن كعب القرظي في قوله: ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾. قال: «شهادة أن لا إله إلا الله»، ثم قرأ: ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾[٥].

١- كلمة الإخلاص (٣/٧٤-٧٥)، و(٢/٣٨٥)، وانظر: تفسير ابن رجب (٢/٦٤).
٢- شرح الطحاوية (ص٧٧) ط: السلام.
٣- رواه ابن جرير في «تفسيره» (١٥/٦٣٣)، وابن كثير في «تفسيره» (٥/٢٦٥).
٤- ترتيب الأمالي (٤٧) (١/٢٢).
٥- تفسير ابن كثير (٥/٢٦٥).

[٢٧] **وهي العدل الذي أمر الله به.** قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل:٩٠].قال ابن عباس: «شهادة أن لا إله إلا الله»[١].

[٢٨] **وهي الصدق الذي جاء به النبي** ﷺ، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣].

قال ابن عباس: «لا إله إلا الله»، وبه قال سعيد بن جبير[٢].

[٢٩] **وهي من أسباب قبول الشفاعة،** قال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء:٢٨]. قال ابن عباس: «الذين ارتضى لهم شهادة أن لا إله إلا الله»[٣].

[٣٠] **وهي علامة الرشاد،** قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ [هود:]. قال ابن عباس: «واحد يقول: لا إله إلا الله»[٤].

[٣١] **وهي كلمة الفلاح،** قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى: ١٤] قال ابن عباس: «من قال لا إله إلا الله».

[٣٢] **وهي زكاة النفس،** قال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [فصلت: ٧] قال ابن عباس: «الذين لا يقولون لا إله إلا الله».

وقال: ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ [النازعات: ١٨] قال ابن عباس: «إلى أن تقول لا إله إلا الله»[٥].

١- تفسير ابن جرير (١٤/٣٣٥).
٢- زاد المسير (٤/ ١٨).
٣- المصدر نفسه (١٦/ ٢٥٢).
٤- الأسماء والصفات للبيهقي (١/٢٧١).
٥- المصدر نفسه.

والمراد بقوله: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [فصلت: ٦] قال ابن عباس والجمهور: الزكاة في هذه الآية: لا إله إلا الله التوحيد كما قال موسى لفرعون: ﴿هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾ [النازعات: ١٨] ويرجح هذا التأويل أن الآية مكية، وزكاة المال إنما نزلت بالمدينة وإنما هذه زكاة القلب والبدن، أي: تطهيره من المعاصي(١).

[٣٣] **وهي الإحسان الذي يجزي عليه العبد**، قال الله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

قيل: هل جزاء التوحيدِ إلاَّ الجنةُ، أي: هل جزاءُ مَنْ قال: لا إله إلا الله إلّا دخول الجنّة.

ثانيها: هل جزاءُ الإحسان في الدنيا إلاَّ الإحسانُ في الآخرة.

ثالثها: هل جزاء مَنْ أحسنَ إليكم بالنعم في الدنيا إلاَّ أَنْ تَحْسِنُوا له العبادَةَ والتقوى.وأمَّا الأقرب فهو التعميم، أي: لأنَّ لفظ الآية عامٌّ(٢).

[٣٤] **وهي كلمة تحط الذنوب**، والمراد من قول الله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨].

قال عكرمة: «لا إله إلا الله».

قال ابن جرير الطبري: فيكون المعنى: قولوا الذي يحط عنكم خطاياكم، وهو قول: «لا إله إلا الله»(٣).

١- الجواهر الحسان للثعالبي (١٢٦/٥).
٢- المصدر السابق (٣٥٦/٥).
٣- زاد المسير (٦٩/١)، وقيل من معانيها (استغفروا، وقيل: قولوا: هذا الأمر حق كما قيل لكم).

[٣٥] **وهي المراد بقوله:** ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٥].

قوله تعالى: ﴿قل إنما أعظكم﴾ أي: آمركم وأوصيكم بواحدة، قال مجاهد: أنها «لا إله إلا الله»[١].

[٣٦] **وهي الكلمة الباقية،** قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

قال أبو الفرج ابن الجوزي: قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا﴾ يعني كلمة التوحيد، وهي: «لا إله إلا الله»، كلمة باقية ﴿فِي عَقِبِهِ﴾ أي: فيمن يأتي بعده من ولده، فلا يزال فيهم موحد لعلهم يرجعون إلى التوحيد كلهم إذا سمعوا أن أباهم تبرأ من الأصنام ووحد الله عز وجل[٢].

١- زاد المسير (٥٠٣/١).

٢- زاد المسير (٧٦/٤).

القسم الثالث

تتمة مهمة تتعلق بكلمة التوحيد.

(باب بيان بأنَّ التوحيد حق لله على العبيد)

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [الإسراء: ٢٤].

يقول تعالى: «آمرًا بعبادته وحده لا شريك له؛ فإنَّ القضاء هاهنا بمعنى الأمر»[١].

وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

(باب فضل التوحيد)

قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

وعن علقمة، عن عبد الله قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾. قال أصحاب رسول الله ﷺ أيُّنا لم يظلم؟ فأنزل الله ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٢].

وعن عبد الله رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أيُّنا لم يلبس إيمانه

١- تفسير ابن كثير (٥/٦٤).

٢- رواه البخاري في «صحيحه» (٣٢)، ومسلم (١٩٧)، وقد كرره البخاري في "صحيحه" في سبعة مواضع، قوله: (يلبسوا) يخلطوا. قوله: (فأنزل الله إن الشرك) أي فبين الله تعالى أنَّ المراد بالظلم الشرك.

بظلم؟ فقال رسول الله ﷺ: إنَّه ليس بذاك، ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[١].

وقال عبد الله رضي الله عنه: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾ [الأنعام: ٨٢] إيمانهم بظلم شق ذلك على الناس، وقالوا: يا رسول الله، فأينا لا يظلم نفسه؟ قال: إنَّه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] إنما هو الشرك[٢].

(باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله)

وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا رضي الله عنه على اليمن، قال: «إنَّك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله، فإذا عرفوا الله، فأخبرهم أنَّ الله قد فرض عليهم خمس صلواتٍ في يومهم وليلتهم، فإذا فعلوا، فأخبرهم أنَّ الله فرض عليهم زكاة من أموالهم وترد على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها، فخذ منهم وتوق كرائم أموال الناس»[٣].

وفي الحديث: «أنَّ السنَّة أنَّ الكفار يدعون إلى التوحيد قبل القتال.

وفيه: أنَّه لا يحكم بإسلامه إلا بالنُّطقِ بالشهادتين، وهذا مذهب أهل السنَّة»[٤].

١- رواه البخاري في «صحيحه» (٤٤٩٨).
٢- رواه أحمد في «مسنده» (٣٥٨٩) و(٤٠٣١) و (٤٢٤٠).
٣- رواه البخاري في «صحيحه» (١٤٥٨) ومسلم (٣١).
٤- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (١/١٩٣).

(باب في التحذير من جحد شيء من آيات القرآن)

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال ابن عباس ﷺ: «أنَّ إلحادهم في أسمائه أنهم سمَّوا بها أوثانهم، وزادوا فيها ونقصوا منها، فاشتقوا اللات من الله، والعزَّى من العزيز، ومناة من المنَّان»[١].

وروى عبد الرزاق، عن معمر، عن ابن طاوس عن أبيه، عن ابن عباس أنَّه رأى رجلًا انتفض لما سمع بحديث أبي هريرة ﷺ، حديثًا عن النبي ﷺ في الصفات -استنكارا لذلك- فقال: «ما فرق هؤلاء؟ يجدون رقة عند محكمه، ويهلكون عند متشابهه»[٢].

وقوله: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾، قرأ حمزة يلحدون بفتح الياء والحاء حيث كان، ومعنى الإلحاد: هو الميل عن القصد، يقال: ألحد يلحد إلحادًا، ولحد يلحد لحودًا إذا مال.

قال يعقوب بن السكيت: الإلحاد هو العدول عن الحق وإدخال ما ليس منه فيه، يقال: ألحد في الدين ولحد به. وقرأ حمزة: وذروا الذين يلحدون في أسمائه: هم المشركون عدلوا بأسماء الله تعالى عما هي عليه، فسموا بها أوثانهم فزادوا ونقصوا[٣].

١- زاد المسير (١٧٢/٢)، و«تفسير الشوكاني» (٣٠٥/٢).
٢- مصنف عبد الرزاق (٢٠٨٩٥).
٣- معالم التنزيل (٢٥٤/٢).

(باب الخوف من الشرك)

قال الخليل عليه السلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

وقال الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

قال ابن عباس في الآية: «الأنداد: هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل».

وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلانة، وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلانا؛ هذا كله به شرك»[(١)].

١- تفسير ابن أبي حاتم (٢٢٩). في كتاب «المسلك الرشيد في شرح كتاب التوحيد» (١/٢٤٥-٢٤٦) (بداية الشرك في بني آدم):

سبق التأكيد على أنَّ الأصل في بني آدم: التوحيد، وأنَّ الشرك طارئ عليهم، وقد اختلفت الأقوال في تحديد بداية الانحراف إلى الشرك على أقوال متعددة: «

القول الأول: أنَّ أول حدوث الشرك كان من قابيل بن آدم، وأنَّه كان يعبد النَّار.

القول الثاني: أنَّ أول حدوث الشرك كان في زمن إدريس عليه السلام، ونقله الطبري عن ابن عباس، واختاره الطوفي.

وهذا القول غير صحيح؛ لأنَّه لا دليل عليه، وأمَّا ما روي عن ابن عباس فإنَّه لا يصح عنه، وهو معارض في الوقت نفسه بما هو أصح منه كما سيأتي.

القول الثالث: أنَّ أول حدوث للشرك كان من آدم نفسه، فإنَّه أطاع الشيطان وسمى ولده عبد الحارث.

وهذا القول غير صحيح، وأنَّه على التسليم بصحة نسبته إلى آدم: شرك في الطاعة وليس شركًا في العبادة، فمنتهى ما وقع منه لا يصل إلى الشرك الأكبر، وإنَّما هو من جنس المعاصي.

القول الرابع: أنَّ أول حدوث للشرك كان في زمان نوح عليه السلام، وهذا القول مروي عن ابن عباس بسندٍ صحيح، فقد قال ﷺ عن الأصنام التي ذكرت في سورة نوح: (أسماء رجال صالحين

(باب في بيان أنَّ الشرك من أكبر الكبائر)

عن عبد الله، قال: سألت رسول الله ﷺ أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: «أن تجعل لله ندًا وهو خلقك» قال: قلت له: إنَّ ذلك لعظيم، قال: قلت: ثمَّ أي؟ قال: «ثمَّ أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك» قال: قلت: ثمَّ أي؟ قال: «ثمَّ أن تزاني حليلة جارك»[(١)].

وعن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» ثلاثًا، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «الإشراك بالله، وعقوق الوالدين -وجلس وكان متكئًا فقال-: ألا وقول الزور»، قال: فما زال يكررها

من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت) ، وهذا القول الأقرب إلى الصواب.

ومن خلال هذا القول يظهر أنَّ السبب الأول في حدوث الشرك يرجع إلى الغلو في الصالحين، وهذا يدل على خطر هذا السبب —وينضاف إليه التعلق بالنجوم والكواكب- وفي ضرورة التنبه له، يقول ابن تيمية: **الشرك في بني آدم أكثره عن أصلين:**

أولهما: تعظيم قبور الصالحين وتصوير تماثيلهم للتبرك بها، وهذا أول الأسباب التي بها ابتدع الآدميون الشرك، وهو شرك قوم نوح.

والسبب الثاني: عبادة الكواكب، فكانوا يصنعون للأصنام طلاسم للكواكب ويتحرون الوقت المناسب لصنعة ذلك الطلسم، ويصنعونه من مادة تناسب ما يرونه من طبيعة ذلك الكوكب، ويتكلمون عليها بالشرك والكفر، فتأتي الشياطين فتكلمهم وتقضي بعض حوائجهم، ويسمونها روحانية الكواكب، وهي الشيطان أو الشيطانة التي تضلهم».

١- رواه البخاري في «صحيحه» (٤٤٧٧)، ومسلم (١٤١) واللفظ له. قوله: (أعظم) أكثر إثمًا وعقابًا. قوله: (ندًا) أي شريكًا، والنِّدُ المثل والنظير.

قوله: (أن يطعم معك) أن يأكل معك وهو عنوان شدة البخل المتنافي مع الإيمان إلى جانب الإخلال باعتقاد أنَّ الله تعالى هو الرزاق مع فظاعة قتل النفس بغير حق وكلها آثام تستحق العقاب الشديد.

قوله: (تزاني) تزني فيها برضاها وهذا يدل على أنه سلك معها مسالك الخداع حتى أغراها به وأفسد على زوجها فراشه واستقراره. (حليلة) زوجة سميت بذلك لأنَّها تحل له.

حتى قلنا: ليته سكت[١].

وعن أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ، قال: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وقول الزور، أو قال: وشهادة الزور»[٢].

وقال ابن مسعود ﷺ: «أكبر الكبائر: الإشراك بالله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله»[٣].

١- رواه البخاري في «صحيحه» (٢٦٥٤)، ومسلم (١٤٣).
٢- رواه البخاري في «صحيحه» (٦٩١٩).
٣- المصنف لعبد الرازق (١٩٧٠١).

(باب النهي عن الحلف بغير الله)

عن نافع، عن عبد الله، عن رسول الله ﷺ أنَّه أدرك عمر بن الخطاب في ركب، وعمر يحلف بأبيه، فناداهم رسول الله ﷺ: «ألا إنَّ الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت»[١].

وعن سعد بن عبيدة، أنَّ ابن عمر سمع رجلًا يقول: لا والكعبة، فقال ابن عمر: لا يحلف بغير الله، فإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»[٢].

وعن سعد بن عبيدة قال: جلست أنا ومحمد الكندي إلى عبد الله بن عمر، ثم قمت من عنده، فجلست إلى سعيد بن المسيب، قال: فجاء صاحبي وقد اصفر وجهه وتغير لونه، فقال: قم إلي، قلت: ألم أكن جالسًا معك الساعة؟ فقال سعيد: قم إلى صاحبك، قال: فقمت إليه. فقال: ألم تسمع إلى ما قال ابن عمر؟ قلت: وما قال؟ قال: أتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن أعلي جُناح

١- رواه البخاري في «صحيحه» (٦١٠٨)، ومسلم (١٦٤٦)، واللفظ له، وهو عند أبي داود في «سننه» (٣٢٤٩)، والنسائي في «الكبرى» (٧٦١٦)، وابن ماجه في «سننه» (٢٠٩٤)، وهو عند أحمد في «مسنده» (٤٦٧٦) بلفظ: «لا تحلفوا بآبائكم، ليحلف حالف بالله أو ليسكت».

٢- رواه أبو داود في «سننه» (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥)، وقال: هذا حديث حسن وفسر هذا الحديث عند بعض أهل العلم: أن قوله «فقد كفر أو أشرك» على التغليظ، والحجة في ذلك حديث ابن عمر، أن النبي ﷺ سمع عمر يقول: وأبي وأبي، فقال: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم»، وحديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنَّه قال: من قال في حلفه واللات، والعزى فليقل: لا إله إلا الله: هذا مثل ما روي عن النبي ﷺ أنَّه قال: «إن الرياء شرك» وقد فسر بعض أهل العلم هذه الآية: {فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا} [الكهف: ١١٠] الآية، قال: لا يرائي.
وهو في «مستخرج أبي عوانة» (٥٩٦٧)، وصححه ابن حبان (٤٣٥٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤٥) و(١٦٩) و(٧٨١٤)، وابن بشران في «الأمالي» (١٢٢٦)، والبغوي في «شرح السنة» (٤٣٥٨).

أن أحلف بالكعبة؟ قال: ولم تحلف بالكعبة؟ إذا حلفت بالكعبة فاحلف برب الكعبة، فإن عمر كان إذا حلف قال: كلا وأبي فحلف بها يومًا عند رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: لا تحلف بأبيك، ولا بغير الله، فإنه من حلف بغير الله فقد أشرك»[١].

وعن سالم بن عبد الله، عن أبيه، قال: سمعت عمر بن الخطاب، يقول: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم»، قال عمر: «فوالله ما حلفت بها منذ سمعت رسول الله ﷺ نهى عنها ذاكرًا، ولا آثرًا»[٢].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحلفوا بآبائكم، ولا بأمهاتكم، ولا بالأنداد، ولا تحلفوا إلا بالله، ولا تحلفوا إلا وأنتم صادقون»[٣].

وعن عبد الرحمن بن سمرة، عن النبي ﷺ، قال: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغي»[٤]. قال علان: بالطواغيت.

وعن ابن عمر، قال: سمع النبي ﷺ رجلًا يحلف بأبيه فقال: «لا تحلفوا بآبائكم، من حلف باللهِ فليصدُق، ومن حُلِفَ له بالله فليرض، ومن لم يرضَ بالله فليس

١- رواه أحمد في مسنده (٥٣٧٥) وإسناده ضعيف، وله شاهد في المسند (٦٠٧٢).

٢- رواه مسلم (١٦٤٦)، وأبو داود في «سننه» (٣٢٥٠)، والترمذي في «سننه» (١٥٣٣)، وابن ماجه «سننه» (٢٠٩٤)، قال أبو عبيد: معنى قوله «ولا آثرا»، أي: لم آثره عن غيري، يقول: لم أذكره عن غيري.

٣- رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤٣٥٧)، وأبو داود في «سننه» (٣٢٤٨)، والنسائي في «الكبرى» (٤٦٩٢)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦٠٤٨) وسنده صحيح.

٤- رواه مسلم في «صحيحه» (١٦٤٨)، وأبو عوانة في «مستخرجه» (٥٩١١)، وهو عند أحمد في «مسنده» (٢٠٦٢٤)، والنسائي في «الكبرى» (٤٦٩٧)، وابن الجارود في «المنتقى» (٩٢٣)، والطبراني في «الكبير» (٧٠٣١)، والبيهقي في «السنن الصغير» (٤٣٥٧)، عن الحسن عن سمرة رضي الله عنه.

من الله»[١].

عن وبرة، قال: قال عبد الله ﷺ: «لأن أحلف بالله كاذبًا أحبُّ إليَّ من أن أحلف بغيره وأنا صادق»[٢].

(باب النهي عن الإكثار من الحلف بالله)

قال الله تعالى: ﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الحلف منفقة للسلعة، ممحقة للربح»[٣].

وعن سلمان الفارسي ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: أُشيمطٌ زان، وعائلٌ مستكبر، ورجل جعل الله بضاعته: لا يشتري إلا بيمينه، ولا يبيع إلا بيمينه»[٤].

١- رواه ابن ماجه في «سننه» (٢١٠١)، والبيهقي في «الكبرى» (٤٦٩٢)، وقال الشوكاني في «السيل الجرار» (ص٧٥٩) «رجاله ثقات».

٢- رواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢٤١٤)، وعبد الرزاق في المصنف (١٥٩٢٩) إلا أنَّ وبرة. قال عبد الله: لا أدري ابن مسعود أو ابن عمر، وهو عند ابن أبي شيبة عن ابن مسعود ﷺ. وانظر: إرواء الغليل (٢٥٦٢).

٣- رواه البخاري في «صحيحه» (٢٠٨٧)، ومسلم (١٦٠٦)، وأبو داود في «سننه» (٣٣٣٥)، والنسائي في «المجتبى» (٤٤٦١)، كلاهما بدل (الربح)، (الكسب).

٤- رواه الطبراني في «الكبير» (٦١١١)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦٣٣٤)، رواه الطبراني في الثلاثة إلا أنه قال في الصغير والأوسط: «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم» فذكره ورجاله رجال الصحيح.

(باب في الكفر بالطاغوت)

قال الله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيداً﴾ [النساء: ٦٢].

وعن جعفر، عن أبيه، قال: «كان علي بن الحسين يعلم ولده يقول: قل آمنت بالله وكفرت بالطاغوت»[(١)].

(باب في بيان أنَّ الحكم لله)

قال الله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

قال الشعبي: كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودي: نتحاكم إلى محمد -ﷺ- لأنَّه عرف أنَّه لا يأخذ الرشوة. وقال المنافق: نتحاكم إلى اليهود لعلمه أنَّهم يأخذون الرشوة. فاتفقا أن يأتيا كاهنًا في جهينة فيتحاكما إليه، فنزلت: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ [النساء: ٦٠].

١- المصنف لابن أبي شيبة (٣٥١٨). - قيل: الطاغوت: الكاهن الذي ينزل عليه الشيطان، قال جابر رضي الله عنه: «كانت الطواغيت التي يتحاكمون إليها: في جهينة واحد، وفي أسلم واحد، وفي كل حي واحد، كهان ينزل عليهم الشيطان».

٢ - وقيل الطاغوت: الشيطان، قال عمر رضي الله عنه : «الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان». وقال عكرمة: «الجبت بلسان الحبشة: شيطان، والطاغوت: الكاهن».

٤ - وقيل: الطاغوت: الأنداد، والأوثان، وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله تعالى.

٥ - وأجمع ما قيل في تعريف الطاغوت اصطلاحًا ما ذكره ابن القيم، بقوله: «والطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع». رسالة الطاغوت للشيخ سعيد بن وهف القحطاني (ص٦- ٧).

(باب في التحذير من الهزو بالله وآياته ورسوله)

قال الله: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥].

وسبب نزول هذه الآية على ما قاله الكلبي ومقاتل وقتادة: أنَّ النبي ﷺ كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان يستهزئان بالقرآن والرسول، والثالث يضحك. قيل: كانوا يقولون: إنَّ محمدًا يزعم أنَّه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما أبعده من ذلك.

وقيل: كانوا يقولون: إنَّ محمدًا يزعم أنَّه نزل في أصحابنا المقيمين بالمدينة قرآن، وإنَّما هو قوله وكلامه، فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك فقال: احبسوا علي الركب، فدعاهم وقال لهم: قلتم كذا وكذا، فقالوا: إنَّما كنَّا نخوض ونلعب، أي كنَّا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعل الركب لقطع الطريق بالحديث واللعب[1].

وقال أبو معشر المديني عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا: قال رجل من المنافقين: ما أرى قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطونا، وأكذبنا ألسنة، وأجبننا عند اللقاء. فرفع ذلك إلى رسول الله ﷺ، فجاء إلى رسول الله وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رسول الله، إنما كنَّا نخوض ونلعب. فقال: ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ إلى قوله: ﴿مُجْرِمِينَ﴾ وإنَّ رجليه لتنسفان

١- معالم التنزيل (٣٦٦/٢) وسنده ضعيف.

الحجارة وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ، وهو متعلق بنسعة رسول الله ﷺ [١].

قال ابن إسحاق: وقد كان جماعة من المنافقين منهم وديعة بن ثابت، أخو بني أمية بن زيد، من بني عمرو بن عوف، ورجل من أشجع حليف لبني سلمة يقال له: مخشن بن حمير يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك، فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضًا؟ والله لكأنا بكم غدا مقرنين في الحبال، إرجافًا وترهيبًا للمؤمنين، فقال مخشن بن حمير: والله لوددت أنَّي أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة، وإما ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه. وقال رسول الله ﷺ -فيما بلغني- لعمار بن ياسر: «أدرك القوم، فإنهم قد احترقوا، فسلهم عمَّا قالوا، فإن أنكروا فقل: بلى، قلتم كذا وكذا». فانطلق إليهم عمار، فقال ذلك لهم، فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه، فقال وديعة بن ثابت، ورسول الله ﷺ واقف على راحلته، فجعل يقول وهو آخذ بحقبها: يا رسول الله، إنما كنا نخوض ونلعب، فأنزل الله، عز وجل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ فقال مخشن بن حمير: يا رسول الله، قعد بي اسمي واسم أبي. فكان الذي عفي عنه في هذه الآية مخشن بن حمير، فتسمى عبد الرحمن، وسأل الله أن يقتل شهيدًا لا يعلم بمكانه، فقتل يوم اليمامة، فلم يوجد له أثر [٢].

١- تفسير ابن كثير (٤/١٧١-١٧٢)، وانظر: تفسير ابن جرير (١١/٥٤٣-٥٤٥).

٢- ذكره ابن هشام في «سيرته» (٤/٢٦٣)، ط: دار الفاروق، وروى بعضه ابن جرير في «تفسيره» (١١/٥٤٦-٤٥٧)، من طريق سلمة بن الفضل عن إسحاق بلاغًا أيضًا.

وأسنده عبد الله بن إدريس الأودي عند ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/١٨٣١)، عن ابن إسحاق قال: حدثني الزهري، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه، عن جده كعب،

(باب في التحذير من السحر)

﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقوله ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء: ٥١].

عن قطن بن قبيصة عن أبيه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «العيافة والطيرة والطرق من الجبت» الطرق: الزجر، والعيافة: الخط[١].

قال عوف: «العيافة»: زجر الطير، و«الطرق»: الخط يخط في الأرض، و«الجبت»: من الشيطان[٢].

والعيافة: بكسر العين، زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها، وهو من عادة العرب كثيرًا، وهو كثير في أشعارهم، يقال: عاف يعيف عيفا: إذا زجر وحدس وظن[٣].

وأمَّا (الطرق) فإنَّه الضرب بالحصى، ومنه قول لبيد:

لعْمرُكَ ما تَدْري الطَّوارِقُ بالحصَى ... ولا زاجِراتُ الطَّيرِ ما اللهُ صانِعُ[٤]

قال واصل: الطرق الضرب، ومنه سميت مطرقة الصائغ والحداد؛ لأنَّه يطرق بها، أي: يضرب بها[٥].

فإن كان محفوظًا لابن إسحاق، فهو إسناد صحيح كما قاله المحقق.

١- رواه أبو داود في «سننه» (٣٩٠٧)، النسائي في «الكبرى» (١١٠٤٣)، وأحمد في «مسنده» (١٥٩١٥)، وإسناده ضعيف.

٢- رواه أبو داود في «سننه» (٣٩٠٨).

٣- النهاية لابن الأثير (٣/٣٣٠).

٤- ديوانه (ص٩٠).

٥- معالم السنن للخطابي (٤/١٥٣) ط: الرسالة.

عن نافع، عن صفية، عن بعض أزواج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من أتى عرافا فسأله عن شيء، لم تقبل له صلاة أربعين ليلة»[١].

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من أتى حائضًا، أو امرأة في دبرها، أو كاهنًا، فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد»[٢]، وعند أحمد: «فقد برئ مما أنزل على محمد»[٣].

والكاهن: هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار، ومطالعة علم الغيب، وكان في العرب كهنة يدعون معرفة الأمور، فمنهم من كان يزعم أنَّ له رئيسًا من الجن، وتابعة تلقي إليه الأخبار، ومنهم من كان يدعي أنَّه يستدرك الأمور بفهم أعطيه.

والعراف: هو الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها، كالمسروق من الذي سرقها، ومعرفة مكان الضالة، وتتهم المرأة بالزنى، فيقول: من صاحبها؟ ونحو ذلك من الأمور.

ومنهم من يسمِّي المنجم كاهنًا[٤].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ «إشارةً إلى أنَّ تعلم السحر كفر!»[٥].

وقال ابن قدامة رحمه الله: «تعلم السحر وتعليمه حرام. وقال أصحابنا: ويكفر

١- رواه مسلم في «صحيحه» (٢٢٣٠).
٢- رواه ابن ماجه في «سننه» (٦٣٩).
٣- المسند (٩٢٩٠).
٤- شرح السنة للبغوي (١٨٢/١٢).
٥- [سورة البقرة:١٠٢]، وكلامه في فتح الباري (٢٢٥/١٠).

بتعلمه وتعليمه»[١].

(باب ما جاء في النهي عن التطير)

وقول الله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١].

وقوله: ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ﴾ [يس: ١٩].

وعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر»[٢].

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهنَّ: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة». وقال: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب»[٣].

١- المغني (١٠/١٠٦).

٢- رواه البخاري في صحيحه (٥٧٥٧)، ومسلم (١٢٠) (٢٢٢٠)، وللحديث شواهد، منها: ما رواه البخاري في صحيحه (٥٧٥٣)، ومسلم (١١٦) (٢٢٢٥)، عن ابن عمر، رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة، والشؤم في ثلاث: في المرأة، والدار، والدابة».
وما رواه البخاري في «صحيحه (٥٧٥٦) (٥٧٧٦)، ومسلم (١١٢) (٢٢٢٤) عن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل الصالح: الكلمة الحسنة».

٣- رواه مسلم في «صحيحه» (٩٣٤)، وأحمد في «مسنده» برقم (٢٢٩١٢) واللفظ له، وصححه ابن حبان (٣١٤٣)، وهو في «المستخرج» لأبي نعيم (٢٠٨٥). وهو في «المسند» (٩٨٧٢) من رواية أبي هريرة ﷺ، وهو عند الترمذي في «سننه» (١٠٠١)، وقال «هذا حديث حسن».

(باب في التحذير من سب الدهر)

عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «قال تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر أقلب الليل والنهار»[١].

وعند أحمد ومسلم: «لا يقولنَّ أحدكم يا خيبة الدهر، فإنَّ الله هو الدهر»[٢].

وفي رواية: «لا تقولوا: خيبة الدهر، إنَّ الله هو الدهر، ولا تسموا العنب الكرم»[٣].

قيل: في معنى نهيه عن تسمية هذه الشجرة كرمًا: أنَّ هذا الاسم عندهم مشتق من الكرم، سموا شجرة العنب كرمًا؛ لأنَّه يتخذ منه الخمر، وهي تحث على السخاء والكرم، فاشتقوا لتلك الشجرة اسمًا من الكرم، فكره النبي ﷺ تسميته لشيء حرمه الشرع باسم مأخوذ من الكرم، وأشفق أن يدعوهم حسن الاسم إلى شرب الخمر المتخذة من ثمرها، فسلبها هذا الاسم تحقيرًا لشأنها وتأكيدًا لحرمتها، وجعله صفة للمسلم الذي يتوقاها، ويمنع نفسه عن محارم الشرع عزة وتكرمًا، قال الله سبحانه وتعالى في صفة عباده: ﴿وَإِذَا

١- رواه البخاري في «صحيحه» (٤٥٤٩) و(٧٠٥٣)، ومسلم (٢٢٤٦)، وأحمد في «مسنده» (٧٢٤٥)، وأبو داود في «سننه» (٥٢٧٤). قوله: (يؤذيني) ينسب إليَّ ما من شأنه أن يؤذي ويسيء. قوله: (يسب الدهر) بسبب ما يصيبه فيه من أمور وأنا المدبر لكل ما يحصل لكم وتنسبونه إلى الدهر فإذا سببتم الدهر لما يجري فيه كان السب في الحقيقة لي لأني أنا المدبر المتصرف والأمر كله بيدي أي بإرادتي وقدرتي. وقوله: (أقلب) أصرفهما وما يجري فيهما والله تعالى أعلم.

٢- رواه مسلم في «صحيحه» (٢٢٤٦)، وأحمد في «مسنده» (٩١١٦)، وهو في «الموطأ» من رواية أبي مصعب (٢٠٧١)، ومن رواية يحيى بن يحيى الليثي (٩٨٤/٣)، وصححه الحاكم في «المستدرك» (٣٦٩٢).

٣- رواه أحمد في «مسنده» (٧٥١٨)، وهو في صحيح البخاري بنحوه (٥٨٢٨) وصحيح مسلم (٢٢٤٧).

﴿مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، أي: معرضين عنه، قد أكرموا أنفسهم من الدخول فيه، وقال جل ذكره: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقوله: «إن الكرم قلب المؤمن»، لما فيه من نور الإيمان، وتقوى الإسلام.

وقوله: «لا يقل ابن آدم: يا خيبة الدهر»، فمعناه: أنَّ العرب كان من شأنها ذم الدهر، وسبه عند النوازل، لأنَّهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره، فيقولون: أصابهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، وذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه عنهم، فقال: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، وإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد، سبوا فاعلها، فكان مرجع سبهم إلى الله عز وجل، إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يضيفونها إلى الدهر، فنهوا عن سب الدهر[١].

١- شرح السنة للبغوي (١٢/٣٥٦-٣٥٧).

(في التحذير من الشرك وأنواعه)

قال الله تعالى: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

وقال الله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ﴾ [البقرة: ٥٣].

عن أنس ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يؤمن أحدُكُم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولدِهِ ووالدِهِ والنَّاس أجمعين»[١].

وقال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

وعن أبي واقد الليثي ﷺ، قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ قبل حنين، فمررنا بسدرة، فقلت: يا نبي الله، اجعل لنا هذه ذات أنواط كما للكفار ذات أنواط، وكان الكفار ينوطون سلاحهم بسدرة، ويعكفون حولها، فقال النبي ﷺ: الله أكبر، هذا كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨] إنكم تركبون سنن الذين من قبلكم»[٢].

ولابن أبي حاتم عن حذيفة ﷺ أنَّه رأى رجلًا في يده خيط من الحمى، فقطعه

١- رواه البخاري في «صحيحه» (١٥) ومسلم (٦٩). قال ابن رجب في «فتح الباري» (٤٨/١): «محبة النبي ﷺ من أصول الإيمان وهي مقارنة لمحبة الله عز وجل، وقد قرنها الله بها، وتوعد من قدم عليها شيئًا من الأمور المحبوبة طبعًا من الأقارب والأموال والأوطان وغير ذلك، فقال تعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره﴾ [التوبة: ٢٤]».

٢- رواه أحمد في «مسنده» (٢١٩٠٠)، والطيالسي في «مسنده» (١٤٤٣)، وابن عاصم في «السنة» (٧٦)، والنسائي في «الكبرى» (١١١٢١)، وصححه ابن حبان (٦٧٠١).

وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ [الرعد: ١٠٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثنًا، لعن الله قومًا اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[١].

(باب في النهي عن الغلو)

وقال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١].

وقال: ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

وقال: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

وقال: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

١- رواه مالك في «الموطأ» رواية أبي مصعب (٥٧٠)، وأحمد في «مسنده» (٧٣٥٨)، والحميدي في «مسنده» (١٠٥٥)، والبيهقي في «معرفة السنن والآثار» (٧٨٢٢).

عن عمر ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»[١].

وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أيُّها الناس إيَّاكم والغلو في الدين، فإنَّه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»[٢].

وعن سمرة بن جندب ﷺ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إيَّاكم والغلو والزهو، فإنَّ بني إسرائيل قد غلا كثير منهم حتى كانت المرأة القصيرة تتخذ خفين من خشب تحشوهما، ثمَّ تولج فيهما رجليها، ثمَّ تعمد إلى المرأة الطويلة، فتمشي معها، فإذا هي قد ساوت بها، أو كانت أطول منها»[٣].

وعن أنس، أنَّ رجلًا قال للنبي ﷺ: «يا سيدنا، وابن سيدنا، ويا خيرنا، وابن خيرنا، فقال النبي ﷺ: يا أيُّها الناس، قولوا بقولكم ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله، ورسول الله، والله ما أحبُّ أن ترفعوني فوق ما رفعني الله»[٤].

١- رواه البخاري في «صحيحه» (٣٢٦١)، و(٦٤٤٢).

٢- رواه ابن ماجه في «سننه» (٣٠٢٩) واللفظ له، وابن عاصم في «السنة» (٩٨)، وأحمد في «مسنده» (٣٢٤٨)، وابن الأعرابي في «معجمه» (٥٢٩).

٣- رواه البزار في «مسنده» (٤٦٥٤)، والطبراني في «الكبير» (٧٠٩٤)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢٢١) «رواه البزار، وفيه يوسف بن خالد السمتي. قال ابن معين: «كذاب خبيث».

٤- رواه أحمد في «مسنده» (١٣٥٢٩)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٠٠٧)، وابن منده في «التوحيد» (١٣٣/٢)، والضياء في «المختارة» (١٦٢٨) من طريق أحمد.

(باب في النهي عن الذبح لغير الله)

وقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول ﷺ: «لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثًا، ولعن الله من غير منار الأرض»[١].

(باب النهي عن الحلف بالأمانة)

عن ابن بريدة عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف بالأمانة فليس منا»[٢].

(باب النهي عن طاعة الأمراء والعلماء فيما فيه تحليل للحرام أو تحريم للحلال)

عن عدي بن حاتم، قال: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب. فقال: «يا عدي اطرح عنك هذا الوثن»، وسمعته يقرأ في سورة براءة: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]، قال: «أما إنَّهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنَّهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئًا حرَّموه»[٣].

١- رواه مسلم في «صحيحه» (١٩٧٨)، وأبو عوانة في مستخرجه (٧٨٤٦)، والبخاري في الأدب المفرد (١٧)، وصححه ابن حبان (٦٦٠٤).

٢- رواه أبو داود في «سننه» (٣٢٥٣)، وأحمد في «مسنده» (٢٢٩٨٠)، والبزار كما في «كشف الأستار» (١٥٠٠)، وأبو يعلى في «مسنده الكبير» كما في «إتحاف الخيرة» (٦٦٠٠).

٣- رواه الترمذي في «سننه» (٣٠٩٥)، وقال: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث».

عن صهيب ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ، قال: كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلمَّا كبر قال للملك: إنِّي قد كبرت فابعث إلي غلامًا أعلمه السحر؛ فبعث إليه غلامًا يعلمه، وكان في طريقه إذا سلك راهب، فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، وكان إذا أتى الساحر، مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر، فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك، فقل: حبسني الساحر فبينما هو على ذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجرا، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره. فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علي؛ وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء. فسمع جليس للملك كان قد عمي، فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما ها هنا لك أجمع إن أنت شفيتني، فقال: إنِّي لا أشفي أحدًا إنَّما يشفي الله تعالى، فإن آمنت بالله تعالى دعوت الله فشفاك، فآمن بالله تعالى فشفاه الله تعالى، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجيء

بالغلام، فقال له الملك: أي بني، قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص. وتفعل! فقال: إنِّي لا أشفي أحدًا، إنَّما يشفي الله تعالى. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب؛ فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه حتى وقع شقاه، ثمَّ جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه، فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل، فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه. فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم أكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل فسقطوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور وتوسطوا به البحر، فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه. فذهبوا به، فقال: اللهم أكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك. فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ فقال: كفانيهم الله تعالى. فقال للملك: إنَّك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به. قال: ما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد وتصلبني على جذع، ثمَّ خذ سهما من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس ثمَّ قل: بسم الله رب الغلام، ثمَّ ارمني، فإنَّك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثمَّ أخذ سهما من كنانته، ثمَّ وضع السهم في كبد القوس،

ثمَّ قال: بسم الله رب الغلام، ثمَّ رماه فوقع في صدغه، فوضع يده في صدغه فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، فأتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر قد والله نزل بك حذرك. قد آمن الناس. فأمر بالأخدود بأفواه السكك فخدت وأضرم فيها النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، أو قيل له: اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها، فتقاعست أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أمه اصبري فإنك على الحق![1].

وهذه الحديث حديث عظيم من شأنه أن يفرد لشرحه مؤلف؛ لما فيه من الفوائد والفرائد، ومن ذلك:

١-أنَّ التوحيد سبب من أسباب النجاة وهذا ظاهر في قوله: (اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس)، وكذلك فيه حسن الظن بالله.

٢-أنَّ البلاء سنة الله في خلقه وأن الصبر واجب شرعي، وذلك في قوله: (وإنك ستبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علي).

٣-وفيه إثبات الكرامة وأنَّها واقعة في الأمة بشروط معلومة، والرد على من أنكر ذلك من أهل البدع، وهذا في قوله: (وكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء)، وكذلك واقعة فيما حصل مع الغلام في مشاهد الهلاك التي نجاه الله منها، وأهلك فيها من أراد به المكيدة والقتل.

٤-وفيه نسب الفضل لله، فإنَّ كل نعمة واقعة للعبد فهي من عند الله، وواجب

١- رواه مسلم في صحيحه (باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام) (٣٠٠٥).

على العبد أن ينسبها إليه، وأن يشكره عليها، وهذا في قوله: (إنِّي لا أشفي أحدًا إنَّما يشفي الله تعالى).

٥-فيه دلالة على طغيان الأمير، كطغيان النمرود وفرعون، وهذا الطغيان يتمثل بدعوة السيادة للكون، وأن صاحبها هو المتصرف وبيده النفع والضر، وهذا في قوله: (فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك رب غيري؟!).

٦-وفي الحديث دليل على الثبات على الحق، والأخذ بالعزيمة، وهو متمثل في قوله: (فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدعا بالمنشار فوضع المنشار في مفرق رأسه، فشقه حتى وقع شقاه).

٧-وفيه: أنَّ النافع والضار هو الله، وذلك أنَّ الملك لم يستطع قتل الغلام إلا بعد أن ذكر الله، وذلك بقوله: (ضع السهم في كبد القوس، ثمَّ قل: بسم الله رب الغلام، ثمَّ ارمني، فإنَّك إذا فعلت ذلك قتلتني).

٨-وفيه: أنَّ الغلام ضحى بنفسه لله تعالى ولنصرة كلمة التوحيد، وهذه من أفضلِ أنواع الجهاد في سبيل الله، فإنَّ من مقاصد تشريع الجهاد نشر دعوة التوحيد، وقد حصل ذلك والحمد لله.

٩-وفيه: من شأن الطغاة في مواجهة الحق هو الهروب منه، واللجوء إلى سفك الدماء، ونشر الإرهاب، كما حصل مع النمرود الطاغية في قصته مع نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ

أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، وقال الله: ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٧) قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٦٨) قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٦-٦٩].

وكذا الطاغية الكافر فرعون في ملاحقته لنبي الله موسى عليه السلام، في قوله: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ (٦٤) وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٦٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٨]، والكفار في مكرهم بالنبي ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وفيه:

(باب: لا يقول عبدي وأمتي)

وعن أبي هريرة ﷺ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يقولن أحدكم: عبدي وأمتي، ولا يقولن المملوك: ربي وربتي، وليقل المالك: فتاي وفتاتي، وليقل المملوك: سيدي وسيدتي، فإنكم المملوكون، والرب الله عز وجل»[١].

عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا يقل أحدكم: أطعم ربك، وضيء ربك؛ وليقل: سيدي ومولاي. ولا يقل أحدكم: عبدي وأمتي، وليقل: فتاي وفتاتي وغلامي»[٢].

قال النووي: «قال العلماء: لا يطلق الرب بالألف واللام إلا على الله تعالى خاصة، فأما مع الإضافة فيقال: رب المال، ورب الدار، وغير ذلك».

وقال: وأمَّا استعمال حملة الشرع ذلك، فأمرٌ مشهور معروف.

قال العلماء: وإنَّما كره للمملوك أن يقول لمالكه: ربي، لأنَّ في لفظهِ مشاركةٌ لله تعالى في الربوبيَّة.

وأمَّا حديث: «حتى يلقاها ربها» و «رب الصريمة» وما في معناهما، فإنَّما استعمل لأنهَّا غير مكلفة، فهي كالدار والمال، ولا شك أنَّه لا كراهة في قول: رب الدار، ورب المال.

١- رواه أبو داود في «سننه» (٤٩٧٥).

٢- رواه البخاري في «صحيحه» (٢٤١٤) ومسلم (٢٢٤٩) واللفظ للبخاري.

وأما قول يوسف ﷺ: ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾ فعنه جوابان:

أحدهما: أنَّه خاطبه بما يعرفه، وجاز هذا الاستعمال للضرورة، كما قال موسى ﷺ للسامري: ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ﴾ [طه: ٩٧] أي الذي اتخذته إلهًا.

والجواب الثاني: أنَّ هذا شرع من قبلنا، وشرعُ من قبلنا لا يكونُ شرعًا لنا إذا ورد شرعنا بخلافه، وهذا لا خلاف فيه.

وإنَّما اختلف أصحاب الأصول في شرعِ من قبلنا إذا لم يرد شرعُنا بموافقته ولا مخالفته، هل يكون شرعا لنا، أم لا؟[١].

(باب: لا يقول لأخيه يا كافر)

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أيمَّا رجل قال لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما»[٢]. ومعنى قوله باء: يعني أقر[٣].

وفي رواية: «إذا قال للآخر كافر فقد كفر أحدهما، إن كان الذي قال له كافرا فقد صدق وإن لم يكن كما قال له فقد باء الذي قال له بالكفر»[٤].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «من أكفر أخاه فقد باء بها أحدهما»[٥].

قال ابن دقيق العيد: «هذا وعيد عظيم لمن كفَّر أحدًا من المسلمين وليس

١- الأذكار (ص٥٥٢-٥٥٣) ط: ابن كثير.

٢- رواه البخاري «صحيحه» (٦١٠٤)، ومسلم (١١١)، وأبو عوانة في «مستخرجه» (٢٤١)، قوله: (إذا كفر الرجل أخاه) الأرجح أن ذلك يؤول به إلى الكفر وذلك أن المعاصي كما قالوا يريد الكفر ويخاف على المكثر منها أن يكون عاقبة شؤمها المصير إلى الكفر ووجه آخر معناه فقد رجع إليه تكفيره فليس الراجع حقيقة الكفر بل التكفير.

٣- سنن الترمذي (٢٦٣٧).

٤- رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٤٤٠).

٥- رواه البزار في «مسنده» (٥٦٠٤).

كذلك، وهي ورطة عظيمة وقع فيها خلق كثير من المتكلمين، ومن المنسوبين إلى السنة، وأهل الحديث، لما اختلفوا في العقائد فغلظوا على مخالفيهم. وحكموا بكفرهم، والحق أنه لا يكفر أحد من أهل القبلة إلا بإنكار متواتر من الشريعة عن صاحبها، فإنَّه حينئذٍ يكون مكذبًا للشرع»[١].

(باب: لا يقال ما شاء الله وشئت)

عن ابن عباس ﷺ، أنَّ رجلًا قال للنبي ﷺ: ما شاء الله، وشئت، فقال له النبي ﷺ: «أجعلتني والله عدلًا، بل ما شاء الله وحده»[٢].

قال المقريزي: «ومن الإشراك قول القائل لأحد من النّاس: ما شاء الله وشئت، هذا مع أنَّ الله تعالى قد أثبت للعبد مشيئة، كقوله تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾، فكيف بمن يقول: أنا متوكّل على الله وعليك، وأنا في حسب الله وحسبك، وما لي إلاّ الله وأنت، وهذا من الله ومنك، وهذا من بركات الله وبركاتك، والله لي في السماء وأنت لي في الأرض؟ وزن بين هذه الألفاظ الصادرة من غالب النّاس اليوم وبين ما نهى عنه من: ما شاء الله وشئت، ثمَّ انظر أيّها أفحش؟ يتبيّن لك أن قائلها أولى بالبعد من ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، وبالجواب من النبي ﷺ لقائل تلك الكلمة، وأنَّه إذا كان قد جعل رسول الله ﷺ ندًا فهذا قد جعل من لا يدانيه لله ندًا.

١- تطريز رياض الصالحين (ص٩٧٥).

٢- رواه أحمد في «المسند» (١٨٣٩)، و(١٩٦٤)، و(٢٥٦١)، و(٣٢٤٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٣)، وفي صحيحه بدون ذكر الحديث (٤٥١/٢)، والنسائي في «الكبرى» (١٠٧٥٩)، وابن ماجه في «سننه» (٢١١٧).

وبالجملة: فالعبادة المذكورة في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ هي السّجود، والتوكّل، والإنابة، والتّقوى، والخشية، والتّوبة، والنّذور، والحلف، والتّسبيح، والتّكبير، والتّهليل، والتّحميد، والاستغفار، والدعاء.....»[١].

(باب: النهي عن قول: اللهم اغفر لي إنْ شئت)

عن أبي هريرة ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قال: « لا يقولنَّ أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت؛ ليعزم المسألة فإنَّه لا مكره له»[٢].

فيه: أنَّ من آداب الدعاء عزم المسألة، وهو الجد فيها والقطع بها والجزم لها فلا يعلق ذلك بمشيئة الله تعالى، وإن كان ما يعد به المؤمن نفسه ينبغي له تعليقه على مشيئة الله تعالى، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا﴾ [الكهف: ٢٣] ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٤] أما ما يطلبه من الله فلا ينبغي له تعليقه بمشيئة الله بل يجزم بطلبه، وقال بعضهم: معنى عزم المسألة حسن الظن بالله تعالى في الإجابة[٣].

وقيل: كراهة الاستثناء؛ لأن مشيئة الله ثابتة معلومة، وأنَّه لا يفعل من ذلك إلا ما شاَء، وإنَّما يتحقق استعمال المشيئة فى حق من يتوجه عليه الإكراه، والله منزه عن ذلك كما جاء فى آخر الحديث، وعزم المسألة: حسن الظن بالله في الإجابة[٤].

١- تجريد التوحيد المفيد (ص٢٢).
٢- رواه البخاري في «صحيحه» (٥٩٨٠) ومسلم (٢٦٧٩).
٣- طرح التثريب للعراقي (١١٦/٣).
٤- إكمال المعلم للقاضي عياض (٨٧/٨).

(باب النهي عن قول خليفة الله وشاهان شاه)

عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إنَّ أخنع اسم عند الله تعالى رجل يسمى ملك الأملاك»[١].

قال سفيان بن عيينة: «ملك الأملاك، مثل شاهان شاه»[٢].

وعن ابن أبي مليكة، أنَّ رجلًا قال لأبي بكر: يا خليفة الله، قال: «أنا خليفة محمد ﷺ وأنا راض بذلك».

وعن إبراهيم، عن همام، قال رجل من أهل الكتاب لعمر: يا ملك، فقال عمر: «أكذاك تجدونه في كتابكم؟ أليس تجدون النبي، ثمَّ الخليفة، ثم أمير المؤمنين، ثمَّ الملوك بعد؟» قال: بلى.

وقال رجل لعمر بن الخطاب ﷺ: يا خليفة الله! فقال: «ويلك لقد تناولت متناولًا بعيدًا، إنَّ أمي سمتني عمر، فلو دعوتني بهذا الاسم؛ قبلت، ثمَّ كبرت فكنيت: أبا حفص، فلو دعوتني به، قبلت، ثمَّ وليتموني أموركم، فسميتموني: أمير المؤمنين، فلو دعوتني بذلك، كفاك».

قال البغوي: «لا بأس أن يسمى القائم بأمور المسلمين: أمير المؤمنين والخلفاء، وإنْ كان مخالفًا لبعض سير أئمة العدل لقيامه بأمر المؤمنين وسمع المؤمنين له، ويسمى خليفة، لأنَّه خلف الماضي قبله، وقام مقامه، ولا يسمَّى أحد خليفة الله بعد آدم وداود عليهما السلام، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي

١- رواه البخاري في «صحيحه» (٥٨٥٣)، ومسلم (٢١٤٣).
٢- الأذكار للنووي (ص٤٤٨) و(ص٥٥٠).

الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، وَقَالَ: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾ [ص: ٢٦]»[١].

وقال الماوردي: ويسمى خليفة لأنَّه خلَف رسول الله ﷺ في أمته، فيجوز أنْ يقال: يا خليفة رسول الله، وعلى الإطلاق فيقال: الخليفة.

واختلفوا هل يجوز أن يقال: يا خليفة الله؟ فجوزه بعضهم؛ لقيامه بحقوقه في خلقه، ولقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٦٥].

وامتنع جمهور العلماء من جواز ذلك، ونسبوا قائله إلى الفجور وقالوا: يستخلف من يغيب أو يموت، والله لا يغيب ولا يموت[٢].

(باب لا يقال: السلام على الله)

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنَّا إذا كنا مع النبي ﷺ في الصلاة قلنا: السلام على الله من عباده، السلام على فلان وفلان فقال النبي ﷺ: «لا تقولوا السلام على الله، فإن الله هو السلام»[٣].

(باب النهي عن قول لو)

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أنني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن

١- شرح السنة للبغوي (كتاب فضائل الصحابة) (٣٨٦٥) (١٤/٧٥-٧٦)، ونقله عنه النووي في «الأذكار» (ص٥٥٠) ط: دار ابن كثير.

٢- الأحكام السلطانية (ص٣٩) ط: دار الحديث.

٣- رواه البخاري في «صحيحه» (٨٠٠)، ومسلم في «صحيحه (٤٠٢).

قل: قدر الله، وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان»[١].

(باب في النهي عن سب الريح)

عن أبي ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا تسبوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أُمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أمرت به»[٢].

١- رواه مسلم في «صحيحه» (٢٦٦٤).

٢- رواه الترمذي (٢٢٥٢)، وقال: وفي الباب عن عائشة، وأبي هريرة، وعثمان بن أبي العاص، وأنس، وابن عباس، وجابر: «هذا حديث حسن صحيح».

خاتمة الباب

قال النووي ﷺ: «من أقبح الألفاظ المذمومة، ما يَعتادُه كثيرون من الناس إذا أرادَ أن يَحلِف على شيء فيتورّع عن قوله: والله، كراهيةَ الحنث، أو إجلالاً لله تعالى وتصوّناً عن الحلف، ثمَّ يقول: الله يعلم ما كان كذا، أو لقد كان كذا ونحوه، وهذه العبارةُ فيها خطرٌ، فإنْ كان صاحبُها متيقناً أن الأمر كما قال فلا بأس بها، وإن كان تشكَّكَ في ذلك فهو من أقبح القبائح؛ لأنَّه تعرّضَ للكذب على الله تعالى، فإنَّه أخبرَ أنَّ الله تعالى يعلمُ شيئاً لا يتيقنُ كيف هو، وفيه دقيقة أخرى أقبحُ من هذا، وهو أنَّه تعرّض لوصف الله تعالى بأنَّه يعلمُ الأمرَ على خلاف ما هو، وذلك لو تحقَّقَ كان كافراً، فينبغي للإنسان اجتنابُ هذه العبارة»[١].

١- الأذكار (ص٥٥٨).

فصل: متمم للخاتمة[١].

[قول اذكر الله للغضبان]

قال النووي في «الأذكار» «روى النَّحاس عن أبي بكر محمد ابن أبي يحيى - وكان أحد الفقهاء العلماء الأُدباء - أنَّه قال: يكره أن يقال لأحد عند الغضب: اذكر الله تعالى؛ خوفاً من أن يحمله الغضب على الكفر، قال: وكذا لا يقال له: صلِّ على النبي؛ خوفاً من هذا».

قال الشارح: «وفي تنبيه الأخيار» لابن حجر: «وكره أنْ يُقال للغضبان: اذكر الله؛ خوفاً من كفره، وما صح من أمره ﷺ أن يقال له: تعوذ بالله من الشيطان الرجيم، لا ينافيه؛ لأن سوْرة الغضب إن حملت على نحو سب إنَّما تقع هنا للشيطان على أن سماعه أعظم زاجر، وأبلغ راشد إلى أن غضبه من الشيطان، فيكف عنه، ومن ثمَّ يبعد أخذ ندب هذا من هذا الحديث».

ولعلَّ هذا يختلفُ باختلاف المقامات، والأشخاص، فالأرعن المتهافت الذي أخذ الغضب منه مأخذه، لا يعرض إلى ما يؤدي إلى المحذور المذكور، وهكذا[٢].

[قولك صفات الله]

شذَّ الإمام ابن حزم الظاهري رحمه الله فأنكر إطلاق لفظ: (الصفات) على الله تعالى، فقال: «هذه لفظة اصطلح عليها أهل الكلام من المعتزلة، ومن تبعهم،

١- هذه الفوائد المنقولة هي في كتاب (معجم المناهي اللفظية) للعلامة بكر أبو زيد رحمه الله، وهذا بعض ما في الكتاب، ولعلني أفرد المناهي اللفظية التي تمس العقيدة بجزء والله المعين.

٢- المعجم (ص٥٧٨)، وانظر: «الأذكار للنووي» مع شرحها (١٠٩/٧)، و«الفتاوى الحديثية» (ص ١٠٢و ١٣٩ و١٤٠)

ولم تثبت عن النبي ﷺ ولا عن أحد من أصحابه...».

وهذا مردود بما ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنَّ النبي ﷺ قال في سورة: «﴿قل هو الله أحد﴾: صفة الرحمن» رواه البخاري.

والله سبحانه يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾.

وإثبات الأسماء يلزم منه إثبات الصفات؛ لأنَّه إذا ثبت أنَّه سبحانه حيٌّ، ثبت له صفة الحياة. وهكذا.

وقد أطال الحافظ ابن حجر رحمه الله في بيان شذوذ ابن حزم فيما ذهب إليه، وساق من النصوص ما يؤيد ما عليه الناس سلفاً وخلفاً من إطلاق هذا اللفظ، وأنَّه لا يُوصف الله سبحانه إلا بما ثبت في الوحيين، والله أعلم[1].

[النهي عن قول شاءت حكمة الله]

المشيئة صفة من صفات الله تعالى والصفة تضاف إلى من يستحقها، ولله تعالى المشيئة الكاملة والقدرة التامة، ومشيئته سبحانه فوق كل مشيئة، وقدرته سبحانه فوق كل قدرة. فيقال: (شاء الله سبحانه)، ولا يقال: شاءت حكمة الله، ولا يقال: شاءت قدرة الله، ولا: شاء القدر، ولا: شاءت عناية الله، وهكذا من كل ما فيه نسبة الفعل إلى الصفة، وإنما يقال: شاء الله، واقتضت حكمة الله، وعنايته سبحانه.

وكل هذه ونحوها، في حرف التاء: (تدخَّل القدر)، من عبارات بعض أهل

١- المعجم (ص٦٣٧)، وينظر: «فتح الباري» (١٣/٣٥٦- ٣٥٧)، و«مدارج السالكين» (٣/٣٤٦).

عصرنا الذين لا يتورعون عن هذه وأمثالها[١].

[بيني وبين الله سر]

قال ابن القيم رحمه الله: «فائدة: قال ابن الجوزي: في آخر (منتخب الفنون) ممَّا بلغه عن ابن عقيل من غير الفنون[٢] قال: سمعت أبا يعلى ابن الفراء يقول: مَن قالَ إنَّ بينه وبين الله سراً فقد كفر، وأي وصلة بينه وبين الإله؟ وإنَّما ثمَّ ظواهر الشرع، فإنَّ عني بالسر ظاهر الشرع فقد كذب؛ لأنَّه ليس بسرٍ، وإن عني شيئاً وراء ذلك فقد كفر»[٣].

[لفظ (تعالى) لا تُقالُ في غيرِ حق اللهِ سبحانه وتعالى]

في «الفواكه الجنوية» لعبد الهادي نجا الأبياري قال: قال ابن المنير في «تفسيره»: يقال: (علا زيد) ولا يقال: (تعالى زيد)؛ لأنَّ العرفَ خصَّه بالله سبحانه وتعالى. أهـ.

وبه نعلم أنَّ قول أبي تمام في ممدوحه: (فتح الفتوح تعالى أن يحيط به) نظم من الشعر أو نثر من الخطب خروج عن حد الأدب، ولو قال: تعلَّى؛ سَلِمْ[٤].

١- المعجم (ص٣٠٥) (شاءت حكمة الله) ينظر: المجموع الثمين (١/١١٠، ١١٣، ١١٤).
٢- قلت أبو إسحاق: الفنون كتاب عظيم لابن عقيل الحنبلي.
٣- المعجم(ص١٨٣-١٨٤)وينظر: «بدائع الفوائد»(٤/٤٣): و«تهذيب الآثار لابن جرير»(١/٩١)مهم.
٤- المعجم (ص١٩٠)، و«الفواكه الجنوية» (١/٤٩).

[النهي عن كلمات فيها مغالطات]

سُئِل ابن تيمية رحمه الله عن كلمات وجدت بخط من يوثق به ذكرها عنه جماعة من الناس فيهم من انتسب إلى الدين فمنها:

١- إنَّ الله لطف ذاته فسماها حقاً، وكثفها فسماها خلقاً.

٢- إنَّ الله ظهر في الأشياء حقيقة واحتجب بها مجازاً.

٣- لبس صورة العالم فظاهره خلقه، وباطنه حقه.

٤- الله فقط والكثرة وهم.

٥- عين ما ترى ذات لا ترى.

٦- التوحيد لا لسان له، والألسنة كلها لسانه.

وذكر جملة وافرة نظماً ونثراً من مقولات الحلولية والصوفية الغلاة.

ثمَّ أجاب عنها رحمه الله: بأنَّ هذه الأقوال مخالفة لدين الإسلام؛ **لاشتمالها على أصلين باطلين:**

أحدهما: الحلول والاتحاد.

ثانيها: الاحتجاج بالقدر على المعاصي. ثمَّ بسط ذلك في نحو مائة صحيفة، والله أعلم[١].

١- المعجم (ص٤٥٨)، وانظر: (لعنة الله على دين فلان الكافر) فتاوى اللجنة (٣/ ٣٠٥ – ٣٠٦).

[السؤال بوجه الله]

عن جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يسأل بوجه الله إلا الجنة»[١].

لكن يشهد لعموم النهي حديث أبي موسى ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ملعون من سأل بوجه الله، وملعون من سئل بوجه الله ثم منع سائله ما لم يسأل هجراً»[٢].

ومضى بحثه في هذا في حرف الخاء: خليفة الله. وفي حرف الألف بلفظ: اللهم إنِّي أسألك بوجهك الكريم، وحاصل السؤال بوجه الله يتلخص في أربعة أوجه:

١- سؤال الله بوجهه أمراً دينياً أو أُخروياً، وهذا صحيح.

٢- سؤال الله بوجهه أمراً دنيوياً وهذا غير جائز.

٣- سؤال غير الله بوجه الله أمراً دنيوياً وهو غير جائز.

٤- سؤال غير الله بوجه الله أمراً دينياً[٣].

١- قال الشيخ عقبه: (رواه أبو داود، وابن منده في: «الرد على الجهمية»، والبيهقي في «سننه»، وفي «الأسماء والصفات»، والخطيب في «الموضح». وفي إسناده: سليمان بن قرم بن معاذ، ضعيف).

٢- قال الشيخ: (رواه الطبراني، قال العراقي: «إسناده حسن»).

٣- المعجم (ص١٨٢)، وانظر: «المجموع» للنووي (٦/٢٤٥)، و«تيسير العزيز الحميد» (ص ٦٦٠-٥٣٠)، و«فيض القدير» (٦/٤)، و«الفتاوى الحديثية» (ص١٤٢)، و«المجموع الثمين» (١/١١٣-١١٤).

[قوله: نتبرك بالله ثم بك]

سُئِل الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين عن قول بعض الناس: نتبرك بالله ثمَّ بك، نتبرك بدخولكم، نتبرك بحضرتكم، فأجاب: «ما علمت فيه شيئاً؛ ولا أُحبه، خاصة إذا قيل ذلك لمن لا يظن به خير»[١].

[لعنة الله على دين فلان الكافر]

هذا يعودُ إلى حال من وجِّهت إليه اللعنةُ من الكفار الأصليين، وهي لا تخلو من ثلاثة أحوال:

١- إنْ كافر كتابياً يهودياً أو نصرانياً، فإن سب أي دين جاء به نبي من أنبياء الله، كفر.

٢- إنْ كان الكافر كتابياً يهودياً أو نصرانياً، لكنه على دينه المحرف كمن يقول من النصارى: عيسى ابن الله، وأنه لا يلزم اتباع محمد ﷺ فلا شيء في لعنه.

٣- إنْ كان الكافر غير كتابي، فلا شيءَ في ذلك[٢].

[يا من يُغيَّر ولا يتغيَّر]

في جواب لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يرد به على شبه نفاة الصفات، بيّن الوجه في هذا بمعنى أنَّه سبحانه يحيل صفات المخلوقين، ويسلبها ما كانت متصفة به إذا شاء ويعطيها من صفات الكمال ما لم يكن، وكماله من لوازم ذاته..

١- الدرر السنية (نتبرك بالله ثم بك) (٦/٣٥٨).

٢- المعجم (ص١٢٥-١٢٦).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١][1].

١- المعجم (ص٦٨٠)، وانظر: مجموع الفتاوى (٦/٢٤٩-٢٥١).

مناجاة

إلهي: عرفتنا بربوبيتك، وغرقتنا فِي بحار نِعْمَتك، ودعوتنا إِلَى دَار قدسك، ونعمتنا بذكرك وأنسك.

إلهي: إِنْ ظلمَة ظلمنَا لأنفسنا قد عَمت، وبحار الْغَفْلَة على قُلُوبنَا قد طمت، فالعجز شَامِل، والحصر حَاصِل، وَالتَّسْلِيم أسلم، وَأَنت بِالْحَال أعلم.

إلهي: مَا عصيناك جهلًا بعقابك، وَلَا تعرضًا لعذابك، وَلَكِن سَوَّلت لنا نفوسنا، وأعانتنا شِقْوَتنَا، وغرنا سترك علينا، وأطمعنا فِي عفوك برك بِنَا، فَالْآن من عذابك من يستنقذنا؟ وبحبل من نعتصم إِن قطعت حبلك عَنَّا؟ واخجلتنا من الْوُقُوف غَدًا بَين يَديك، وَا فضيحتنا إِذا عرضت أَعمالنَا القبيحة عَلَيْك. اللَّهُمَّ اغْفِر مَا علمت، وَلَا تهتك مَا سترت.

إلهي: إِن كُنَّا عصيناك بِجَهْل فقد دعوناك بعقل، حَيْثُ علمنَا أَن لنا رَبًّا يغْفر الذُّنُوب وَلَا يُبَالِي[1].

سيدي! قد تدبَّرتُ الخلق فما رأيتُ منهم إلا صانعًا أو مصانعًا. ورأيت جلَّ غرضهم وأكبر همّهم الدنيا، وكل منهم قد اعتمد على ذخيرة، فهذا يذخر العقار، وهذا يذخر العقار؛ فهذا يقتني الدرهم والدينار، وهذا يذّخر معارف الرجال.

ورأيت كلاً منهم عند الموت يفزع إلى اسمك وتوحيدك والتعلُّق بأذيال عفوك،

١- طبقات الشافعية للسبكي (٨/٢٠٠) وهي للشيخ الزاهد عبد الْعَزِيز بن أَحْمد بن سعيد الدَّمِيرِيّ الديريني رحمه الله.

فرأيتهم بعين الإفلاس من الرأي، حيث لم يقدِّموا من أمرهم ما أخروا، وتعجَّلوا من التعلُّق بك ما أجلوا.

فكنتُ إذا فرح النُّاس بموجودهم منك وعُنوا بما آتيتهم من لدنك، غنيّاً بوجودك، معوِّلاً على شهودك، مذّخِرًا لك في شدائدي، معوّلاً عليك في أوابدي، فما خاب قط أملي فيك، ولا رجائي في لطفك؛ بل وجدتُك في شدائد الدنيا آخذًا بضبعيَّ؛ إن عثرتُ أنعشتَ، وإن افتقرتُ أغنيتَ، وإن سقمتُ عافيتَ وشفيتَ، وإن تشردتُ آويتَ، وإن عطشتُ أرويتَ، وإن جعتُ أطعمتَ، وإن ضللتُ هديتَ. فأنبأني عنك عاجل أمري، وحدثتني آمالي فيك عن تواني أحوالي معك.

فها أنا لا أرجو سواك، ولا آمل غيرك، ولا تعبدُ أطماعي أحدًا من خلقك.

وطالما عبدت لأنَّني كنتُ بصورةِ من استقرئ طرق الطلب حتى وجدتُ، وأُنِحتُ عن طريق سليم إليك حتى ظفرتُ، ولم أجد ذلك إلا في خُبري بخلقك وأنهَّم مفاليس من كل ضرّ ونفع. ومع ذلك فأنا أستغفر الله من وقوفي معهم حال تصفّحي لأحوالهم، وأنا أشهد ان لا إله إلا الله من شركي حال الاعتماد عليهم اختبارًا لهم، وأقطع زنانير الإضافات إليهم[١].

اللهم إنا أطعناك فِي أحب الأشياء إليك: شهادة إن لا إله إلا أنت، ولم نعصك فِي أبغض الأشياء إليك: الشرك، فاغفر لنا ما بينهما[٢].

١- الفنون لابن عقيل (١/٢٧٩-٢٨٠).

٢- طبقات الحنابلة لأبي يعلى (١/٣٠٣)، من كلام عمر بن ذر الهمداني.

يا ربِّ إنَّ ذنوبي قد أَحَطتَّ بها عِلمًا وبي وبإعلاني و إسرارِي

أنا المُوَحِّدُ لكنِّي المُقِرُّ بها فهَبْ ذنوبي لتوحيدي وإقراري!

فـ «اللهم اجعل صدري خزانة توحيدك، ولساني مفتاح تمجيدك، وجوارحي خدم طاعتك، فإنَّه لا عز إلا في الذل لك، ولا غنى إلا في الفقر إليك، ولا أمن إلا في الخوف منك، ولا قرار إلا في القلق نحوك، ولا روح إلا في النظر إلى وجهك، ولا راحة إلا في الرضا بقسمك، ولا عيش إلا في جوار المقربين عندك»[١].

تم بحمد الله وتوفيقه جمع ما يسره الله في الحديث عن كلمة التوحيد وما يتعلق بها، ولعل القارئ يجد فيه بغيته وتتحصل له الفائدة، فاللهم لك الحمد أولًا وآخرًا على ما أعنت وأكرمت به عبدك الفقير في هذا الكتاب وغيره، فاللهم بحق أسمائك الحسنى وصفاتك العلا أن تقبله وأن تنفع به ومن دلَّ عليه بخير، وأن تجعله حجة وأجرًا وذخرًا لي ولوالدي وأهلي أجمعين، إنَّ ربي سميع قريب مجيب للدعاء، والحمد لله رب العالمين.

١- طبقات الشافعية (٥/٣٤٥) قاله أبو منصور ابن السمعاني.

(مفكَّرَةُ الفَوائِدِ)

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

.....

فهرس الفوائد والمحتوى

روائع الكلم.	١
المقدمة.	٥
منهج البحث.	٩
بعض المؤلفات في فضل (لا إله إلا الله).	١٢
كتب ذكرت في العموم فضل كلمة التوحيد.	١٤
القسم الثاني:	١٦
أثر (إنما تنقضُ عرى الإسلام) وبيان من ذكره.	١٧
رجل يقدم على عمر لتعلم التوحيد.	١٨
العلم الأعلى هو علم الدين.	١٨
علم التوحيد هو حياة الدين ومادة بقائه.	١٩
أنواع العلوم خمسة.	٢٠
كلام مهم في أنواع العلوم من قول سفيان بن عيينة.	٢٠
السلف يستحبون أن يُعلم الصبي أول ما ينطق التوحيد.	٢١
محال أن يكون النبي ﷺ علم أمته الاستنجاء ولم يعلمها التوحيد.	٣٧

الدليل على أنه لا إله إلا الله:	٢٣
الأدلة النقلية (القرآن والسنة).	٢٣
الأدلة الفطرية.	٢٣
كلام للشهرستاني، وابن القيم، وابن أبي العز.	٢٥
لا قياس في التوحيد، وكلام (لأبي يوسف، وابن عباس، وابن عبد البر).	٢٦
ليس في التوحيد خلاف.	٢٧
اختلاف المبتدعة في التوحيد هو من جنس اختلاف اليهود والنصارى.	٢٧
الأدلة العقلية.	٢٨
استدلال الأعرابي، وأبي حنيفة، ومالك على وجود إله للكون.	٢٩
استدلال الشافعي وأحمد.	٣٠
استدلال عامر بن قيس، وطبيب، وبشر بن الحارث.	٣١
داود عليه السلام، وعروة بن محمد.	٣٢
استدلال ابن الجوزي.	٣٥
كلام لأبي عبد الله القرطبي.	٣٧
أشهر من عرف تجاهله وتظاهره بإنكار الصانع.	٣٩

الله يدعو عباده في القرآن لمعرفته من طريقين.	٤١
تفسير للحافظ ابن كثير.	٤٢
شعر لأبي محمد القحطاني الأندلسي المالكي.	٤٣
من خالف في التوحيد من ملل الكفر وطوائف أهل البدع.	٤٦
فطرة الصبيان خير من منطق الفلاسفة وأصحاب الكلام.	٥١
كلام الشوكاني أنَّ أهل الكلام من أكثر النَّاس تخبطًا.	٥١
قول عمر بن عبد العزيز: (عليك بدين الصبي).	٥١
كلام الجويني، والشهرستاني، والرازي.	٥٢
كلام ابن عقيل، والكرابيسي.	٥٣
كلام للطوفي، وشيخ الإسلام.	٥٤
التسليم في التوحيد سبب للنجاة:	٥٦
قال ابن عيينة: (كل ما وصف الله به نفسه في كتابه، فتفسيره قراءته).	٥٧
تحذير من الإمام مالك، وقول الإمام أحمد: (استوى كما ذكر).	٥٧
قول الإمام الشافعي: (آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله).	٥٧
كلام للطحاوي، والبربهاري.	٥٨

أقسام التوحيد:	٥٩
أقسام التوحيد، ومن قاله بهذا القول ونفي بدعيته.	٥٩
تقسيم التوحيد يقوم على خمسة أصول.	٦٢
منزلة التوحيد عند شيوخ الصوفية:	٦٤
للصوفية مقالات في التوحيد بديعة، وأقوال نافعة.	٦٤
من نقل من العلماء كلام الصوفية في إنكارهم البدعة (الشاطبي، ابن تيمية، وابن القيم، وابن رجب، وابن عبد الهادي)	٦٤
إنصاف ابن تيمية للصوفية.	٦٥
إنصاف الذهبي للصوفية.	٦٦
جملة من الأقوال والتقريرات لعلماء الصوفية بخصوص التوحيد.	٦٧
الشيخ عبد القادر الجيلاني يقول لا كان ولا يكون وليًا على غير اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل.	٦٨
معنى لا إله إلا الله.	٧٠
خير الذكر ما جمع نطق اللسان، وعقد الجنان –القلب–.	٧١
قول ابن القيم: (محمد رسول الله من تمام قول لا إله إلا الله).	٧١
قول الملا قاري: (نص الأئمة أنَّه لا بدَّ من فهم معناها).	٨٥
كلام للمقريزي.	٧٣

ركنها، وكلام للزركشي والبيهقي، والشنقيطي.	٧٥
ما تثبته لا إله إلا الله وتنفيه.	٧٦
تنفي: (الإلهة، والطواغيت، والأنداد، والأرباب).	٧٦
وتثبت: (القصد، والتعظيم والمحبة، والخوف والرجاء، والبراءة من الشرك)	٧٧
إعرابها:	٧٧
خطر الجهل بمعنى الإله، وكلام للمعلمي اليماني.	٧٨
شروطها:	٨٠
نواقضها:	٨٥
التوحيد الخالي من القوادح، سبب لحياة القلب.	٨٥
الحديث عن نواقض التوحيد له شبيه في كتب الفقه، وليس هو بدع من القول.	٨٦
الملا علي قاري الحنفي له رسالة بعنوان: (شرح ألفاظ الكفر).	٨٦
مجموع نواقض الإسلام.	٨٧
أهمية تطبيقها وفهم معانيها:	٨٧
قول سهل التستري: (من قال لا إله إلا الله، فقد بايع الله).	٩١

قول أبو العالية: (كلمتان يسأل عنها الأولون والآخرون).	٩١
قول الحسن البصري للفرزدق: (هذا العمود فأين الطُّنب؟)، ومعناه.	٩٢
شعر للفرزدق يبكي الحسن البصري.	٩٣
قول وهب بن منبه: (لا إله إلا الله مفتاح الجنة)، وتفسيره.	٩٤
معنى قول الله: {إنَّ عبَادِي لَيس لكَ عليِهم سُلطانٌ}.	٩٥
كلام للشيخ حافظ الحكمي.	٩٦
أفضل الأذكار:	١١١
المذهب الصحيح أنَّ أفضل الأذكار هو القرآن.	٩٧
القول الأول: أنَّ أفضل الذكر (لا إله إلا الله).	٩٧
القول الثاني: أنَّ أفضل الذكر (الحمد لله).	٩٨
(فرع): قد يقال أفضل الأذكار (الاستغفار).	٩٩
حمال يحمل الأمتعة لديه (ذكر يواظب عليه)، وقول بكر المزني: (حمال أفقه من بكر).	٩٩
فضل لا حول ولا قوة إلا بالله:	١٠١
من أسمائها، وبعض المصنفات حولها، ومعناها.	١٠١
من فضائلها.	١٠١

حصن من الشيطان.	١٠٢
تكفر الذنوب، وغرس الجنة، ومن الباقيات الصالحات.	١٠٣
حديثه عن الخوف من الله، والحب في الله، والتوكل على الله.	١٢٩
يدفع الله بها الغم والهم، وهي كلمة النصر والعز.	١٠٤
فيها من الخير الكثير، والبركة والعون لصاحبها.	١٠٥
اسم الله الأعظم:	١٠٦
من ذهب إلى أنَّ أسماء الله كلها عظيمة.	١٠٦
القول الأول.	١٠٦
القول الثاني.	١٠٦
القول الثالث.	١٠٧
القول الرابع.	١٠٨
سبب الاختلاف في تعيين الاسم؟	١٠٩
تعظيم الله تعالى:	١١٢
من لوازم كلمة التوحيد تعظيم الله تعالى.	١١٢
محبته، (كلام لذي النون، وبشر السري، ورويم، وعتبة الغلام).	١١٢

ذكره.	١١٤
التفكر في مخلوقاته.	١١٤
امتثال أمره واجتناب نهيه.	١١٥
تنزيهه عمَّا لا يليق به، (وكلام لنعيم بن حماد، وتوجيه الذهبي له).	١١٦
التعرف على أسمائه وصفاته.	١١٨
معنى الإحصاء الوارد في الحديث، وكلام للرافعي لماذا قال (مائة إلا واحدًا؟).	١١٨
الولاء والبراء فيه.	١١٩
أدلة عن الولاء والبراء.	١٢٠
[مسألة]: هل النطق بالتوحيد يكفي لدخول الجنة؟	١٢١
كلام للمنذري في الباب.	١٢١
كلام لابن القيم.	١٢٢
كلام للمعلمي اليماني.	١٢٣
الطريق إلى معرفة لا إله إلا الله:	١٢٥
لا إله إلا الله منهج حياة:	١٢٩
السر في الأذان بأذن الطفل حين الولادة، والاتفاق على استحباب التسمي بـ(عبد الله)، و(عبد الرحمن).	١٢٩

ذكر ابن الصلاح أن من تسمى بعبد الله في الصحابة نحو مائتين وعشرين نفسًا.	١٢٩
لا إله إلا الله من الولادة إلى قبيل الوفاة والتلقين بها.	١٣٠
من آثار كلمة التوحيد:	١٣٢
النصرة والاستخلاف، وقبول العمل.	١٣٢
حقن الدماء، وحلّ الأمن في البلاد.	١٣٣
راحة البال وتفريج الهموم، والعزة والرفعة.	١٣٤
القسم الثاني: (فضائل كلمة التوحيد، وأسمائها).	١٣٦
أنها حق الله على العبيد.	١٣٧
أساس دعوة الأنبياء.	١٤٠
هي دعوة الإسلام.	١٤٥
الكلمة التي أختص الله بها هذه الأمة.	١٤٥
كملة الأمان.	١٤٥
بشرى لكل مؤمن.	١٤٦
شعار المؤمنين.	١٤٦
ثقيلة في الميزان.	١٤٧

الكلمة التي تفتح لقائلها أبواب الجنة الثمانية.	١٤٨
الكملة التي تغفر بها الذنوب.	١٤٨
أثقل الأعمال في الميزان.	١٥١
الكلمة التي يسأل عنها العبد في قبره.	١٥٢
الكلمة المنصورة.	١٥٣
روح الحياة، وحياة الروح.	١٥٣
أفضل الدعاء.	١٥٤
الكلمة التي ليس دونها حجاب.	١٥٤
القطب الأعظم والركن الأكبر.	١٥٤
طهارة للنفس وزكاة للروح.	١٥٥
أساس العلم.	١٥٥
القاطعة لظهر إبليس.	١٥٦
حرز من كل مكروه وحفظ للعبد من الشيطان.	١٥٦
أحب الكلام إلى الله.	١٥٧
الباقيات الصالحات.	١٥٧

الكلمة التي تقي صاحبها من النَّار.	١٥٨
الكلمة التي من قالها موقنًا بها لا يضيع سعيه وعمله.	١٩٣
الكلمة التي يرجح بها الميزان.	١٥٨
مفتاح الجنة، وثمن الجنة، وحلاوة الإيمان.	١٥٩
طعم الإيمان، والتي لا يسبقها عمل، والكلمة الكريمة العظيمة.	١٦٠
الكلمة التي يحبها الله، وأحسن الحسنات، وبها يجدد الإيمان.	١٦١
كلمة الفرج.	١٦٣
الكلمة التي تخرق الحجاب حتى تصل إلى الله.	١٦٤
من قالها (كمن أعتق عشر رقاب، وكانت له حرزًا من الشيطان).	١٦٤
الكلمة التي تعتق صاحبها في الدنيا والآخرة.	١٦٥
أفضل شعب الإيمانِ وأعلاها.	١٦٦
وهي مقاليد السموات والأرض.	١٦٧
كلمة النجاة والعصمة.	١٦٨
الكلمة التي تفرج بها الكروب وتزال الهموم.	١٧١
من أعظم أركان الإسلام.	١٧٣

وصية النبي ﷺ.	١٧٤
كلمة النجاة والعزة والسناء.	١٧٤
وهي حاقنة الدم.	١٧٧
كلمة الأمان وعقد الضمان.	١٨٠
سبب من أسباب نيل الشفاعة.	١٨١
كلمة يحبها الله.	١٨٣
مفتاح دخول الإسلام ومن خير خواتمه.	١٨٤
وهي أصل الدعوة.	١٨٦
كنز من كنوز الجنة.	١٨٧
العاصمة من النار.	١٨٨
الموجبة لدخول الجنة.	١٨٩
ميزان قبول الأعمال، وكفارة الحالف بغير الله.	١٩٢
من أسباب عفو الرحمن، وعزة أهل التوحيد.	١٩٣
وهي رابطة للمسلمين على مختلف بلدانهم.	١٩٣
فضلها في الأذكار:	١٩٦

من أذكار الصباح.	١٩٦
دعاء دخول السوق.	١٩٧
دعاء المكروب.	١٩٧
تشهد الصلاة.	١٩٧
تقال دبر الصلاة.	١٩٨
كفارة المجلس.	١٩٩
دعاء الوضوء.	٢٠٠
وهي ذكر تقال بعد الصلاة.	٢٠٠
أفضل الدعاء في يوم عرفة.	٢٠١
دعاء الرجوع من السفر والغزو.	٢٠٢
دعاء يقوله من قام من الليل.	٢٠٢
أسمائها:	٢٠٤
المعروف الذي أمر الله به.	٢٠٤
الكلمة الحسنى.	٢٠٤
كلمة التقوى	٢٠٥

الكلمة السواء.	٢٠٥
المثل الأعلى، والملة الحنيفية، والدين الخالص، ودعوة الحق.	٢٠٦
الكلمة العليا، والكلمة الطيبة.	٢٠٧
العروة الوثقى.	٢٠٩
الحسنة الدائمة.	٢١٠
القول السديد، والدعوة الحسنة.	٢١١
كلمة الاستقامة، والقول اللين، ومنتهى الصواب، وكلمة الإخلاص.	٢١٢
النعم الظاهرة والباطنة.	٢١٤
أحسن القول، والكملة الباقية، والكلم الطيب.	٢١٥
الدين الواصب، والكلمة التي لأجلها خلق الخلق وأرسلت الرسل.	٢١٦
العهد الذي اتخذه المؤمنون عند خالقهم.	٢١٧
العدل الذي أمر الله به، والصدق الذي جاء به النبي ﷺ وعلامة الرشاد، وكلمة الفلاح، وزكاة النفس.	٢١٨
الإحسان الذي يجزى عليه العبد، والكلمة التي تحط الذنوب.	٢١٩
الكلمة الباقية.	٢٢٠
القسم الثالث:	٢٢٢

تتمة مهمة تتعلق بكلمة التوحيد:	٢٢٣
باب: بيان بأن التوحيد حق الله على العبيد.	٢٢٣
باب: فضل التوحيد.	٢٢٣
باب: الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله.	٢٢٤
بابك في التحذير من جحد شيء من آيات القرآن.	٢٢٥
باب: الخوف من الشرك.	٢٢٦
باب: في بيان أن الشرك من أكبر الكبائر.	٢٢٧
باب: النهي عن الحلف بغير الله.	٢٢٩
باب: النهي عن الإكثار من الحلف بالله.	٢٣١
باب: في الكفر بالطاغوت، وبيان أن الحكم لله.	٢٣٢
باب: في التحذير من الهزو بالله وآياته ورسوله.	٢٣٣
باب: في التحذير من السحر.	٢٣٥
باب: ما جاء في النهي عن التطير.	٢٣٧
باب: في التحذير من سب الدهر.	٢٣٨
باب: في التحذيرِ من الشرك وأنواعه.	٢٤٠

باب: في النهي عن الغلو	٢٤١
باب: في النهي عن الذبح لغير الله.	٢٤٣
باب: في النهي عن الحلف بالأمانة.	٢٤٣
بيان الطاغية والموحد.	٢٤٤
[فصل الختام ومسك التمام بذكر ألفاظ تمس جناب التوحيد]:	٢٤٩
باب: لا يقول عبدي وأمتي.	٢٤٩
باب: لا يقول لأخيه يا كافر.	٢٥٠
باب: لا يقال ما شاء الله وشئت.	٢٥١
باب: في النهي عن قول: (اللهم اغفر لي إن شئت).	٢٥٢
باب: النهي عن قول: (خليفة الله، وشاهان شاه).	٢٥٣
باب: لا يقال السلام على الله.	٢٥٤
باب: النهي عن قول لو.	٢٥٤
باب: النهي عن سب الريح.	٢٥٥
خاتمة الباب.	٢٥٦
[فصل: متمم للخاتمة]	٢٥٧

قول اذكر الله للغضبان.	٢٥٧
قول صفات الله.	٢٥٧
النهي عن قول شاءت حكمة الله.	٢٥٨
بيني وبين الله سر.	٢٥٩
لفظ (تعالى) لا تقال في غير حق الله سبحانه وتعالى.	٢٥٩
النهي عن كلمات فيها مغالطات.	٢٦٠
السؤال بوجه الله.	٢٦١
قوله: نتبرك بالله ثم بك.	٢٩١
لعنة الله على دين فلان الكافر.	٢٦٢
يا من يغيَّر ولا يتغير.	٢٦٢
مناجاة.	٢٩٣